الطبعة الثانية

شمس الهند تشرق في جزيرة العرب



رحمت الله الهندي

ركن الحرمين الشريفين

مؤسس المدرسة الصولتية أولى مدارس الحجاز

١٨١٨ - ١٨٩١ م

محمد مصطفى خميس

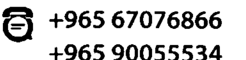


محمد مصطفى خميس
رحمت الله الهندي - ركن الحرمين الشريفين
الكويت: دار سما للنشر والتوزيع 2017
384 ص ؛ 24 سم.
الردمك: 978-99906-802-8-7

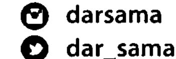
الغلاف: هشام الشعراوي

للتدقيق اللغوي وإخراج الكتب بإشراف الأستاذين:
محمد خميس وسامح شعبان
lsan.dad.201@gmail.com
مركز لسان الضاد




+965 67076866
+965 90055534


www.dar-sama.com
dar_sama@hotmail.com


darsama
dar_sama

الإهداء

إلى أبناءِ الحقيقةِ.. الَّذين يبرُّونها بإظهارِها على الكونِ كلِّه.

إلى كلِّ منْ صنعَ ذاتَهُ من طينِ يقينِها بالصَّوابِ أنَّى وجدَتْهُ.

إلى كلِّ من اغترفَ غَرْفةَ عطشٍ عن وطنِهِ الأمِّ...

ليروي أمَّ وطنِهِ..

إلى السَّائحينَ في وصايا السَّماء، يكتشفونَ اتِّفاقها..

على بابٍ واحدٍ ومفاتيحَ بعددِ نجومها.

إلى كلِّ محرومٍ من شَفَقةٍ في عينِ آيةٍ، وعذابٍ في كفِّها..

إلى كلِّ من غابَ عن تلاوةِ الفجرِ لسورةِ اللَّيل، حتَّى طلعتْ

عليه شمسُ النَّدامةِ من مغربها.

إلى المغرَّبين عن مساقطِ وَحْيِهم، وقد مسَّهُم القهرُ...

يلتمسونَ ولو خيطًا من أملٍ.

محمد مصطفى خميس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

[سُورَةُ المَائِدَةِ]

المقدمة

في ذاكرةِ التَّاريخ تعيشُ صورُ الماضينَ حياتَها الثانيةَ، تراقبُ قراءتَنا لحياتها الأولى، والسَّعيدُ منَّا من وافتْه الحياةُ بصورةٍ سعيدٍ منهم، يتفحَّصُ ألوانَها، ويتتبَّعُ خطوطَها، ويتفرَّسُ في ملامحِها، ويفسِّرُ أحلامَها المعلَّقةَ في ظلالِها الخضراءِ مستعينًا بحواسِّ ذاتِهِ التي يصنعُها قبلَ أن يبحثَ عنها، ويستمعُ لأصداءِ كلماتها الصَّامتةِ التي تغذَّت على نبضاتِ روحِها، ويكتبُ مذكَّرةَ استجوابٍ لبراءاتِ اختراعاتِها.

رحمتُ الله الهندي صورةٌ ملوَّنةٌ بتجاربَ عرفتْ موضعَ أحلامها قبل أن تعرفَ موضعَ أقدامها، فسارت إليها محمَّلةً بعناياتٍ لا تنامُ عيونُها، حتَّى بلغتْ سلطانَها، وتربَّعتْ على عرش حقيقتِها، فدانتْ لها كلُّ الأفكارِ التي هربتْ منها يومًا ما.

رحمتُ الله الهندي سليلُ حقٍّ سالتْ دماؤُهُ على ورقِ قرآنِهِ، وكانتْ كفايةُ الله تنتظرُهُ، فحملَ أمانتها، ووعى حروفَها وما بينَها، وملأ طفولتَه بأقوالها، فتضلَّعتْ ذاكرتُهُ بالتنزيل وتأويله، وتشبَّعَ لسانُهُ بالعربيَّة وبعضِ أخواتها، واستقام الفقهُ في عقلِهِ مبوَّبًا في رفوفِ نصوصه، واستوى الحديثُ الشريفُ

على أرائكِ صحَّته، وتوطَّدتْ علاقتُهُ بالتَّاريخ النَّبوي المنزَّه عن التَّزوير، وتعتَّقتْ نظرياتُ المنطقِ ونواميسُهُ في كؤوسِ فكرِهِ، حتَّى حكمتْ بالبراءةِ من كلِّ شائبةٍ على ما آمنَ به، واستمرَّ يعقدُ منصَّاتِ الدِّفاع عنه إلى آخرِ نفَس.

علمَّته نفسُهُ التوَّاقة للبناءِ كيف يؤسِّسُ من علمِهِ هذا مدرسةً يحمي فيها مَن تلاحقُهُ جهاتُ الشرودِ عن الحقِّ، وتغريه مفاتنُ الجهالةِ أن يلبسَ ثوبها الأنيقَ الذي يخفي تحتَ بياضِهِ رقعًا من كلِّ ألوانِ السُّوء. علمَّتْهُ نفسُهُ المطمئنةُ بما تربَّتْ عليه كيف يحيا في سبيل الله، قبل أن يموتَ في سبيله، وكيفَ يقولُ الحقَّ بعد أن يستمعَ إليه بكلِّ جوارحِ لهفتِهِ إليه، وكيفَ يُطلق لسانَه به بعد أن يعمرَ به قلبَه، وكيفَ يخدمُ إسلامَه بعد أن يجعل لسانَه وراء قلبِهِ.

رحمتُ الله الهندي أنموذجٌ جليلٌ من الطِّراز الأوَّل، أقام حين أقام على زراعةِ الخيرِ في حقول الأجداد، وارتحلَ حين ارتحل يحملُ معه مشروعَه المصفَّى من شوائبِ الحظوظ، فمشى بين ألغامِ الحقد على الإسلام، وذاقَ ألوانَه بالحسِّ والإحساس، بنفسِهِ مرَّةً، وبإخوانِ عقيدتِهِ مرَّاتٍ، وأخذَ على نفسه العهدَ أن ينصبَ للحق منبرًا أينما وجدَ ضالًّا يقتحمُ على الفطرة أبوابها، ويسوِّقُ في دكاكين الوهم لبضاعتِهِ المسروقةِ من هنا وهناك، ويوزِّعُ بالمجَّان نسخَ انحرافِهِ عن صراط الله.

إذا ترك شيئًا أو أخذ فلله، وإذا قال أو سكتَ فلله، وإذا حلَّ أو ارتحلَ فلله، وإذا صالحَ أو خاصم ففي الله.

رجلٌ نال ما عافتْ نفسُهُ شيوعَه، وحظيَ بنصيبِ مَنْ هربَ من الدنيا فلحقتْهُ

أينما سارَ، تُمنّي متاعَها برضاهُ، فلم تعدْ إلا بخفّيْ خُسوءٍ.

قاومَ احتلال الطَّمع لمسقطِ وعيه، وتكالُبَ الضَّلالِ على منابر هُداه، وارتيادَ الفوضى لمخطَّطِ حلمه، واختراقَ الشَّائعاتِ لسيرة إخلاصِهِ، فتكرَّمتِ الهند بأستاذيَّته الأولى، وانقلبتْ أبصارُ المنصِّرين إلى وجوهِهم حسيرةً بثاقبِ رأيه، واستعادتِ العلومُ مواقعَها في العقول ببوصلةِ فكره، وخرستْ ألسنةُ الشَّرِّ بمناظرته التي تواتَرَ سندُها.

رحمتُ الله الهندي الذي تأصَّلت ذائقتُهُ بأصول الفُصحى وصنائعِها، ومعاهدِ الشَّريعة وعلومِها، للدُّعاةِ الرَّبانيينَ أن يقدِّموهُ إمامًا على صفوفِهم، في العلم والعمل؛ لأنَّ عصارةَ جهادِهِ كانت في «إظهار الحقِّ» سلسلةً ذهبيَّةً مكينةً، لم يترك لمنصِّرٍ فرجةَ أملٍ يهرب منها إلى موضعٍ يطمئنُ به على نفسِهِ من السُّقوط في حفرةٍ من حفرِ التَّحريف والفساد والافتراءِ، حتى خشي الاحتلالُ من انتشارِهِ، فطاردَه، ليقينه أنَّه فلو أدامَ النَّاسُ قراءته بعيونِ بصائرهم لدخلوا في دين الله أفواجًا.

إنَّ الشيخَ رحمت الله الهندي شخصيَّةٌ تعهَّدت خصائصَها بمعالي الهمم، وحرستْ خطواتِها بأنبلِ النِّيَّات، فكانت قِبلةَ الذين اشتغلوا ويشتغلون في هذا الحقل المزروع بالألغام، المحفوفِ بالخوف، إذ مشَّطَ ترابَه مرَّات ومرَّات، وطردَ من أطرافه كلَّ خاطرة توجُّس، وجعله دائمَ الخضرة.

فما أجدرَ أن يعيشَ في ضمير كلِّ فتىً من جيل الدَّعوة، وما أجدرَ أن تضاء بنور قناديله شوارعُ الحياة، ردًّا على من حاولوا أن يطفئوا بحريقِ كتابه مستقبلَ

الإنسانيةِ، ويخفُوا بدخانِ حقدهم وجهَ السماء الأبيض، ويقيموا من انحرافاتهم عن كتاب الله جمهوريةَ خداعٍ.

ها هنا سيرةُ ركنٍ من أركان الحرمين الشَّريفين، لا ينتمي إلَّا إلى الحق لغةً وعرقًا وسلوكًا، بدايةً ونهايةً، عسى أن يقتربَ بها البعيدُ، ويصلَ بها السائرُ، ويثقَ بها الظانُّ، ويزنَ بها الباحثُ عن نفسِهِ في خرائطِ الشرود مشروعَه، فيعرف، ويلزم.

غُرَّة ذي الحجَّة ١٤٣٨هـ وأَيلول ٢٠١٧م

شبه القارَّة الإسلاميَّة 1

العاقلُ من يستعدُّ لما هو أخطفُ من البرقِ، ويدمثُ لنفسِهِ قبلَ النَّومِ مُضطجعًا يحرس نومَه كما يحرسُ صحوَهُ.
والدِّينُ أن يسودَ النُّور في مسام الأفكار حتَّى لا يتركَ لفراشةِ فكرةٍ أن تخطئ، فتلقي بنفسها في النار، تظنها قنديلَ الوصول إلى شجاعةِ السَّعادة.
وبينهما يهنأ العيشُ، فلا يجتمعُ على صاحبه خوفانِ أحدُهما شركٌ بالآخر: خوفُ الله وخوفُ أوهامِ أعدائِهِ.

شبه القارَّة الهنديَّة بلادٌ مترامِيةُ الأطراف، شاسعةُ المساحات، تتمتعُ بمميزاتٍ كانت وبالًا عليها، فكم من نعمة أورثت نقمة! فوقعت في مخطط التقسيم الذي رسم خريطته الاحتلال الصليبي وسيلةً من وسائل تمزيق الأقاليم الكبيرة؛ لأنها تهدد فرضًا وجوده ومشروعه، فكرَّس جهوده لسيادتها، وفتح نوافذ

للدخول من خلالها، إذ يكفي أن يكون المسلمون أصحابَ السيادة في أحدها حتى تبلغ حرارةُ المنافسة أعلى درجاتها في مَراجلهم، فكانت: الهند، وباكستان، وبنجلاديش، ونيبال، وبوتان، وسيريلانكا، وما يتبعها من جزر في المحيط الهندي، وهي: جزر المالديف، وجزر لكاديف في الغرب، وأندمان ونيكوبار في الشرق، وسيلان أو سرنديب في الجنوب.

كانت شبه القارة الهندية بيئةً مكتملةَ العناصر والأركان، وهي بهذا الاكتمال ذاتٌ جغرافيَّةٌ مستقلَّةٌ مكتفيةٌ، في قلب القارَّة الآسيويَّة، فالشمال حيثُ جبال الهمالايا السَّامقة التي تعرف بسقف الدُّنيا، والشَّرق حيث جبال آسام، وهي في الأصل متفرِّعة من جبال الهمالايا، والغرب حيث جبالُ الهند وكوش التي تبلغ الشَّاطئ، والجنوبُ حيث المحيط، أما مساحتها فقرابة (٤.٥) مليون كيلو متر مربع، تقطنها شعوب كثيرةٌ تنتمي إلى قوميَّات متباينة، وتتكلم لغاتٍ مختلفة، وتتبنى لهجاتٍ متفاوتة. وهي مع كل هذا التفارق نقشتْ في حجارة التاريخ الخالدة مناطقَ مؤثرة، وقامت بأدوار حضارية شتى، تجعلها بتعدد أجناسها وعقائدها صورة مصغرةً لأطوار التاريخ البشري كلِّه، تؤهِّلها لتمثيله حقَّ التمثيل، بواقعيَّة بالغةٍ، من أول اعتقاد إلى قرار التَّوحيد.

أمَّا علاقة العرب قبل الإسلام ببلاد الهند فقد بدأت عبر المصالح التِّجارية المتبادلة، حتَّى جاء الإسلام، وبدأت الفتوحات منذ العهد الأوَّل، وتدفقت جموع المسلمين في الأرجاء لنشر الرسالة الأخيرة، وإخراج النَّاس من الظلمات إلى النور، وكان قدر هذه البلاد أن يؤمَّها جند الخليفة الراشد عمر بن

الخطاب رضي الله عنه، بعد أن أزالوا عقبة الدولة الفارسية الحائلة بينهم وبينها. كان ذلك سنة (١٥هـ)، بدءًا بغارة الحكم بن أبي العاص الثقفي على مدينة «تانه» شمال مدينة «بومباي»، ولم يستقر أمرها حتى استقرت أوضاع الدولة الأموية، ومع اهتزاز مكانة المسلمين فيها أيام العباسيين نشأت عدَّة إمارات مستقلة معظمها من الإسماعيلية، ما عزز التفكك، إلى ظهور الدولة الغزنوية، وسلطانها محمود بن سبكتكين سنة (٣٩١هـ)، الذي وصل إلى مناطق لم تطأها قدم فاتح قبله، إلى قيام الدولة الغورية، التي فتحت بلاد البنغال ودلهي، وكانت أول سلطنة إسلامية مستقرة وثابتة بالهند سنة (٦٠٢هـ). ثم تعاقبت الدول الإسلامية على حكم بلاد الهند، دون أن تحكم بلاد الهند جميعها، لوجود إمارات موازية في أقاليم أخرى من الهند، فصار حكم الإسلام في تلك الفترة أشبهَ ما يكون بحكم ملوك الطوائف في الأندلس، وقد كُتب على تلك الدول المصير نفسه الذي كتب على دول ملوك الطوائف الأندلسية، حتى الأسرة المغولية بقيادة محمد بابر شاه سنة (٩٣٢هـ)، التي وحدت الهند تحت راية واحدة، وأقامت دولة المغول الإسلامية، وهي التي ظلت تحكم البلاد حتى سقوطها في قبضة الاحتلال الإنجليزي الديني.

إنَّ المشروع الإسلامي في بلاد الهند لم يكتب له السيطرة لعوامل لا تخرج عن دائرة تقصير المسلمين أنفسهم، ووقوعهم في هنات لا تبرير لها إلا الغفلة، إذ لم تكن لهم قرارة فيها حتى يرحلوا عنها، في الوقت الذي يحتاج أهلها إلى من يهدم الأوثان في نفوسهم قبل معابدهم، ويعلمهم اللغة العربية التي بها يفقه

الكتاب، وتتضلع السنة في الأرواح، وتزال لبوسات الأفهام لتعاليم الإسلام، ويطمْئِن مصائرهم بحكم الشريعة لا بسطوة القوَّة واستعراض النفوذ، وكمِّ الأفواه، ولو على قيد عقائدهم الوثنية وشعائرهم الشِّركية، والانجرار إلى هامشيات الخلاف وتكثير الولاءات، وتحصيل المكاسب المادية ولو على حساب قيمة الدين.

خلال عهود الإسلام لم يتهيأ لبلاد الهند من العلماء والدعاة المسلمين من له أهليَّة عالية وتقويم سليم ومنهج مستوٍ يسد به فراغ اعتقاداتهم التي هجروها، ما أدى إلى طفو التيارات الشَّكليَّة التي تخالف أكثر ممَّا توافق، وتبتعد أكثر مما تقترب، فقويت شوكة الهندوس، واستثمروا تلك المداخل أيَّ استثمار، وناهضوا الإسلام فيها من خلال ممالك في جنوبها وشمالها، كانت المعبر السهل للاحتلال الرسمي الذي هدف إلى القضاء على أي روح إسلامية فيها، ولأن بلاد الهند تتمتع بالخصب والثراء بالموارد الطبيعية، اندلقت على مائدتها كل الأطماع، ولا سيما الأوروبيَّة، بدأت بالبرتغاليين، عبر حركة الكشوف البحرية التي بدأت فور سقوط دولة الإسلام في الأندلس سنة (٨٩٧هـ)، فبعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، تهيأ البرتغاليون لغزو بلاد الهند، في ظل ضعف دولة الإسلام جرَّاء الاقتتال الداخلي بين ممالكها على الحكم، وفي ظل قوة شوكة الهندوس التي كانت على مرمى فرصة من خاصرةِ دولة الإسلام.

نجح البرتغاليون في السيطرة على الرَّغم من دعم المماليك لعدوهم، لكنهم واجهوا بعد قيام الدولة العثمانية عدوًا جديدًا حالت الصراعات

الهامشية بين قوَّاده دون هزيمتهم، فدانتْ لهم سواحل الهند الغربية طيلة قرن [٩٠٦هـ - ١٠٠٩هـ]، سطوا فيه على مقدراتها وخيراتها، غير أنهم لم يتمكنوا من بسط نفوذهم على الداخل الهندي، واكتفوا بتحكمهم في تجارة الهند واحتكار المنتجات واللعب بأسعارها وفق خططهم الربحيَّة، ما جعل الدول الأوروبيَّة تضيق بهم ذِراعًا، كإنجلترا وفرنسا، وتقرِّر منافستهم.

نعمْ سيطر البرتغاليون على سواحل الهند، ونهبوا خيراتها، لكنهم لم يضعفوا مكانة السلاطين المسلمين في الداخل، وممَّا يُروى في التدليل على هذه المكانة، ما حدث بين ملك إنجلترا جيمس الأول وسلطان المسلمين نور الدين محمد جهانكير، سنة (١٦٠٨م - ١٠١٨هـ)، حين أرسل الأول رسولًا لمقابلة الثاني بهدف فتح باب الحديث، وترطيب الأجواء للدُّخول في منافسة البرتغاليين، فظل الرَّسول واسمه (وليم هوكنز) عامين في دلهي، دون أن يسمح له بلقاء السلطان، إلى أن كرَّر الرسول طلبه، واستأذن بكتابٍ من السلطان لملكه، فردَّ عليه وزير السلطان بكلِّ عزة وكرامة: «إنَّ ممَّا لا يناسبُ قدرَ ملك مغولي مسلم أن يكتب كتابًا إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون».

ولكن ماذا بعد ذلك...؟!

***

أقنعة الطمع ووجه الغفلة 2

الطامعُ بفضلِ السَّماء على غيرِهِ أحالته الأرضُ إلى صخرةٍ يقلبُها فلا يجدُ تحتها إلا طبعه.
والباذلُ دمَ أرضه في مواجهاتِ سالبها عنده الخبرُ اليقينُ في آخر نشرةٍ على أثيرِ الكسور التي يملؤها رصاصًا، والجروحِ التي يخيطُها بنيرانِ صمودِهِ.

على مقربةٍ من السَّذاجة والغفلة والتَّسامح المبالغ فيه لدى دولة المغول الإسلامية، كان مكر الإنجليزِ ينصبُ شباكه بحذرٍ أبيضَ ودمٍ أزرقَ، وحركةٍ هادئةٍ طويلةِ النَّفَس، رافعين على جوانبه شاخصاتِ التَّسامح والمحبة والتَّعددية، وكسر العوائق التي تحولُ بين المسلم وغيره، مجنِّدين جيشًا من العملاء المأجورين، والأقليات الطامحة إلى الوجود والاستقلاليَّة، وجيشًا من القلاقل والنِّزاعات المصطنعة بين أبناء البلد، لتسقطَ الدولة الإسلامية تحت ضرباتهم الخفيفة المميتة.

كانت البداية مع شركة الهند الشَّرقية الإنجليزيَّة:

«East India Trade Company»

التي تأسست سنة (١٦٠١م)، لامتهان التجارة الاحتكارية، في المنطقة الواقعة إلى الشرق من رأس الرجاء الصالح، وشراء الأراضي فيها، فضلاً عن منافسة الهولنديين في تجارة التوابل هناك، لاحتكارهم هذه التجارة في أوروبا، ورفعهم لأسعارها إلى حد لا يطاق.. نعم شركةٌ تجارية تمهد الطريق للاستيلاء على بلدٍ مديدِ الأرض كثيرِ الخيرات... اصطادت تلك الشركة فرصةَ التقرب من الدولة المغولية الإسلامية، وكسب ودِّها، لعلمِها أن أسلوب التَّحدي لن يجدي نفعًا، فبذلتْ هذه الفترة التذلل والتودد لسلطات الدَّولة، رجاءَ السماح لها بمزاولة نشاطاتها التجارية داخل أراضيها. ترافق هذا مع مشروع «ظهير الدين محمد بابر شاه» الذي رسم فيه سياسة تسامحيَّة مع مختلف المعتقدات والطوائف الموجودة بالهند والقادمة من خارج الهند، بمبالغةٍ مثيرة للانتباه، تقول لمن أراد أن ينفذ من خلالها: هلمَّ جد لنفسك مكانًا ولو في عقر حرمي، ولم يخرج حفيد بابر شاه السلطان أكبر الأول عن ذلك المشروع، بل زاد في تطبيقاته درجاتٍ كبيرة، فصاهر الراجيوت الطبقة العسكرية الهندوكية، وفتح باب المناصب الكبيرة لهم ولغيرهم من الهندوكيين على مصراعيه، وحمى معابدهم من أي اعتداء، وشجع طقوسهم الدينية ولم يقبل باعتراضها، وتزوج بالهندوكيات بذريعة السياسة والمصلحة. وبهذا صار للدولة منافذ من خلالها تهب رياح الضعف والانقسام، وفقدان حماية الدين والولاء الذي تبعثر بين

الطوائف، فتبدد حلم كسب ود الجميع، وانقلب إلى خسارة جعلت حال الدولة أغنيةً على طللِ الأمجاد السَّالفة.

دخل الإنجليز بهذه الوسيلة للوصول إلى ثروة الشرق ومزاحمة البرتغاليين في الأسواق الشرقية، عبر هذه الشركة التي عملت على الاتصال بالسلع الشرقية في منابعها، فأقلعت أول سفينة للشركة في اتجاه الشرق في يناير (١٦٠١م)، وتمكنت من الوصول إلى «أتشين» بـ «سومطرة»، ثمَّ عادت بعد سنتين ونصف تقريبًا، تحمل كميات من التوابل. وتوالت بعد ذلك الرحلات التي قصدت جزر التوابل على وجه الخصوص.

ثم عملت على إنشاء مركز تجاري لها بالهند، يكون بمثابة محطة تجميع للمنسوجات الهندية التي كان يأتي معظمها من منطقة البنغال، ووقع اختيار الشركة على «سورات» فنجحت في إقامة مقر لها هناك في سنة (١٦١٢م).

ثم ركزت الشركة نشاطها بالهند، وقد رفعت الشركة هناك في البداية شعار التجارة فقط مفرغًا من أي مطامع إقليمية، لأنها لم ترد الاصطدام بالكيانات السياسية الموجودة التي كانت ما تزال قوية متمتعة بإمكانيات عسكرية واقتصادية تفوق قدرتها. ومن هنا كانت سياستها تقوم في البداية على إقامة المراكز وزيادة إعدادها بحذر كلما أمكن ذلك.

وفي سنة (١٦٤٧م) أصبح للشركة ثلاثة وعشرون مركزًا تجاريًّا بالسواحل الهندية.

في أوائل ستينيات القرن السابع عشر، سيطرت الشركة على بومباي، ونقلت

مركزها إليها، وبعد ذلك أخذت الشركة تبدي اهتمامـاً كبيرًا بمنطقة البنغال، وفي سنة (١٦٨٦م)، بنت قاعدة هناك فيما عرف بعد ذلك بـ «كلكتا» في مستنقعات نهر «الكنج»، والتي تميزت بإمكانية الدفاع عنها.

وبعد ذلك بأربع سنوات دار نزاع في البنغال بينهم وبين نائب الإمبراطور المغولي، أدى إلى إعلان الشركة الحرب على الإمبراطورية المغولية في سنة (١٦٩٠م)، حربًا تجرب فيها القوة من خلال إحداث احتكاك عسكري مع الدولة، فقوبلت بالقوة، واندحرت، بل أجبر السلطان «أورنكزيب» الشركة على التراجع في المناطق التي كانت في حوزتها مثل «كلكتا»، كصفعة حمراء لأطماعها، ودفعها أن تتعهد بعدم تكرار هذا العمل في قابل، وضاعت مؤسسات الشركة في البنغال، فطلبت عقد الصلح، وبموجبه أعيد ممثلوها إلى «كلكتا»، وحصولها على إذن جديد بالتجارة، بعد أن دفعت غرامة حربية.

وعند نهاية القرن السابع عشر أصبح لها ثلاثة مراكز تجارية هامة، وبـ «كلكتا» أصبح لشركة الهند الشرقية الإنجليزية ، فضلًا عن سيادتها في «مدراس» و«بومباي»، وبعض المحطات التجارية الصغيرة على السواحل الهندية في إقليم «ماسوليبتام» بساحل «الكورماندال» والبنغال، وكذلك عدد من القرى منحتها حكومة دلهي للشركة بجوار «مدراس».

ومن تجارة المنسوجات القطنية وفي خلال الفترة (١٦٦٨-١٦٨١)، ارتفعت واردات الشركة من الأنسجة القطنية البنغالية بنسبة (٤٥٪)، وارتفعت نسبة المنسوجات الهندية إلى جملة تجارة الشركة من (٧٣٪) في سنة (١٦٦٤م)

إلى (٨٣٪) بعد عقدين.

كان للشركة خطط ذكية في الاستفادة من كل ما حولها، فقد دبرت احتياجاتها من الأموال اللازمة لتغذية تجارتها في المنسوجات بعيدًا عن استيراد السبائك من لندن، وحاولت تغطية قيمة البضائع الآسيوية من أرباحها في التجارة الآسيوية بين الموانئ الهندية والصينية وبالعكس ، واستفادت بشكل غير مباشر من وراء سماحها للتجار البريطانيين بالعمل في التجارة بشروط كانت تحددها. وفي مقابل هذا السماح والحماية كان التجار يدفعون لها ضرائب معينة، واستفادت من وراء نقل سلعهم على سفنها، واستفادت من عمليات التحويلات النقدية التي ألفها التجار الأجانب، الذين كانوا يرغبون في تحويل مكاسبهم في الشرق إلى أوروبا.

وبهذا حققت الشركة مركزًا متقدمًا للإنجليز في التجارة الخارجية، فصار الجو مواتيًا لإظهار النيات الزرقاء المخبوءة، عبر استخدام أساليب القوة في العمليات التجارية، جرأها على ذلك ضعف الأنظمة المحلية.

وبعد موت أورانكزيب (١٦٥٧-١٧٠٧م)، أصيب المجتمع الهندي بالتفكك، وتشرذمت الإمبراطورية المغولية، وتحولت الهند برمتها إلى دول تحت حكم سياسيين ضعاف، يخلف ضعيفَهم الأضعفُ، في دلهي، إلى أن وقفت المقاومة الهندوكية المتمثلة في الماراثا «Marathas» على أرجلها، وصارت تناوش الشركة ومصالحها في «سورات» لدرجة أعجزت الإمبراطورية المغولية أن تحمي مصالح الشركة، ما دفع الإنجليز إلى البحث

عن حلول بأنفسهم، فدعموا تحصيناتهم في البنغال، الأمر الذي تسبب باصطدامهم مع نائب الإمبراطور المغولي بالبنغال، كادوا يفقدون جراءه «كلكتا» لولا نجدة كلايف – مسؤول الشركة بالهند – لإنقاذهم.

وبعد أن أنقذ «كلكتا»، خطط لنهب ثروات نواب البنغال، فوقع في حفرة طمعه، وكان هذا سببًا مباشرًا لمعركة «بلاسي= Plassey»، سنة (١٧٥٧م)، بينه وبين قوات سراج الدولة النائب المغولي بالبنغال، التي أخرجته نتيجتها من تلك الحفرة، وعزل على إثرها سراج الدولة وعين نائبًا آخر مواليًا للشركة.

كان من نتائج هذه المعركة فيما يصب في صالح الإنجليز القضاء على كل مطالب الفرنسيين في الهند، ثم ازدياد الثقة عند كلايف الذي بدأ يتطلع إلى احتلال «دلهي»، لولا ضعف إمكانيات الشركة عن تحمل الأعباء التي ستنجم عن هذا التوسع.

وفي سنة (١٧٦٤م) وقع اشتباك «بوكسار» في سنة (١٧٦٤م)، على إثر عدم استسلام دلهي، انهزمت فيه جيوش البلاط المغولي، واضطر إلى منح الشركة حق الديواني «The Diwani»، وهي إدارة الإيرادات في كل من البنغال و«بيهار» و«اريسا» العريقة الثراء، التي كانت خاضعة لنواب البنغال.

ثم تفاقمت أطماع مستخدمي الشركة فوجهوا فائض الإيرادات والديواني إلى حساباتهم فوقعت الشركة بين فكي الاضطراب والعوز، حتى أتي بـ «وارن هاستنجز= Warren Hastings» لإصلاح ما فسد، فكان أكثر من يشار إليه

في تلك الحقبة حاكمًا على البنغال (١٣) سنة، وفي عام (١٧٧٤م) أصدر البرلمان الإنجليزي قانون التنظيم «The Regulating Act»، والذي بموجبه رقي إلى منصب الحاكم العام «Governor General»، وصار بوسعه الإشراف على كثير من المناطق بما فيها «بومباي» و«مدراس»، بعد أن كانت منفصلة عن بعضها، ومرتبطة بلندن مباشرة، وهذا مشروع عمل عليه ليخلق كيان سياسي بريطاني في الهند، ولذا فقد نجح في التصدي للتحديات التي واجهته من القوى الهندية كالماراثا ونظام حيدر آباد، واستطاع أن يضم «بوندشيري، وماهي» لممتلكات الشركة، وعقد مع نظام حيدر آباد أول معاهدة تبعية مقابل توفير الحماية له من تهديدات الماراثا.

ثم سيطر على نصف «ميسور»، ونصف ولاية «أوده= Oudh» و«الكارناتك»، بالترافق مع حركات الإصلاح الإداري والاقتصادي بالبنغال وغيرها، ومن ثم شرع البرلمان الإنجليزي ما عرف بقانون «بت للهند= Pitt India Act» الذي أقتضى إقامة حكومة مشتركة، وصار يشرف على الشركة في لندن وزير يعرف برئيس مجلس الإشراف «President of the Board of control»، ثم تولى منصب الحاكم العام بالهند بعد هاستنجز، اللورد «كورنوالس= Lord Cornwallis»، والذي سار على نهج سلفه في السير بالشركة إلى الأمام وخلق سلسلة جديدة من الإصلاحات التي أثرت على الوجود البريطاني وقوة الشركة حتى جاء «ولزلي= Lord Wallesley» وبدأ يخطط للقضاء على نظام حيدر آباد وتطويق قوة الماراثا، وبكثير من الدهاء والتخطيط حول النظام

إلى مرتبة أمير تابع، ودحر قوة الماراثا العسكرية في معركة أساي (١٨٠٣)، دون استئصالها، لقدرتها على الكر والفر والحرب داخل المستنقعات، فأخذ استراحة التهيئة والإعداد حتى تمكن من تدميرها نهائيًّا سنة (١٨١٨م).

* * *

أعراقٌ دَسَّاسة 3

خيرُ العلمِ ما إذا غرقتْ سفينتُكَ سبحَ
معك، وإذا أدركَكَ الموتُ تناسلَ في
أصلاب أبنائِكَ عفوَ الطَّلب، وإذا طلبه
الناسُ وجدوه سبيلًا في كلِّ ورثتكَ.
الابنُ البارُّ وصيَّةُ صلاحٍ ودعوةٌ منضبطةُ
السَّير، من أدنى رجفةِ حاجةٍ إلى أعلى
سقفِ إجابةٍ.

في حي «دربار كلان»، أي الحي الكبير في قرية «كيرانة»، التابعة لمحافظة «مظفر ناجار» من توابع «دلهي» عاصمة الهند، في غرة جمادى الأولى سنة (١٢٣٣هـ)، الموافق للتاسع من مارس سنة (١٨١٨م)، منحت الحياةُ أول أنفاسها لطفل أعدته ليمنحها خلودها في قلوب المؤمنين، ولد محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي، وحوله أطياف أجداده العلماء، بين يدي أب عالم فاضل له مركزه العالي في الحكومة المغولية، ورثه عن آبائه كما ورث عنهم العلم والفضل، كابرًا عن كابر.. حتى يصل إلى ذي النورين عثمان بن

عفان رضي الله عنه، عند الجد الرابع والثلاثين... في شجرة تتسلسل فروعها عنه إلى أبيه خليل الله، خليل الله بن الحكيم الطبيب نجيب الله، بن الحكيم حبيب، بن الحكيم عبد الرحيم، بن قطب الدين، بن الحكيم فضيل، بن الحكيم ديوان عبد الرحيم، أخو الحكيم محمد أحسن الملقب نواب مقرب خان، أي عضو مجلس برلمان الهند، بن الحكيم عبد الكريم، المعروف بحكيم بينا، الملقب بشيخ الزمان، بن الحكيم حسن، بن عبد الصمد، بن أبي علي، بن محمد يوسف، بن عبد القادر، بن كبير الأولياء الشيخ جلال الدين، بن محمود، بن يعقوب، بن عيسى، بن إسماعيل، بن محمد، بن تقي، بن أبي بكر، بن علي تقي، بن عثمان، بن عبد الله، بن شهاب الدين، بن الشيخ عبد الرحمن الجاذورني، القاضي الشرعي في جيش السلطان محمود الغزنوي الذي فتح الهند ونشر فيها الإسلام سنة (٤٢١هـ)، بن عبد العزيز السرخسي، بن خالد، بن الوليد، بن عبد العزيز، بن عبد الرحمن الكبير المدني بن عبد الله الثاني، بن عبد العزيز الكبير، بن عبد الله الكبير، بن عمر، بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

لم تكن «كيرانة» المسكن الأول لأسرة الشيخ رحمت الله، بل كان جده الشيخ عبد الرحمن الجاذورني قد اختار «باني بت» موطنًا له، بعد فتح «سومنات»، وفيها نمت أسرته الطيبة.

أما قصة انتقال العائلة إلى «كيرانة» فمرتبطة بالحكيم الطبيب عبد الكريم الذي كان يعيش مع أولاده في «باني بت»، وحين عجز الأطباء عن علاج الإمبراطور

جلال الدين محمد أكبر، أرسل في طلب الحكيم عبد الكريم من (باني بت)، فحضر مع ابنه الحكيم محمد أحسن، وتعاونا على علاجه والإشراف على حالته، حتى شفي، فأعجب الإمبراطور بمهارتهما في الطب، ومنح الحكيم عبد الكريم لقب شيخ الزمان، وقرر أن يتخذه طبيبًا خاصًّا له، ومنح ابنه الطبيب محمد أحسن لقب نواب مقرب خان أي عضو مجلس برلمان الهند، وكافأه بمقاطعة «كيرانة» هدية له، بمرسوم سلطاني مؤرخ بشهر ذي القعدة سنة (٩١٥هـ = ١٥١٠م)، ثم عينه جهاتكيز حاكمًا على ولاية دكن وكجرات، ثم عينه شاهجهان حاكمًا على ولاية ببهار.

ولما منحت مقاطعة كيرانة للطبيب محمد أحسن انتقلت الأسرة من «باني بت» إلى «كيرانة»، انتقالًا نوعيًّا، إذ بدؤوا ببناء القصور ذات الأسوار العالية والبوابات الكبيرة حسب نظام العمران في ذلك العهد، وقاموا بتحسين وضع القرية، ونظموها، ووسعوها، وأقاموا فيها دور القضاء والهيئات الحكومية.

انتقلت مهنة الطب إلى الأحفاد، مع المحافظة على العلاقة مع القصر المغولي، فصار ديوان عبد الرحيم حكيمًا خاصًّا فيه، مع شقيقه محمد حسن، ثم رزق الله محمد حسن، ومثلما تقلبوا في الطب والقصر فقد تقلبوا في حكم ولايات الهند المختلفة، وإلى أسرتهم ينتمي الحكيم وجيه الدين مؤلف كتاب «مخزن الحكمة» في الطب عام (١١٩٦هـ= ١٧٨٢م)، حتى وصلت العدوى الحسنة إلى شقيق الشيخ رحمت الله الحكيم علي أكبر.

ساهمت هذه الأجواء العلمية والاجتماعية الرفيعة في رفد الشيخ بوصايا

الحفاظ على إرث الأجداد، أن تتناهبه أعاصير الإهمال وتنال منه قوارض الكسل، فلا حجة لمن كنف أسرته الجاه والمال أن يبذر سمعتها ويرجع بحالها القهقرى.

حين بلغ السادسة من عمره بدأ والده وكبار أفراد العائلة المشهورين بالعلم والفضل والدين بتعليمه وتربيته في بلدته، حسب النظام المتعارف عليه في ذلك العهد، وبقي ينهل من العلوم والمعارف حتى إذا بلغ الثانية عشرة من عمره حفظ القرآن الكريم، وأتقن اللغة الفارسية، وقرأ الكثير من كتب الشريعة الإسلامية، واللغة العربية على يد أبيه وأقربائه، وبذلك تنتهي مهمة الأسرة ويبدأ مشوار الامتياز وعلو الكعب في العلوم. فانتقل إلى «دلهي» عاصمة العلم ومحجة العلماء، لطلب التعليم العالي، والتحق بمدرسة الأستاذ محمد حيات، وسكن في مبناها، ولم يمض زمن طويل حتى امتلأت جعاب قلبه وعقله بحظوظ وافرة من المعارف والعلوم، جعلت منه المقدم بين رفاقه، وعززت ملكة الذكاء والنبوغ لديه، لكنه لم يكتف بهذا التحصيل، فانتقل إلى «لكهنو» مدينة العلم والحضارة، وتتلمذ على المفتي سعد الله المراد آبادي، وعلى يد الشيخ عبد الرحمن الجشتي، وتخصص في آداب اللغة الفارسية على يد الشيخ إمام بخش الصهبائي الدهخلوي المقتول سنة (١٨٥٧م).

وكان له نصيب الكثيرين من أسلافه في الأسرة، فتحرك عرق حب الطب فيه، فالتزم جناب الطبيب البارع فيض محمد، ودرس عليه الطب، ثم درس العلوم الرياضية والهندسية على يد الأستاذ صاحب نظرية (لوكارثم)، وصاحب

المؤلفات الرياضية الشهيرة.

بعد هذه الرحلة العليمة المتنوعة كان فكره يصنع على عين الله، وينجذب نحو علوم الشريعة الإسلامية، تخدمها كل المعارف التي استكنت في ذاكرته الدائمة، فاكتمل نضجه وصار بوسعه أن يتصدر المجالس، فعقد الدروس وصار إليه الإفتاء، وبلغ بدروسه رغبات كل سامع، حتى ازداد الإقبال عليه بصورة لا يمكن أن يستوعبها مجلس، فقرر أن يؤسس مدرسة شرعية في «كَيْرانة»، وتم الأمر، ومشت المدرسة في التعليم والتخريج مسيرة حافلة، انطلق منها مدرسون ومؤلفون ومؤسسون لمدارس جديدة في أرجاء الهند.

ثم تزوج من ابنة خالته عام (١٢٥٦هـ = ١٨٤١م)، ولم يكن له أبناء ذكور، وفي تلك الأثناء ازداد النفوذ التنصيري في الهند، فقرر ترك التدريس في مدرسته، والتفرغ للتأليف والرد على المنصرين.

وقد أورد في مقدمة كتابه «إظهار الحق» توصيفه لهذه الحال، وردة فعله تجاهها.

* * *

كارل فاندر وعلماء الهند 4

الخصمُ الَّذي يخفى كالسِّحر، فإذا ظهرَ بطلَ أثرُهُ، والمناهضُ الذَّكي من يأخذُ أمرَهُ بقوالبه قبل أن يُدبر.
ومن ظنَّ أنَّ الفكرةَ تهرب من مبتكرِها فقد مضى حتفَ ظنِّه، وأراقَ برملِ الوهم ماءَ حواسِّهِ، حتَّى عجزتْ عن الإدراكِ، فصارتْ ترى الإشراقَ من بعيدٍ شمسًا تذوبُ إلى نقطةٍ.

«كارل كوتلايب فاندر = Karl Gottleib Pfander» (١٨٠٣ – ١٨٦٥م)، من مواليد قرية بجنوب ألمانيا، تسمى «ورتيمبرغ» تقع قرب «شتوتغارت» من أسرة تنتمي لطائفة بروتستانتية متشددة تعرف بالأتقياء « Peitist». التحق في السادسة عشرة بالمعهد التنصيري السويسري بمدينة «بازل»، ودرس فيه أساليب التنصير وشيئًا يسيرًا من العربية، وبعض المعلومات بشأن الإسلام لمدة أربع سنين. فلما أتم دراسته عام (١٨٢٥م)، دخل أرمينيا بقصد تنصير

مسلمي مدينة «شوشة» بإقليم «جورجيا»، ومكث هناك حتى عام (١٨٣٥م)، وفي أثناء ذلك كان يتردد على «فارس» بقصد تعلم لسان الفُرس، ومجادلة علمائها. وفي سنة (١٨٢٩م) أتم النسخة الألمانية لكتابه «ميزان الحق» الذي هاجم فيه الإسلام، وانتصر فيه بزعمه للنصرانية، ثم نقله بعد ذلك للسان الأرمن، ثم للسان الفرس، وكتابين آخرين له هما «مفتاح الأسرار» و«طريق الحياة».

ولما أمر قيصر الروس بمنع المنصرين من العمل في «شوشة» بقي فاندر طيلة ثلاث سنوات يبحث له عن مكان يباشر فيه التنصير بين المسلمين، فبعثه معهده التنصيري السويسري للهند سنة (١٨٣٩م)، فشرع خلال إقامته في «كلكوتة» في نشر كتبه التي بلسان الأوردو، ثم تحول للعمل عند جمعية الكنيسة التنصيرية «Church Missionary Society» وهي أكبر مؤسسة تنصيرية بريطانية في وقتها، فلحق بالمنصرين الألمان الذين سبقوه للعمل في مدينة أكبر آباد التي كانت أكبر معقل للمسلمين بشمال الهند، فوصل إليها في عام (١٨٤١م)، وشرع في نشر مؤلفاته المذكورة.

وكان المنصرون قد أنشؤوا دارًا لكفالة الأيتام بمدينة أكبر آباد بعد القحط الذي ضرب البلاد عام (١٨٣٧م)، ونصروا بهذه الطريقة الاستغلالية كثيرًا من اليتامى.

في هذا الوقت كانت الشركة الهند الشرقية الإنجليزية صاحبة السلطة العليا في الهند، عدا مملكة السيخ، فوضعها الإنجليز تحت عيون الحذر، إلى أن اهتدوا

إلى مباركة تناميها؛ لأنها معوان لهم على عدوهم المشترك الإسلام والمسلمين، وقد أحسنوا توظيفها فنصبوها حاجزًا بينهم وبين أي هجوم محتمل من آسيا الوسطى لنجدة المسلمين في الهند، ومثل ذلك شجعوا سياسة الإرهاب التي جرى عليها السيخ ضد المسلمين، ولم يتجهوا إليها إلا بعد أن دنا خطرها منهم، وبعد حملتين دمويتين قهرت آخر المماليك الهندية، وضمت إلى بريطانيا في سنة (١٨٤٨م). فزادت دعوات التنصير التي بدأت منذ تأسيس الشركة على نطاق ضيق، وراح المنصرون يتدفقون بكل عدتهم إلى القرى والأرياف؛ لأنها مؤهلة لقبول دعواتهم بسبب تفشي الجهل والأمية بشكل كبير، وهذا ما يسر الظهور بأثواب الإصلاح، والتعليم وتحسين الأوضاع الصحية فقاموا بتأسيس المدارس والمستشفيات، وقدموا للفقراء والمنكوبين عند المجاعات والنوائب العون الذي طوق أعناقهم بأطواق الطاعة، ثم راحوا يلقون الخطب والمواعظ في الأسواق والمحافل المكتظة بالناس، ويوزعون الأناجيل والكتيبات التنصيرية.

أما في المدن الكبرى فقد اتبعوا سياسة أخرى تقوم على تعليم الإنجليزية وآدابها للناشئين من الهنود، يتم من خلالها بث الأفكار والتقاليد الاجتماعية النصرانية عبر الكتب والبرامج التعليمية، حتى صدر قرار بجعلها لغة الإدارة والمحاكمة بدلًا من الفارسية.

انتشرت المدارس التبشيرية بكثرة، وكثرت المغريات التي توقع في بريقها من كان محرومًا من شيء يبحث عنه، كالمال والنساء، وانتشرت جرائد التبشير

والطعن بالإسلام، وكثرت الكتيبات التي تشكك بالإسلام وأنه انتشر بحد السيف وأن معاني القرآن غير متطابقة مع معاني التوراة والإنجيل ولهذا لا يعد القرآن كتابًا إلهيًّا. وكانت توزع المجلات والجرائد والكتيبات على البيوت، وفي المساجد حتى أثر ذلك على المسلمين وتنصرت بعض الأسر، وأظهرت بعض الأسر استعدادها للتنصر.

في تلك الفترة نشط القس فاندر نشاطًا ملحوظًا في الهند، وتحديدًا بين عامي (١٨٤١ - ١٨٤٧م)، بل كان على رأس حملة تنصيرية في الهند، لا يتركون مناسبة ولا هيئة إلا امتطوها لتبليغ رسالتهم، يخوف الناس من الموت على غير النصرانية، حتى وصل إلى درج الجامع الكبير في دلهي قرب القعلة الحمراء، وجعل منه منبرًا بين العصر والمغرب يجمع حوله الناس ويدعوهم إلى الإيمان بالمسيح الذي هو فداء للمصدقين به، ويدعوهم إلى إعادة النظر في الإسلام والقرآن ومحمد مشككًا ومثيرًا للطعون، وكانت حراسة قوات الأمن الإنجليزية ترافقه في رحلاته في الشوارع والأسواق والأماكن العامة التي تغص بالناس، يناصره قسوس ومنصرون آخرون منهم من دربهم بنفسه.

لكن علماء الهند لم يسكتوا، بل كانت لهم معه مساجلات ومناظرات، ولم يتأخر ردهم على أنشطته التنصيرية، فأمطروه بوابل من الرسائل التي تفند بهتانه على الإسلام، وتبين فساد أصل دينه الذي يريد هداية المسلمين إليه.

١ - ناظره مناظرات كتابية مطولة الشيخُ آل حسن بن غلام سعيد بن وجيه الدين الموهاني (١٢٠٢هـ - ١٢٨٧هـ)، فحرفها المنصرون، وطبعوها في

مجلتهم «خير خواهي هند» التي تصدر باللسانين الأوردي والإنجليزي، فرد عليه الشيخ آل حسن بتأليف كتاب مبسوط شغل (٨٠٠) صفحة، سماه «الاستفسار»، طبعه سنة (١٢٥٩هـ)، وثانٍ سماه «الاستبشار»، وهما كتابان يعظم موقعهما عند علماء الهند.

٢- رد عليه الشيخ محمد هادي بن مهدي بن دلدار علي الحسيني اللكهنوي (١٢٢٨- ١٢٧٥هـ)، بكتابين: الأول «تمحيص الحق» في رد ما بعث إليه القسيس فاندر من الرسائل من بلدة أكبر آباد. والثاني كتاب «كشف الأستار في الرد على كتاب مفتاح الأسرار للقسيس فاندر». وكتاب مفتاح الأسرار ألفه فاندر سنة (١٢٥٢هـ - ١٨٣٧م)، وطبعه سنة (١٨٤٣م).

٣- رد على كتابه ميزان الحق النسخة القديمة، الشيخ ناصر الدين أبو المنصور الدهلوي في كتاب قيم سماه «ميزان الميزان».

٤- رد عليه الشيخ محمد قاسم النانوتوي، مؤسس جامعة دار العلوم في ديوبند بالهند، والشيخ محمد علي المنغيري، والشيخ شرف الحق والشيخ أبو منصور، والشيخ ثناء الله الأمرتسري والدكتور محمد وزير خان..

فلما ذاق المنصرون حر الردود الإسلامية على مزاعمهم، تحركت حكومة الاستيطان البريطاني بالهند لنجدتهم، فسعت إلى إبعاد الشيخ آل حسن عن أكبر آباد، ونصبته قاضيًا على مقاطعة فتح بور النائية، حتى تحولَ مشاغلُهُ وبعدُ الشقة دون متابعته للبحث والمناظرة.

فلما خلا لفاندر الجو وانفضَّ عنه مناظروه أظهر شجاعته في أكبر آباد، وألف

كتابًا جديدًا زعم أنه رد على كتاب «الاستفسار» المذكور، وسماه «حل الإشكال»، ثم طبعه في أكبر آباد عام (١٨٤٧م).

ثم تلا ذلك فتور في الردود الإسلامية إلى حين ظهور الشيخ رحمت الله الهندي وزميله الطبيب محمد وزير خان البنغالي اللَّذَين اتَّحدا على الرد على الحركة التبشيرية عمومًا وعلى مزاعم فاندر خصوصًا، فردا على الكتب بالكتب وعلى الجرائد بالجرائد وأسسا جماعة التبليغ للدين الإسلامي.

كان الشيخ رحمت الله سريع التنبه إلى عواقب الأمور، وهو يرى بأم روحه حماس المنصرين في الهند يلتهب بوقود الإنجليز، فعكف على كتب النصرانية، وفقه بها مداخلَ ومخارجَ، وتميز بها من أصحابها الحفظة، وجمع هذا إلى ما عنده من فقه الإسلام في كل علومه، وجعل كل وقته بعد أن ترك التدريس للتأليف العلمي الدقيق الممنهج المحقق للرد على المنصرين، حتى صارت كتبه مراجعَ في بابها، وصار هو الأستاذ الأول في علم مقارنة الأديان والرد على النصارى.

وبعد أن تمكن من مادة المناظرة والمواجهة، عمل على تأسيس مراكز لتدريب الدعاة المسلمين على مواجهة المنصرين، بالحجة والبرهان، وعلى التصدي لمشاريعهم التنصيرية في أصقاع الهند، فحققت هذه المراكز معاني الدين القويم في قلوب المسلمين، وثبتت عقيدتهم باليقين، ووقفت سدًّا منيعًا في وجه سيول التشكيك والافتراء، وانطلقت منها بشائر الهداية، والغيرة على الإسلام، إلى جميع مناطق الهند، فتأسست على نهجها وببركتها وفكرتها جمعيات

حماية الإسلام.

ثم أردف هذا بالمواجهة التقريرية المباشرة عن طريق المناظرة؛ لأن المنصرين زاد تبجحهم بباطلهم، وبلغت جرأتهم حدود الخطر الأقصى، إذ أعلنوا لمدعويهم من المسلمين عن مطالبهم بالتمادي على دينهم الإسلامي لما فيه من ضلال بزعمهم، ولأنهم صاروا يدعون أن علماء المسلمين يتهربون من مواجهتهم، لهزال مذهبهم وتآكل حجتهم، فكانت مناظرته وصديقه الدكتور محمد وزير خان مع القس كئي والقس فرنج...

* * *

مناظرة الهند الصغرى 5

الصَّادقُ مع غايته يدركُ أنَّه قبلَ الرِّماءِ تُملأُ
الكَنائنُ، والكاذبُ يملأُ كنائنَه أنصافَ
سهامٍ، والعَوْداتِ كواملَ أمانيه الَّتي
سقطتْ عمدًا، وما درَى أنَّ الأرضَ تقتلُ
جاهلَها.
الصَّادقُ مع السَّماءِ يراهُ أهلُ الحقيقةِ أضوأَ
من شمسِ الظَّهيرة... والكاذبُ إذا أخرجَ
يدَهُ لم يكدْ يراها.

كان الدكتور محمد وزير خان، وهو من مواليد «بِهَار= Bihar» في البنغال، قد اطَّلع على نشاطات المنصرين، حين كان يدرسُ الطِّبَّ في كلكوتة، بعد أن أتمَّ دراستَه الثَّانويَّة واللُّغة الإنجليزيَّة في مرشد آباد، فقرَّر أن يواجهَهم بعد إعداد العدَّة، فلمَّا بُعث إلى مدينة لندن لإتمام دراساته العليا في الطِّبّ، انتهز الفُرصة للمطالعة في الكتب النَّاقدة للنَّصرانيَّة، والَّتي صدرت آنذاك في ألمانيا وبريطانيا.

ثمَّ عاد من لندن، وعُيِّنَ مُحاضرًا في علم العقاقير بكليَّة الطِّبِّ في أكبر آباد.

وفي إحدى سفرات الشيخ رحمت الله إلى مدينة أكبر آباد قبيل (١٨٥٠م)، تعرَّف على الدكتور محمد وزير خان، وكان تعارفًا ربانيًّا وفاتحةَ خيرٍ عظيمٍ، فقد أمدَّ محمد وزير خان الشَّيخ بما حصَّله من معارف وخبرة بالنَّصرانيَّة، وأطلعَهُ على نتائج حركة النَّقد التَّاريخي والعقلي للكتاب المقدَّس في أوروبا. فاتفقا على التَّآزر من أجل كفِّ شرِّ القسيس «كارل فاندر» وجماعته بدعوته إلى مناظرةٍ أمامَ الملأ فيما يدَّعيه، وبعدَ ثلاث سنين من الدِّراسة والعمل أثمرت جهودهما، فألَّف الشيخ رحمت الله أوَّلًا عدَّة كتب في الرَّدِّ على المنصرين:

- أولها كتاب «إزالة الأوهام»، باللُّغة الفارسيَّة، ويقع في (٥٦٤) صفحة. وقد طبع في دلهي سنة (١٢٦٩هـ).

- والثاني كتاب «إزالة الشكوك»، بلغة الأوردو، ألَّفه للإجابة عن تسعة وعشرين سؤالًا أوردها المنصِّرون على علماء الإسلام، وتسمَّى سؤالات الكرانجي، منشأها من قصَّة المسلم الَّذي ارتدَّ في مدينة كراتشي، فاستغل القساوسة هذا الحدث، وقاموا بوضع (٢٩) سؤالًا على لسانِهِ ليكون أكثر تأثيرًا في المتشككين أو رقاق الدين من أن يعترضوا بلسانهم، ويشجعوا بذلك التأثير على الارتداد، ويطمئنوا على خطة سير علمهم، لكن الأمر بلغ ولي العهد «مرزا فخر الدين بهادر»، فاستفزه، وطلب من الشيخ رحمت الله أن يرد على هذه الشكوك والطعون المزيَّفة، استجابةً لنداء الحقيقة والواجب، وأجاب عنها بمجلدين ضخمين سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م)، ويقع في (١١١٦)

صفحة، أورد فيها الأدلَّة القاطعة على إثبات نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، وإثبات وقوع التحريف المتعمَّد في كتب العهد القديم والجديد.

- والثالث كتاب «الإعجاز العيسوي»، كتبه بالأوردية في أكبر آباد سنة (١٢٧٠هـ)، وطبعه سنة (١٢٧١هـ/ ١٨٥٢م)، وأثبت فيه بالأدلة القاطعة تحريف الأناجيل بكل نسخه، ويقع في (٧٧٣) صفحة.

- والرابع كتاب «أحسن الأحاديث في إبطال التَّثليث»، فرغ من تأليفه بالأوردية سنة (١٢٧١هـ)، ويقع في سبعين صفحة.

وله كتب أخرى ضاعت في أثناء نهب المستعمر الإنجليزي لمنزله زمن الثَّورة (١٨٥٧م).

ثمَّ تحقق أول لقاء بين الشيخ رحمت الله وصديقه وزير خان مع القس كئي والقس الإنجليزي «طوماس فالبي فرنج= Thomas Valpy French» في منزل هذا الأخير بأكبر آباد سنة (١٨٥٤م)، تناظروا فيه في مسألة تحريف الكتاب المقدَّس، على الصورة الآتية:

قال القسيس كئي للقسيس فرنج: اطلب من الشيخ إثبات تحريف التوراة والإنجيل والدليل على ذلك.

قال الدكتور محمد وزير خان: يجب تحديد شروط للمناظرة قبل إثبات التحريف.

قال القسيس كئي: تحريف التوارة غير ممكن، لأن نسخة التوراة التي كتبها موسى بخط يده كانت محفوظة إلى عهد نبوخذ ناصّر ملك بابل في التابوت،

وكان التابوت في هيكل سليمان بأورشليم القدس وكان كل ملك يجلس على كرسي الملكة يكتب لنفسه نسخة من التوراة ويجعلها دستور حياته.

قال الشيخ رحمت الله: إن التابوت لما أخرج من الهيكل في عهد سليمان عليه السلام لم يكن فيه سوى لوحي العهد وما كانت التوراة التي كتبها موسى بخط يده.

قال القسيسان: وما الدليل على ذلك؟

قال الشيخ رحمت الله: في سفر الملوك الأول، الأصحاح الثامن الآية التاسعة وهذا نصها: «**لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إِلاَّ لَوْحَا الْحَجَرِ اللَّذَانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى هُنَاكَ فِي حُورِيبَ حِينَ عَاهَدَ الرَّبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ**».

قال القسيس فرنج: هذا شيء تافه لا يثبت به التحريف.

قال الشي رحمت الله: إن للتحريف عندي أدلة غير هذا الدليل.

قال القسيس فرنج: قد شهد داود النبي بأن عنده كتاب الله وأنه يتلوه، وهو أب لسليمان.

قال الدكتور محمد وزير خان: ما الذي كان عنده من أسفار التوراة المتداولة حاليًا؟

قال فرنج: إن التوراة كانت عنده موجودة.

قال الدكتور: نحن نتكلم حول التوراة الموجودة حاليًا دون التوراة القديمة، واعلم أولًا أن سند كتب التوراة والإنجيل لم يصل إلينا بالتواتر. وثانيًا قد ألحقت حتمًا بهذه الكتب آيات كثيرة. وثالثًا فيها كثير من الروايات الكاذبة

وأكثر المعاني مختلفة.

قال القسيس فرنج: إن السند موجود في الكتب الأخرى.

قال الشيخ رحمت الله: لا أطلب منك الآن أكثر من سندين واحد منهما لسفر أيوب والثاني لسفر الإنشاد الذي لسليمان.

سكت القسيس عن الجواب، وبدأ يتكلم عن العهد الجديد أي كتب الإنجيل.

قال: إن إسناد كتب العهد الجديد موجود في كلام القدماء، موجود في كتب آبائنا الكرام.

قال الشيخ رحمت الله: إن يوسي بيس وهو واحد من مؤرخيكم كتب في كتابه تاريخ كليسا أن القدماء كانوا لا يثقون في رسالة يعقوب ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة، وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي، وقال يوسي بيس أيضًا إن بعض العلماء صرحوا بأن هذه الكتب من تأليف شرن بهيس الكافر.

قال القسيس فرنج: اتركوا تاريخ يوسي بيس.

قال الشيخ رحمت الله: ائتوا بإسناد سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي المشاهدات.

فبدأ القسيسان يتحاوران باللغة الإنجليزية، ثم قالا: تسلمت جميع الكنائس هذه الكتب واعتبروها صادقة.

قال الدكتور محمد وزير خان: ماذا تريدون بالكنائس؟ لو أردتم جميع المسيحيين القدماء فهذا غلط، ولو أردتم مجمع كارتهيج فهذا صحيح. ومع ذلك ما كان أحدٌ يعتبر هذه الكتب إلهامية، وبخاصة كتاب يهوديت وكتاب وزدم وكتاب المكابيين وكتاب إيكليزا ستيكس وكتاب باروخ وهذه الكتب

أنتم معشر البروتستنت لا تعتبرونها إلهامية مقدسة. ومجمع نائس اختلف فيها على ثلاثة أقوال:

- الأول: كتب صاحب إكسيهومو أن أصحاب مجمع نائس قد وضعوا الأسفار الكاذبة والصادقة على المذبح وأوقدوا النار، وقالوا: إن الأسفار الكاذبة ستأكلها النيران والصادقة سيحفظها الله. واشتغلوا بالدعاء والتسبيح عند ذلك. وهذا يعني على صحة الرواية أنهم ما كانوا يميزون بين الصادق والكاذب من الأسفار.

- الثاني: قال لاردنر: لم يرد في مجمع نائس ذكر تلك الكتب التي تحكم بصحة قول جوتهيودورت أن الكتب التي وضعت على المذبح لها سند.

- الثالث: أن كيهو . لك . رومن يقولون: إن كتاب يهوديت لم يعرفه المجمع كتابًا إلهاميًّا.

أي قول تعتبرون من هذه الأقوال الثلاثة؟

فلم يحر القسيسان جوابًا.

قال الدكتور محمد وزير خان: اتركوا هذا إذا كان الحرج فيه واضحًا.

قال القسيسان: سنريكم صحة كتبنا.

ثم وقف القسيس كئي وتوجه إلى المكتبة وأحضر كتاب بيلي وأراد أن يفتحه على مجمع نائس ففتحه مصادفة على مجمع لوديسيا، ووجد فيه أن سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي لم يعتبره مجمع لوديسيا كتابًا مقدسًا.

فقال الدكتور محمد وزير خان: لقد ثبتت صحة قولي.

فقال القسيس وقد ظهر الخزي على وجهه: إن صحة إسناد سفر الرؤيا موجود في كلام مشايخنا الكرام.

فقال الدكتور محمد: من من هؤلاء المشايخ؟

فاستفسر القسيس كئي من القسيس فرنج فقال له: أول من ذكر صحة إسناد سفر الرؤيا هو كليمنت.

فقال الدكتور محمد: إن رسالة كليمنت كتب عنها لاردنر: «إن هذه الرسالة تشابهت معانيها مع معاني الإنجيل. ولذا يقول النصارى: إنه نقلها من الإنجيل». ولا نسلم برسالة كليمنت لأنه لا يكتب المرجع والمصدر صراحةً. ومن الممكن أن يكون كليمنت قد نقل صحة إسناد سفر الرؤيا من طريق رواية لسانية.

قال القسيس: ما حال قرآنكم؟

قال الدكتور محمد: إن القرآن منقول بالتواتر، حتى حركاته وكلماته.

فقال القسيسان: نحن لا نتكلم الآن عن القرآن.

ثم إن القسيسان أحضرا تفسير هارن وعرضا على الشيخ رحمت الله والدكتور محمد وزير خان عبارة موجودة في المجلد الثاني الصفحة (٣٣٩) طبعة سنة (١٨٢٢م) ومفهومها هكذا: يظهر من هذه العبارة أن الأصل العبراني محرف، وغرضهما من هذا العرض الطعن في هارن بعدم معرفته للغة العبرانية، فلا يعتد بكلامه، ومن ثم لا يحتج الشيخ والدكتور بالآيات التي ذكرها هارن على تحريف التوراة.

ثم قال القسيسان: إن هارن يكتب أن الأصل العبراني محرف في المواضع التالية:

١- ملاخي ٣ : ١

٢- ملاخي ٥ : ٢

٣- مزمور ١١ : ٨-١١

٤- مزمور ٤٠ : ٦-٨

٥- مزمور ١١٠ : ٤

٦- عاموس ٩ : ١٢

وقال فرنج: إن القسيس كئي له إلمام تام باللغة العبرانية، ولكن الأستاذ هارن لم يكن ملمًّا باللغة العبرانية وإن كان عظيم الشأن في زمنه.

عندئذ أظهر له الشيخ رحمت الله موضعين من تفسير هنري وإسكات فيهما قد حرف الأصل العبراني.

فقال فرنج: إن هنري وإسكات كانا مفسرين كبيرين، ولكنهما لم يعرفا العبرانية.

قال الشيخ رحمت الله: لأنكم تطعنون في كبار مفسري الكتاب المقدس، فإني أعرض نصًّا من التوراة نفسها يبين التحريف بوضوح تام:

الآية (١١) والآية (١٢) من الأصحاح (٢١) من سفر أخبار الأيام الأولى تخالف صراحة الآية (١٣) من الأصحاح (٢٤) من سفر صموئيل الثاني.

والنص الأول هكذا: «فَجَاءَ جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْبَلْ

لِنَفْسِكَ: إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ هَلاَكٌ أَمَامَ مُضَايِقِيكَ وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَكُونُ فِيهَا سَيْفُ الرَّبِّ وَوَبَأٌ فِي الأَرْضِ، وَمَلاَكُ الرَّبِّ يَعْثُو فِي كُلِّ تُخُومِ إِسْرَائِيلَ. فَانْظُرِ الآنَ مَاذَا أَرُدُّ جَوَابًا لِمُرْسِلِي».

والنص الثاني هكذا: «فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ، أَمْ تَهْرُبُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتْبَعُونَكَ، أَمْ يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَبَأٌ فِي أَرْضِكَ؟ فَالآنَ اعْرِفْ وَانْظُرْ مَاذَا أَرُدُّ جَوَابًا عَلَى مُرْسِلِي».

فلما سمع القسيس كئي أنهى المباحثة وأظهر سروره بلقاء الشيخ والدكتور ثم بعد الترحيب وإظهار السرور أضاف قائلًا:

إن صفات الله تعالى في التوراة والزبور والإنجيل متشابهة وليست صفات الله في القرآن كما في الكتب الثلاثة.

فقال الدكتور محمد: صحيح. إن القرآن يخلو من الخرافات التي هي ظاهرة في عقائدكم حيث تقولون: إن الآلهة ثلاثة: أحدهم في السماء والثاني كان في رحم مريم تسعة أشهر ثم خرج طفلًا يأكل ويشرب والثالث منهم نزل على الإله الثاني في صورة حمامة.

وعلى إثر ذلك استأذن القسيس كئي وانصرف.

ولما هم الشيخ رحمت الله والدكتور محمد بالانصراف قال القسيس فرنج: انتظروا قليلًا.

ثم خرج من المجلس وعاد يتحدث معهما في بعض الأمور، حتى انجر الكلام

إلى العقائد فأخذ الدكتور محمد وزير خان يعرض عليه الأصحاح الأول من إنجيل متى، الآية (٨) و(٩)، وفيهما: «يُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ». وفي سفر أخبار الأيام الأول الأصحاح الثالث من الآية (١١) حتى الآية (١٣) هكذا: «وَابْنُهُ يُورَامُ، وَابْنُهُ أَخَزْيَا، وَابْنُهُ يُوآشُ، وَابْنُهُ أَمَصْيَا، وَابْنُهُ عَزَرْيَا، وَابْنُهُ يُوثَامُ، وَابْنُهُ آحَازُ».

فبين يورام وعزيا أو عزريا ثلاثة آباء ساقطين، فإما أخطأ متى وإما كذب كاتب سفر الأخبار.

وبعض النظر عن ذلك فإن متى ذكر أيضًا في الأصحاح نفسه بعد الآيتين السابقتين: أن يُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ، ويَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِيئِيلَ. وَشَأَلْتِيئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. مع أن يكنيا ابن ابن يوسيا لا ابنه، ولم يكن ليكنيا إخوة وزَرُبَّابِلُ ليس ابن شَأَلْتِيئِيلَ، بل ابن عمه. وذلك واضح من سفر الأخبار.

فأجاب القسيس فرنج: يمكن أن يكون متى أخذ من أوراق غير مقدسة.

قرد الدكتور محمد وزير خان: لا يمكن هذا التوجيه فإن الثلاثة (أخزيا ويوآش وأمصيا) كانوا ملوكًا معروفين. ومع هذا كله فقد تسرب الخطأ إلى الأنساب كما رأيت، وليس من مانع في تسرب الخطأ إلى الكتاب كله، ولعل متى لم يدرس التاريخ القديم فلذلك أخطأ كثيرًا.

هنا هموا بالانصراف، وبينما هم وقوف قال الدكتور محمد وزير خان للقسيس فرنج: ما اسمك؟

قال فرنج: اسمي فرنج.

قال الدكتور محمد: لو أقول إن عمر القسيس فرنج الواقف أمامنا الآن (٢٢) سنة وقال الشيخ رحمت الله: إن عمره (٤٤) سنة فما رأيكم في هذا الكلام؟

فرد القسيس فرنج: هذا صعب جدًّا.

فقال الدكتور محمد وزير خان: لو أثبتنا مثل هذا الكلام في كتابكم المقدس فماذا تقولون؟

فسأل القسيس في دهشة: أين هذا الكلام؟

فأشار الدكتور إلى الشيخ رحمت الله. فعرض عليه الآية الثانية من الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني وعرض عليه الآية (٢٦) من الأصحاح الثاني من سفر الملوك الثاني.

حيث كتب في الأول: «**كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي**».

وكتب في الثاني: «**وَكَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ، وَاسْمُ أُمِّهِ عَثَلْيَا بِنْتُ عُمْرِي مَلِكِ إِسْرَائِيلَ**».

فأجاب القسيس فرنج: إن الأخطاء في الأعداد فقط، وهي أخطاء لا تضر العقائد والشرائع.

فرد الدكتور محمد: لما ثبتت هذه الأخطاء كلها في كتابكم المقدس فما تلك الدلائل التي تثبت أن العقائد والشرائع صادقة لم يطرأ عليها تحريف ما؟

وقد أحصيت أنا بنفسي أكثر من مئة خطأ في كتابكم المقدس. ولا يوجد خطأ واحد في القرآن، فلماذا لا تؤمن بالإسلام أيها القسيس؟

فرد القسيس قائلًا: إن هذا لشيء عظيم جدًّا.

وانتهى المجلس.

وخرج الشيخ وصديقه من هذا اللقاء الخاص بوسام غلبة معلق على أكتاف النجوم دائمة الهدى.

* * *

مناظرة الهند الكبرى 6

إذا كان ما يُعرفُ عنك غيضًا من فيضٍ فقد
نلـــتَ رأسَ الحكمـــة، وســـدتَ علـــى
مناظريك أنَّ كلَّهـم عندَك، وبعضَـك لـيس
عندَهـم.
وإذا وقعـتَ في جنايـةٍ لا حيلـةَ في تلافيهـا
فغادرْ ولا ترقعْ، وصنِّفْ مثيلاتِها في قائمـة
الدَّواهي الَّتي تذهبُ بماءِ الرُّوح.

بعد خروج القسيسان كئي وفرنج من المناظرة المغلقة مع الشيخ رحمت الله وصديقه الدكتور محمد وزير خان بخفَّي خيبةٍ، اجتمعت الأسبابُ لمناظرة كبرى لكلِّ طرفٍ فيها حساباتُهُ وأحلامُهُ التي ينوي أن يؤوِّلَها له سجينُ عقيدتِهِ، فكانت المناظرة المرتقبة بعد ثلاثة أشهر...

جمعَ السيد عبد الله الهندي في رسالةٍ مضمونَ هذه المناظرة الكبرى، والمكاتبات الَّتي جرت بين المتناظرين، وقد كان موجودًا في مجلس المناظرة، بغيةَ الاتِّفاق عليها، بالأوردية، وقد كان مترجمًا ثانيًا للدولة الإنجليزيَّة في دار

الحكومة أكبر آباد، وطبعها سنة (١٢٧٠هـ) في أكبر آباد، وبيَّن فيها حالَ المناظرة، وكتب في آخر الرسالة المذكورة مضبطةً بشهاداتِ الأشخاص المعتبرين الَّذين كانوا حاضرين في المجلس المذكور مثل: قاضي القضاة محمد أسد الله والمفتي محمد رياض الدين، والفاضل فيض أحمد باشكاتب النظارة المالية، والفاضل أمجد علي وكيل الدولة الإنجليزية، وبعض أمراء الإنجليز أيضًا وغيرهم، حتى إنهم كانوا وقت الطبع والاشتهار قائمين على حكومتهم.

وبعد المناظرة كتب وزير الدين بن شرف الدين الذي كان من حضَّار ذلك المجلس رسالةً بالفارسيَّة سمَّاها «البحث الشَّريف في إثبات النَّسخ والتَّحريف»، طبعت في دهلي بأمر ولي العهد «مرزا فخر الدين بن سراج الدين بهادر شاه» سلطان دهلي، ونشر نُسخها بأمر ولي العهد في أقطار الهند، وهذه الرسالة مطابقة لرسالة عبد الله الهندي، علمًا أنَّ خبر هذه المناظرة وكون القسيس مغلوبًا فيها بمنزلة المتواتر المعنوي عند أهل الهند، ثمَّ قام السيد رفاعي الخولي بترجمتها من الأوردية إلى العربيَّة، ليظهر الحال على أهل العلم من المسلمين كافةً، ويعلموا أنَّ مؤلف «ميزان الحق» الَّذي حصل له نوع اعتبار عند بعض الجهال الذين هم كالأنعام هو الذي ألزم في هذه المناظرة على رؤوس الأشهاد في مسألتي النَّسخ والتَّحريف اللتين كان يطيل اللسان فيهما بالنسبة إلى أهل الإسلام.

يذكر السيد عبد الله الأكبر آبادي الباعث على المناظرة فيما يخصُّ الشيخ

رحمت الله، بأنَّه أراد أن يظهر على الكلِّ من الخاص والعام حالَ المسائل المتنازعة بين المسلمين والمسيحيين على أكمل وجهٍ، فرأى أنَّ الأحسن في هذا الباب انعقاد المحفل العام لأجل المناظرة لوجهين:

- **الأول** أنَّ المباحثة التَّحريرية تطول فيها المدَّة، وما كانت له فرصة إلى هذه المدة، لأنَّه كان يريد الرجوع إلى بلده دهلي.

- **والثاني** أنَّ المباحثة التَّحريرية يقع فيها خلطُ المبحث غالبًا، فلا تحصل منها نتيجةٌ حسنة، فاستدعى هذا الأمر من القسيس فاندر، وأرسل إليه، وتقرَّرت المناظرة بعد مكتوبات معدودة على هذا الترتيب:

يناظر أولًا في النَّسخ، ثم التحريف، ثم التثليث، ثم حقية القرآن، ثم في نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلَّم.

وتقرَّر أنَّ يكون القسيس فاندر والقسيس فرنج في جانب، والشيخ رحمت الله والحكيم محمد وزير خان في جانب آخر، لكنَّ هذه المناظرة ما وصلت إلى منتهاها، بل تمَّت على مبحث النسخ والتَّحريف، وتوقف القسيس فاندر عند هذا الحد لهزيمته، فجعل السيد عبد الله الهندي هذه المباحثة على خمسة أقسام:

القسم الأول: مكاتيب الشيخ رحمت الله والقسيس فاندر، والتقرير اللساني الذي جرى بينهما.

وفي القسم الثاني: مكاتيب القسيس فاندر والحكيم محمد وزير خان.

وفي القسم الثالث: أدلة إبطال التثليث.

وفي القسم الرابع: أدلة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي القسم الخامس: رد رسالة المباحثة التي طبعها القسيس بعد أن أرسل مكتوبه وثلاثة كتب مملوءة بالمطاعن إلى الحكيم محمد وزير خان، فقامت على هذه الحركة مباحثة جديدة أخرى. ثم طبع المباحثة على طريق آخر على حسب اشتهاء خاطره.

وفي الخاتمة نتيجة هذه المباحثة.

***

---- المكاتيب قبل المناظرة ----

المكتوب الأول: من الشيخ رحمت الله...

إني وصلت إلى هذا البلد، أيْ أكبر آباد، لأمرٍ ما، وحصل لي الفراغُ من هذا الأمر الَّذي كنت مشتغلًا فيه، وأريدُ أن أرجع إلى دهلي، وارتسمَ في قلبي إلى الآن بفضل الله بالأدلَّة القطعيَّة أنَّ الكتب المقدَّسة عندكم منسوخةٌ ومحرَّفة، وأنَّ الدين الأحمديَّ حقٌّ، ارتسامًا لا يخطر ببالي خلافُه، ولو على سبيل الوهم الضَّعيف أيضًا، وطالعتُ مطالعةً كثيرةً في كتبكم، وكتبتُ جوابها أيضًا، ولكم توجُّهٌ تامٌّ في ردِّ الملَّة الإسلاميَّة، وقال الفاضل «أمير الله» إنَّكم كما تحبُّون المباحثة التَّحريرية بمقتضى الكمال فكذلك تحبون المباحثة التَّقريريَّة في

المشافهة أيضًا، وأمرتم أن أحضر في بيتكم، فحضرتُ على ما أمرتُم بمعيَّة الفاضل المذكور، لكنَّني رجعتُ بدون اللِّقاء لقصور الطَّالع، وأريد لأجل الأمور الَّتي مرَّ ذكرها أن أستفيدَ من تقريركم بحضور الأشخاص المعدودين من أهل العلم من المسلمين والمسيحيين، وأظهر مكنوناتي؛ ليحصلَ لكلٍّ من الحاضرين اطِّلاعٌ على إفادتكم، ولما صرحتم به في تأليفاتكم من أنَّ مسألتَي النَّسخ والتَّحريف أعظم المسائل المتنازع فيها بينَ المسيحيين والمحمديين، وقلتُم إنهما أوَّل أمورٍ من المباحثة كما هو مصرَّح في مكتوبكم الأوَّل المندرج في «حل الأشكال» والعبد الفقيرُ أيضًا سلَّم كونهما عُمدةً؛ اتباعًا لرأيكم، ورضي أن تكون المباحثة أوَّلًا على هاتين المسألتين، وبعدهما يُتكلَّم في المسألة الَّتي يقعُ عليها رضا الطَّرفين، فإن كان هذا الأمر مقبولًا عندكم فعيِّنوا يومًا ومكانًا، ثمَّ أخبروني لأقيمَ في هذا البلد إلى أن أفرغَ من هذا الأمر، وإلا أرجع إلى دهلي، إذ لا مطلوبَ لي في الإقامة بهذا البلد غير المباحثة.

فأرجو من لطفكم أن تخبروني في جوابِ هذا المكتوب عن أحد الأمرين، ووصل إليكم كتاب «إزالة الأوهام» من دهلي، والغالب أنَّ رسالة «أحسن الأحاديث في إبطال التثليث» وصلتْ أيضًا إليكم، وسيصلُ إليكم الكتاب «الإعجاز العيسوي»، الذي حصل لي الفراغ من تأليفه في هذه الأيام، ونقدت فيه في آخره الفصل الثالث من الباب الأوَّل من «ميزان الحق» أيضًا، وأجبتُ عنه كلمةً كلمةً، وسيصلُ بعد ذلك كتاب «إزالة الشكوك» الَّذي هو جواب سؤالات «الكرانجي». فرغت من تأليفه من مدَّة، ووقع الهَرج في طبعه، بسبب

وصولي إلى هذا البلد، وسوف يطبعُ إذا رجعتُ إلى دهلي، وبعد ذلك يصلُ كتاب «الاستبشار» الَّذي هو رد «حل الأشكال»، وألفه بعض أحبائي، وأرسلَه إليَّ، وسيطبعُ أيضًا، وسيصلُ إليكم بعد ذلك كتاب «معدل اعوجاج الميزان» جواب «ميزان الحق» الَّذي جاء ذكره في «إزالة الأوهام».

فالحاصلُ أنَّ كلَّ كتاب بعد الطَّبع يصل إليكم.

هدانا الله وعباده أجمعين إلى معرفة الحق، ووفق للسُّلوك على الطريق المستقيم، وخلَّصَنا من التَّعصُّب والأمور المضرَّة للآخرة آمين.

٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ و ٢٣ مارس سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الأول من القسيس فاندر...

وصل كتابُكُم الكريم، وانكشفت الحالات، وتأسفتُ على أنكم شرَّفتم بيتي، وما كنتُ حاضرًا، ورجعتم بلا نيلِ المقصود، لكنِّي معذورٌ، لأني ما كنتُ مطلعًا على عزم مجيئكم من قبل، وما قلتُ للفاضل «أمير الله» في مجيئكم إلى بيتي غيرَ أني قلتُ في جواب بعض أقواله هذا الكلام يقينًا: إن كانوا طالبي المناظرة علانيةً، فلا بدَّ من الملاقاة أوَّلًا.

وما أمرتُ كما أشرتم، وظهرَ من مكتوبكم أنَّ مقصودَكم المباحثة العلانية في مجمع أشخاصٍ من الفريقين، وهذه الطَّريقة، وإن لم تكن عندي مفيدةً إفادةً كثيرةً، لكنِّي لست بخارج عن إطاعة أمركم، وأشاورُ أوَّلًا في تعيين اليوم والوقت اثنين أو ثلاثة من أمراء الإنجليز، ثمَّ أخبركم، وينعقدُ محفل المناظرة

بعده. والمستحسن أن يُراعى في هذه المباحثة هذه الأمور:

الأمر الأول: أن تكون المناظرةُ في النَّسخ والتَّحريف كما استدعيتم.

والثاني: أن يُتكلَّم في أمرٍ يكون مختار الطَّرفين.

والثالث: ألا يذكر أمرٌ خارجٌ عن المبحث في أثناء المناظرة.

والرابع: أن يكون واحدٌ حكمًا يقال له: «جيرمن» في عرف الإنجليز، لئلا يكون محفل المناظرة عاريًا من حسن الانتظام والتهذيب فقط.

٢٣ مارس سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الثاني من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وصرتُ ممنونًا لأجل قبولكم المناظرة العلانية، وظهر ما وعدتم من الأخبار عن تعيين اليوم والوقت بعد المشاورة، وما طلبتم مني من مراعاة الأمور الأربعة، فأرجو أن تخبروني بعد المشاورة.

الأمر الأوَّل كان مقبولًا عندي من قبلُ اتباعًا لرأيكم، والأمر الثَّالث لما كان محمودًا مستحسنًا موافقًا لأدب المناظرة صار مقبولًا بكمال الرضا. لكنَّ الأمر الثاني محتاجٌ إلى شيء من التَّوضيح، فلذلك أكلفكم أن تصرحوا بمقصودكم من هذه الفقرة: «يتكلم في أمر يكون مختار الطرفين»، لأبادر إلى القبول بعد العلم.

بقي الأمر الرابع، والغالب أن مرادكم بلفظ (أحد) أميرٌ من أمراء الإنجليز، وإني غريب في هذا البلد، لا أعرف أحدًا من هؤلاء العظام، لأظهر رضاي به،

وإن رضيت بأحد من أهل الإسلام، فالغالب أنَّ هذا الأمر لا يكون مقبولًا عندكم، ولأنَّ هذه المباحثة تكون في المسائل العظيمة. ففي هذه الصورة سواء كان الحكم مسيحيًّا أو محمديًّا أيْ مسلمًا لا ترتفع شبهة رعاية الحكم عن قلوب الخلق سواء كان مسيحيًّا أو محمديًّا، فأرى ألَّا يكونَ هذا الأمر مشروطًا، وظاهره أنَّ هذا الأمر ليس بمحتاج إليه أيضًا؛ لأنَّه إذا كان أهل العلم من المسلمين والمسيحيين والمجوسيين في محفل المناظرة فهذا المحفل لا يكون عاريًا عن حسن الانتظام، والفقيرُ قليلُ المعرفة باللِّسان الإنجليزي، ويحتاج الفريقان إلى تصحيح النَّقل عن الكتب، فجعلتُ الحكيم محمد وزير خان شريكًا لي، فاختاروا أنتم لأجلكم شريكًا يكون لائقًا بهذا الأمر، ويُراعى إلى آخر المباحثة ألَّا يكون لأحدٍ دخل في أثناء المناظرة، ولا يتكلم بلا أو نعم غير الأربعة، أعني إيَّاكم وشريككم، وإيَّاي والحكيم محمد وزير خان.

٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ و ٢٤ مارس سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب الثاني من القسيس فاندر... وصل كتابكم في جواب كتابي، وانكشف مضامينه انكشافًا بينًا، وهذا العبد أيضًا راضٍ أن يكون الاثنانِ من الجانبين، ولا يكون الحكم، فكون الحكيم محمد وزير خان في جانبكم مقبول، ويكون القسيس فرنج في جانبي، لكنه يذهب اليوم لأجل تبديل الهواء، ويرجع بعد أسبوعين، فتكون المباحثة متأخِّرة إلى مجيئه، فإذا جاء ينعقدُ محفل المناظرة.

ولما جرت العادة أن أكثر الناظرين والسامعين يجتمعون عند انعقاد أمثال هذا

المحفل، فالمتيقن أنَّه يجتمع في هذا الوقت من الجانبين أكثر الأمراء من الإنجليز، وأكثر أهل البلدة، ولا يكون لأحد دخل في المباحثة إلا إن خطر ببال أحد قولٌ حسنٌ أو كلمةٌ مستحسنةٌ، لا يكون له ممانعة عن الإظهار، ويكون هذا الأمر منحصرًا في الاثنين اللذين تقررَا من كل جانب فقط.

٢٥ مارس سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الثالث من الشيخ رحمت الله...

وصلَ كتابكم الكريم في جواب كتابي، وظهر أنكم رضيتم بفَسْخ الشرط الرابع، واستحسنتم كون الاثنين من الجانبين، وقبلتم أن يكون الحكيم محمد وزير خان شريكًا لي، وجعلتم القسيس فرنج شريكًا لكم، وطلبتم مهلة أسبوعين لأجل عذر القسيس فرنج.

ولا يخفى عليكم أن إقامتي في هذه البلدة كإقامة المسافرين، ولا أحب زيادتها، وقد طلبت منكم في الكتاب السابق توضيح الشرط الثاني، لكنكم ما أوضحتم في جوابه، فالآن استدعى منكم ثلاثة أمور معتمدًا على لطفكم:

الأول ألَّا تستدعي مهلة أخرى غير مهلة الأسبوعين التي قبلت اتباعًا لأمركم.

والثاني إيضاح الشرط الثاني لأتكلم عليه من القبول أو عدمه.

والثالث أن تخبروني عن تعيين المكان في هذين الأسبوعين قبل يوم المناظرة بثلاثة أيام أو أربعة... والسلامُ على من اتَّبع الهدى.

جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ و ٢٦ مارس سنة ١٨٥٤م.

المكتوب الثالث من القسيس فاندر...

وصل كتابكم الكريم، وانكشف مقصوده، لا تمتد مدة رجوع القسيس فرنج أزيد من أسبوعين إن شاء الله، فلا تفكروا لأجل هذا الأمر، وإذا جاء أخبركم، وينعقد محفل المناظرة في «الخان» الذي كان فيه مدرسة في السابق، وتكون جلسة المناظرة وقت الصبح من الساعة السادسة ونصف إلى الساعة الثامنة؛ لأن أمراء الإنجليز لا يتحملون الجلوس أزيد من هذا، ولا أقدر على تعيين يوم المناظرة الآن، وأخبركم عنه بعد رجوع القسيس فرنج.

وتوضيح الشرط الثاني أنكم أشرتم في المكتوب الأول أنه يُتكلم بعد مباحثة النسخ والتحريف في المسألة التي يكون عليها اتفاق الفريقين، فجعلت هذه الإشارة قانونًا في مكتوبي، وكتبت أن المباحثة تكون أولًا على النسخ والتحريف، ثم على أمر يكون مختارَ الفريقين، كأن تكون عن نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، بأن توردوا الدلائل التي تكون مثبتة لرسالته.

٢٧ مارس سنة ١٨٥٤م

* * *

المكتوب الرابع من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وعلمتُ أن مدة المهلة لا تتجاوز عن الأسبوعين، وأن الجلسة تكون في الخان الذي كانت المدرسة فيه، وأن وقت الجلسة يكون وقت الصبح من الساعة السادسة ونصف إلى الثامنة، ففرحت فرحًا كثيرًا بإدراك مضمون الفقرة الأولى، وقبلت الأمر المندرج في الفقرة الثانية، برضا

القلب، لكنِّي لا أبادر إلى قبول مضمون الفقرة الثالثة لأمرين:

- الأول أن الظاهر أنكم تجيبون في هذه المباحثة يومًا واحدًا، والمدة ساعة ونصف، ويضيع فيها أيضًا في انتظار الناس مقدار نصف ساعة، ففي الباقية لا يمكن انفصال المسألة الواحدة، فضلًا عن انفصال المسائل الثلاث العظيمة الأخرى التي تقصدون المباحثة فيها.

- والثاني أن الحكيم محمد وزير خان ليس له فرصة في وقت الصبح لانشغاله في هذا الوقت بأمر «خسته خانة»، وإني لست بمحتاج إلى إعانته وشركته، خاصة في هذه المباحثة، وليس له شوق إلى هذه الأمور أيضًا، لكني لا أعرف في هذا البلد غيره ممن له معرفة بلسان الإنجليز، وتقع الحاجة في المناظرة إلى تصحيح النقل والرجوع إلى المنقول عنه يقينًا، ولأجل هذه الضرورة الشديدة جعلته شريكًا، ولكم همة عالية في أمثال هذا الأمر، وحصلَ لكم الامتياز عن جميع القسيسين، فألتمسُ منكم أنَّه لابد لكم من أن تقبلوا هذين الأمرين لإثبات الحق:

- الأول أن توسعوا في الوقت، ولاحظوا أن تعطوا الناس السامعين غير هذا القدر من الوقت الذي حددتموه في أن يجلس كل واحد منهم إلى ما يشاء، ويذهب متى يشاء، وأنتم لا تقومون قبل تصفية المسائل، وسيكون في هذه الصورة أيضًا أناس كثيرون من المسيحيين والمسلمين والمشركين موجودين إلى آخر الجلسة إن شاء الله، وإن ذهب الأمراء العظام من الإنجليز وإن لم تقدروا أن تتحملوا هذه المشقة في يوم واحد، فعينوا في كل يوم مدة ساعة

ونصف إلى أن يحصل الفراغ من تصفية هذه المسائل.

- والثاني أن تكون الجلسة يوم الأحد بعد الساعة العاشرة، لأنه يكون الفراغ في هذا اليوم لجميع متعلقي دولة الإنجليز، ويكون لكم الفراغ أيضًا في هذا اليوم بعد الساعة العاشرة عن العبادة المقررة، وللحكيم عن أمر «خسته خانة»، ولجميع الناس، سواء كانوا أمراء الإنجليز أو أهل البلد عن جانب الأكل والشرب، وإن كان لكم عذر في يوم الأحد فعينوا يومًا آخر بدله بعد العاشرة.

جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ و ٢٨ مارس سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الرابع من القسيس فاندر...

وصل كتابكم الكريم، ووقفتُ على العُذرين اللذين كتبتم لأجل عدم قبول الفقرة الثالثة المندرجة في كتابي، وما ظننتم أني أحضر مجلس المناظرة يومًا واحدًا فقط، فظنٌّ غير صحيح، بل أحضر إلى انفصال المسائل المتنازعة، والجلسات التي تقع إليها الحاجة لتصفية هذه الأمور تنعقد. ولكن مقدار الجلسة ووقتها يكونان كما كتبت في العريضة السابقة ليس غير؛ لأن أمراء الإنجليز ليس لهم وقت أنسب منه في أمثال هذا الأمر، ولا يمكن يوم الأحد كما جوزتم، ويتعسر انعقاد الجلسة على التواتر في كل يوم أيضًا.

نعم يمكن في كل أسبوع مرتين أو ثلاث مرات، وأخبركم عن تعيين أيام انعقاد الجلسة بعد رجوع القسيس فرنس فقط.

٢٨ مارس سنة ١٨٥٤م.

المكتوب الخامس من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وصرت متعجبًا غاية التعجب؛ لأنكم لا ترضون بتبديل الوقت ومقداره، ولا ترضون أيضًا أن تكون المباحثة يوم الأحد، ولا بمجيء كل يوم على التوالي، بل كل أسبوع مرتين أو ثلاث مرات، فالظاهر أنكم تفرون من المباحثة التقريرية، فلا توسعون وقت الجلسة، ولا ترضون بتبديله.

انظروا إلى أني مسافر، ولي هَرج كثير في الإقامة بهذا البلد، ومع ذلك لما استدعيتم مهلة أسبوعين بعذر عزم القسيس فرنج قبلتها، ولا تقبلون تبديل الوقت الذي فيه عذر قوي لشريكي لانشغاله بأمر «خسته خانة»!

والعذر بأن أمراء الإنجليز ليس لهم وقت أنسب منه ضعيفٌ، لأنا لو فرضنا أنهم لا يحضرون، فلا بأس، لأنَّ أناسًا كثيرين آخرين من المسلمين والمسيحيين يحضرون، وهذه المباحثة ليست موقوفة على حضور هؤلاء الأمراء في رأيي، وإن كانت موقوفة في رأيكم على حضورهم، فالغالب أنهم وكذا سائر الناس يكونون فارغين بعد غروب الشمس، فعينوا هذا الوقت، ولو كنت أعرف في هذا البلد أحدًا معتمدًا عارفًا بلسان الإنجليز غير الحكيم المذكور لجعلته شريكًا لي، ولقد اخترت المباحثة التقريرية لأجل أن الانفصال فيها يكون أسرع من المباحثة التحريرية، وهذا الأمر أنسب وأليق بغربتي.

وإذا كانت المباحثة التقريرية في الأسبوع مرة أو مرتين، ولا يكون مقدارها إلا ساعة ونصفًا، فلا رجحان لها على المباحثة التحريرية، ولا يحصل السرور

للسامعين أيضًا، ولا ينقطع الكلام في كل مرة على محله، بل يحتاج إلى إعادته في المرة الثانية، ولا بد من مدة طويلة لا أقدر على تحملها في هذه المسافرة، فألتمس منكم أن تتركوا الوقت الذي من طلوع الشمس إلى الساعة العاشرة، وتعينوا وقتًا آخر، يكون مناسبًا لكم، سواء كان في النهار أو الليل؛ لأنه لا عذر لنا بوجه من الوجوه في غير الوقت المذكور في سائر أجواء النهار والليل، ولا بد من المجيء في كل يوم، إلى انفصال المسائل المتنازعة، لتتم المناظرة في أيام معدودة، وإن وقع عليكم في تلك الأيام مشقة، فإنَّ تحملها من محاسن أخلاقكم ومحاسن أخلاق القسيسين، ليس ببعيد، وإن لم يكن التماسي هذا مقبولًا عندكم لعذرٍ ما، فتصوروا أن كتابي هذا كتاب أخير، وأخبروني إلى الغد قبل صلاة الجمعة، لأقطع هذا الرجاء، وأرجع إلى دهلي بعد أداء صلاة الجمعة إن اتفق، وإلا ففي يوم السبت، ولا أضيع أوقاتي في الغفلة والعبث فقط.

جمادى الآخرة سنة ١٢٧٠هـ و ٣٠ مارس سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الخامس من القسيس فاندر...

وصل كتابكم الكريم، وانكشفت الحالات المندرجة فيه.

ولقد نسبتم إليَّ لفظ الفرار، وهو مخالف لدأب تحرير أرباب التهذيب، وأي مانع لي أن أنسب هذا اللفظ إليكم أيضًا في القبول وعدمه، اللذين وقعا بيني وبينكم في الأمور المتعلقة بهذه المباحثة؛ لأنكم ما سلمتم الأمور المرضية لي،

لكن هذا اللفظ غير مناسب لي جدًّا، لذلك لا أقدر أن أكتبه، وما كتبتموه في تعيين الوقت بعد الساعة العاشرة، سواء كان في النهار أو بعد غروب الشمس، فإني أشاور في هذا الباب واحدًا أو اثنين من أمراء الإنجليز ثم أخبركم، وكتبت في الكتاب السابق أنكم توردون دلائل إثبات نبوة نبيكم بعد الفراغ من مباحثة النسخ والتحريف، فما كتبتم في جوابه أي شيء من القبول وعدمه، فإن كتبتم يكون حسنًا فقط.

٣٠ مارس سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب السادس من القسيس فاندر...

وعدت في كتابي الأخير الذي أرسلته أمس في جواب كتابكم الكريم أني أشاور واحدًا أو اثنين من أمراء الإنجليز في أمر الوقت الذي جوزتم، ثم أخبركم، فشاورت اليوم فما استحسنَ أحدٌ من المستشارين الوقت المذكور، فيكون وقت المباحثة هو الوقت الذي أخبرت عنه في الكتاب السابق، أعني وقت الصبح من الساعة السادسة والنصف إلى الساعة الثامنة، ولما كان لكم عذر لعدم فراغ الحكيم، ذهبت اليوم لتحصيل الإجازة إلى الحكيم ماري، وحصلت منه الإجازة لحضور الحكيم محمد وزير خان وقت الصباح في جلسة المباحثة، فقال الحكيم ماري: أنا أجيزه، ويكون عدم حضوره في «خسته خانة»، يوم المباحثة معكم، فما بقي لكم الآن في أمر الوقت عذر، وكتبت اطلاعًا لكم، وأنا أنتظر جواب الكتاب الذي أرسلته أمس، فأرجو

منكم جواب الكتابين فقط.

٣١ مارس سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب السادس من الشيخ رحمت الله...

وصل إليَّ كتابان كريمان منكم، وانكشف منهما أن رضاكم أن يباحث في نبوة خير البشر صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من مباحثة النسخ والتحريف، وأن المستحسن في رأيكم عدم تبديل الوقت، ولذلك حصلتم الإجازة من الحكيم ماري للحكيم محمد وزير خان، وأنا أستحسن أن يُباحث أولًا في مسألة التثليث بعد الفراغ عن مباحثة المسألتين المذكورتين، ثم يباحث ثانيًا في مسألة النبوة، لأنَّ مسألتي التثليث والنبوة وإن كانتا أشد أنواع من المسائل الأخرى المتنازع فيها بين المسيحيين والمحمديين المسلمين بعد مسألتي النسخ والتحريف، فأهل الإسلام ينكرون الأولى، ويثبتون الثانية، والمسيحيون يعكسون وجوبًا، لكنكم جعلتم في بعض تأليفاتكم إنكار التثليث دليلًا من أدلة إبطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فعلى رأيكم مسألة التثليث مدار إبطال النبوة، وقبلت الأمر الثاني بكمال رضا الخاطر، وإن لم يظهر لي وجه حسن، لعدم تبديل الوقت، لأن العذر كان لأجل الحكيم محمد وزير خان، وقد ارتفع بتحصيلكم الإجازة له، فسأحضر يوم انعقاد الجلسة وقت الصباح إن شاء الله، لكني قد التمست منكم في الكتاب المرسل في(٣٠) مارس أنه لا بد من حضوركم كل يوم غير يوم الأحد إلى انفصال المسائل المتنازعة، ولا أكلفكم

يوم الأحد، فإن لم يظهر عذر من جانبكم في حضور كل يوم غير يوم الأحد، لا يظهر من جانبي أيضًا عذر ما، وآذيتكم مرارًا لقبول هذا الشرط، لأجل أني مسافر فقط.

٢ رجب سنة ١٢٧٠هـ و ١ نيسان إبريل سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب السابع من القسيس فاندر...

وصل كتابكم الكريم في جواب الكتابين وانكشف الحال، وكتبتم بناء على وجه غير ضروري أن مسألة التثليث تقدم على مسألة إثبات نبوة نبي الإسلام، وكان اللائق عدم تغيير الأمر الذي جوزت عن محله كما لم أغير الأمور المجوزة لكم، ولا عذر لي في مباحثة التثليث، وأقبل تقديم هذا المبحث على مبحث النبوة بشرط أن تتوجهوا توجهًا تامًّا إلى اختتام المباحثة، وما كتبتم من حضوري كل يوم في جلسة المباحثة فقد كتبت أولًا في جواب كتابكم المكتوب (٣٠) مارس، أن حضوري وحضور أمراء الإنجليز كل يوم غير ممكن. نعم يعين في كل أسبوع أيام لحضور جلسات المباحثة، وهذا الأمر أيضًا موقوف على رجوع القسيس فرنج، وأظن أن الأسبوع الأول لا ينعقد فيه أزيد من جلستين؛ لأن يوم صلب المسيح يكون فيه، لكن الأسابيع التي بعده الأغلب أن يعين من كل منها ثلاثة أيام أو أربعة أيام لهذا الأمر فقط.

٣ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب السابع من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وانكشف مضمونه، وكتبتم أن قبول تقديم مبحث التثليث على مبحث النبوة مشروط بأن يكون الفقير متوجهًا توجهًا تامًّا إلى اختتام مباحثة النبوة، وأنكم لا تحضرون في الأسبوع الأول أزيد من مرتين لأجل أن يوم صلب حضرة المسيح فيه على زعمكم، وتحضرون في الأسابيع التي بعده في كل أسبوع ثلاث مرات أو أربع مرات، فشرطكم مقبول، وأتوجه في مباحثة النبوة بعد مباحثة التثليث كما أمرتم، وما لم يظهر عذر من جانبكم لا يظهر من جانبي، وانفصال المسائل الأربعة تحتاج إلى مدة، وأنا مسافر وعذركم في الأسبوع الأول مقبول، فأرجو في الأسابيع الباقية أن حضوركم إن لم يكن كل يوم فلا بد أن لا يكون هذا الأمر أقل من أربعة أيام في كل أسبوع فقط.

٥ رجب سنة ١٢٧٠هـ و ٤ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الثامن من القسيس فاندر...

كنت اليوم أطالع كتاب «إزالة الأوهام» من مؤلفاتكم، فرأيت هذه الفقرة في الصفحة (٥١):

«ما كتب القسيس بفاندر في كتاب «حل الإشكال» من أنه لم تظهر عبادة الأصنام من نبي فمن أعجب الإفادات»، ولا يتذكر هذا العبد أنه كتب هذا، وما أحلتم في تأليفكم إلى صفحة معينة من كتاب «حل الإشكال» لأرى فيها،

فأرجو من لطفكم أن تكتبوا نمرة الصفحة التي كتبت فيها هذا فقط.

٥ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الثامن من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وانكشف ما فيه. تقررت المناظرة التقديرية في أربع مسائل هي أمَّات المسائل المتنازعة فيما بين أهل الإسلام والمسيحيين، فأرجوا ألَّا تقع المباحثة التحريرية إلى انفصالها في غيرها الذي هو أجنبي منها، بل لا بد أن يكون انفصالها أولًا ملحوظًا للجانبين.

نعم لا امتناع في أن يسأل أحد الجانبين وقت المباحثة التقريرية إن اطلع في تأليفات خصمه على شيء متعلق بمسألة من المسائل المذكورة، فيسأل عند وقت المباحثة عن تلك المسألة، ويكون الجواب لازمًا على ذمة الخصم، وإن سألتم عن أمر آخر تحريرًا أو تقريرًا بعد الفراغ من المسائل المسطورة أسمعُ بكمال الرضا، وأجيب عنه على حسب الاستطاعة، وإن ظهر لي شيء يستحسن استكشافه منكم أسألكم فقط.

رجب سنة ١٢٧٠هـ و ٦ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب التاسع من القسيس فاندر...

جاء القسيس فرنج في البارحة، وتقررت جلسة المناظرة يومين متوالين: الإثنين والثلاثاء، أعني العاشر والحادي عشر من نيسان أبريل الإفرنجي في الوقت

المعلوم على المكان المحدد، وبعدهما لا تكون الفرصة لي في ذلك الأسبوع لما كتبت سابقًا، وتنعقد الجلسة في الأسبوع الثاني كما كتبت اطلاعًا.

وتكون المباحثة في المسائل المتنازعة على هذا الترتيب:

تكونون أولًا على ما هو مطمع نظركم معترضين على النسخ والتحريف والألوهية والتثليث، ويكون هذا العبد مجيبًا، ثم يكون هذا العبد معترضًا على نبوة رسول الإسلام، وتكونون مجيبين فقط.

ولعل مضمون كتاب العجز الذي أرسلته لاستكشاف نمرة صفحة كتاب «حل الأشكال» صار محمولًا على المعاني غير المقصودة لي، فصدر الجواب على طريق آخر.

وحقيقة الأمر هذه أنَّني وأنا أطالعُ كتاب «إزالة الأوهام»، رأيت ذلك اليوم الفقرة المعلومة المندرجة فيه، فتأملتها تأملًا كثيرًا، لكنني ما تذكرت أني كتبت مثلها في «حل الإشكال»، فلذلك استفسرت بلا تكلف، لأرى ماذا كتبت؟ ولا علاقة للأمور المجوزة في المباحثة لها، وهذا العبد راضٍ غاية الرضا أن توردوا اعتراضًا على أمر من الأمور المندرجة في مؤلفاتي بشرط أن يكون لهذا الأمر تعلق ومناسبة بالمسائل المتنازعة، كما كتبتم في مكتوبكم فقط.

٧ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب التاسع من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وانكشف أن الجلسة تقرَّرتْ يومين متوالين: الإثنين

والثلاثاء في العاشر والحادي عشر من نيسان أبريل الإفرنجي في الوقت والمكان المجوزين، فسأحضر في اليومين المذكورين على التوالي في الوقت المعلوم على المكان المعهود، وتكون المناظرة على الترتيب الذي كتبتم في المسائل الأربع فقط.

٩ رجب سنة ١٢٧٠هـ و ٨ نيسان إبريل سنة ١٨٥٤م يوم السبت.

***

---- مبحث النسخ ----

انعقدت جلسة المباحثة الأولى في الحادي عشر من رجب سنة (١٢٧٠هـ)، والعاشر من نيسان أبريل الإفرنجي سنة (١٨٥٤م) يوم الإثنين وقت الصبح في خان عبد المسيح، وحضر في تلك الجلسة «راسمت حاكم صدر ديواني» أي مشير الضبطية و«كرسجن سكرتير صدريورد» أي مستشار النظارة المالية، ووليم حاكم المعسكر أي حاكم قشلة، وليدلي المترجم الأول للدولة الإنجليزية، والقسيس وليم كلين، والمفتي الحافظ رياض الدين، والفاضل فيض أحمد «سر تشته دار صدر بورد» أي باشكاتب النظارة المالية، والفاضل حضور أحمد، والفاضل أمير الله وكيل «راجه بنارس»، والفاضل قمر الإسلام إمام الجامع الكبير في أكبر آباد، والكاتب خادم علي صاحب «مطلع الأخبار»،

والفاضل سراج الحق، وكان أناس آخرون غيرهم أيضًا من المسلمين والمسيحيين ومجوس الهند زهاء خمسمئة أو ستمئة.

فقام القسيس فاندر أولًا، وقال رافعًا صوته:

أيها الحاضرون! اعلموا أن هذه المباحثة تقررت باستدعاء الفاضل يعني رحمت الله، وقبلتها باستدعائه، وإن لم تكن عندي مفيدةً إفادةً يعتد بها، وأردت أن أوضح دلائل حقيقة الدين المسيحي بين أيدي المسلمين، وتكون المباحثة في النسخ والتحريف، وألوهية المسيح، والتثليث، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأحقيَّة القرآن، ويكون هذا العبد مجيبًا في المسائل الأربع الأولى، ويكون الفاضل معترضًا. وفي المسألتين الأخيرتين يكون الفاضل مجيبًا وهذا العبد معترضًا.

ثم جلس القسيس، فاعترض الشيخ رحمت الله على العبارتين من الفصل الثاني من الباب الأول من كتاب «ميزان الحق»:

العبارة الأولى في الصفحة (١٤) من النسخة المطبوعة سنة (١٨٥٠م) في لسان الأوردو... هكذا: «يدعي القرآن والمفسرون في هذا الباب أي النسخ أنه كما نسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الإنجيل فكذلك نسخ الإنجيل بسبب القرآن».

والعبارة الثانية في الصفحة (٢٠) من النسخة المذكورة... هكذا: «لا أصل لادعاء الشخص المحمدي بأن الزبور ناسخ للتوراة، والإنجيل ناسخ لهما».

ثم قال: إنكم نسبتم هذه الدعوى إلى القرآن والمفسرين، ولا يوجد ذكرها في

موضع من القرآن، ولا من التفسير، بل صرح خلافه، ففي تفسير «فتح العزيز» للمحدث عبدالعزيز الدهلوي قُدِّسَ سرُّه، ذيل تفسير الآية السابعة والثمانين من سورة البقرة، أعني: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

«قفينا بعد موسى بالرسل، مثل: يوشع واليسع وصموئيل وداود وسليمان وشعيب وإشعياء وأرميا ويونس وعزير وحزقيل وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام، وكانوا أربعة آلاف، وكانوا كلهم على شريعة موسى عليه السلام. وكان المقصود من إرسالهم إجراءَ أحكام تلك الشريعة التي كانت تندرس، بسبب تكاسل بني إسرائيل وتهاونهم، وتتغير وتتبدل بسبب تحريفات العلماء السوء منهم».

وفي التفسير الحسيني ذيل تفسير الآية (١٦٣) من سورة النساء: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. أي «أعطينا داود كتابًا اسمه الزبور، وكان مشتملًا على الحمد والثناء، وخاليًا من الأوامر، وكانت شريعة داود عليه السلام هي شريعة التوراة بعينها».

وهكذا في الكتب الأخرى الإسلامية.

قال القسيس: أتقولون إن الإنجيل منسوخٌ أم لا؟

قال الشيخ رحمت الله نحن نعتقد نسخه بالمعنى الذي سيُذكر، لكن المطلوب منكم ههنا تصحيح النقل وإظهار أن ادعاءكم في الموضعين غلط، «فإن الزبور

ليس بناسخ للتوراة، ولا بمنسوخ من الإنجيل».

قال القسيس: سمعت ذلك من بعض الذين وقع اتفاق البحث معهم.

قال الشيخ رحمت الله: هذا بعيد من أنصافكم أن القول الذي تسمعونه من أحد من المسلمين تنسبونه إلى القرآن والتفاسير، وبالجملة لا شك أنه «أيْ ادعاء كون الزبور ناسخًا للتوراة ومنسوخًا من الإنجيل» غلط.

قال القسيس: نعم.

قال الشيخ رحمت الله: هل اطلعتم على معنى النسخ المصطلح عليه فيما بين أهل الإسلام ومحله أم لا؟

قال القسيس: بينوا.

قال الشيخ رحمت الله: هذا النسخ عندنا إنما يرد على الأوامر والنواهي.

ففي تفسير معالم التنزيل: «النسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار».

ومحصله أنه لا يعترض على القصص والأخبار، بل على الأوامر والنواهي فقط، فلا نعتقده في القصص والأخبار، وكذا لا نعتقده في الأمور العقلية القطعية مثل أن الله موجود، ولا في الأمور الحسية، مثل ضوء النهار وظلمة الليل، وفي الأوامر والنواهي أيضًا تفصيل، لأنها لا بد أن تتعلق بحكم عملي يحتمل الوجود والعدم.

فالحكم الواجب مثل الإيمان بالله أو الممتنع مثل الشرك والكفر ليس بمحل النسخ، والحكم العملي المحتمل للوجود والعدم قسمان: مؤبد، مثل قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤]. فهو ليس بمحل النسخ أيضًا. وغير مؤبد، وهذا أيضًا قسمان: مؤقت، مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وهذا ليس بمحل النسخ قبل وقته المعين، وغير مؤقت، ويسمى الحكم المطلق، وهو محل النسخ بمعنى أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيًا على المكلفين إلى الوقت الفلاني، ثم ينسخ، فإذا جاء الوقت أرسل حكمًا آخر هو مخالف للحكم الأول ظهر منه انتهاء الحكم الأول، ولما لم يكن الوقت مذكورًا في الحكم الأول، فعند ورود الثاني يُتخيل لقصور علمنا أنه تغيير للحكم الأول، لكنه في الحقيقة، وبالنسبة إلى الله بيان انتهائه، ونظيره بلا تشبيه أن يأمر الأمير الخادم الذي يعلم حالة بخدمة من الخدم، ويكون عزمه أن يأخذ من هذا الخادم هذه الخدمة إلى سنة مثلًا، فإذا مضت المدة عزله من هذه الخدمة، فهذا بحسب الظاهر عند الخادم تغيير، أما في الحقيقة وبالنسبة إلى الأمير ليس بتغيير.

أو نظيره أن حكام الوقت يأمرون في موسم الحر لأهل «دربار» أن يحضروا وقت الصبح، ويكون قصدهم أن هذا الحكم يبقى إلى انتهاء الموسم، وإن لم يصرحوا في الظاهر فإذا انقضى الموسم، وصدر عنهم حكم آخر خلافه، فهذا الحكم الثاني ليس مغيرًا للأول في الحقيقة، بل مبين لانتهائه.

فالنسخ المصطلح عند أهل الإسلام عبارة عن بيان انتهاء مدة الحكم العملي الشرعي المحتمل للوجود والعدم المتخيل دوامه بحسب أوهامنا.

قال القسيس: أي حكم من أحكام الإنجيل منسوخ عندكم بهذا المعنى؟

قال الشيخ رحمت الله: مثل حرمة الطلاق، ونحوها.

قال القسيس: أليس الإنجيل كله منسوخًا بهذا المعنى عندكم؟

قال الشيخ رحمت الله: لا، لأنه وقع في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ» [مرقس: ١٢/ ٢٩-٣٠]. هذا هو الحكم الأول، والثاني مثله، وهو أن تحب جارك كنفسك، وليس حكم آخر أكبر من هذين، ونحن لا نعتقد نسخ هذين الحكمين.

قال القسيس: لا يمكن نسخ الإنجيل قطعًا، لأن قول المسيح في الآية العدد (٣٣) من الباب الحادي والعشرين من إنجيل لوقا: «السَّمَاءُ وَالأَرْضُ تَزُولاَنِ، وَلكِنَّ كَلاَمِي لاَ يَزُولُ».

قال الحكيم وزير خان: هذا القول ليس بعام بل خاص بالخبر عن الحادثة التي أخبر عنها المسيح عليه السلام قبل تلك الآية، ومعناه لو زالت السماء والأرض بالفرض، لكان كلامي هذا لا يزول عن الحادثة التي أخبرت به عنها.

قال القسيس: إن هذا القول ليس بخاص، بل عام.

قال الحكيم: انظروا إلى عبارة تفسر «دوالي وروجرد مينيت»، ذيل شرح الآية (٣٥) من الباب الرابع والعشرين من إنجيل متى، وهذه الآية مطابقة لآية إنجيل لوقا، وترجمة تلك العبارة هكذا:

«قال القسيس «بيرس»: مراده تقع الأمور التي أخبرت عنها يقينًا، وقال «دين استاين هوب»: إن السماء والأرض وإن كانتا غير قابلتين للتبدل بالنسبة إلى

الأشياء الأخرى، لكنهما ليستا بمحكمتين مثل إحكام إخباري بالأمور التي أخبرتُ عنها، فتلك كلها تزول، وإخباري بالأمور التي أخبرت عنها لا يزول، بل القول الذي قلته الآن لا يتجاوز شيءٌ منه عن مطلبه».

قال القسيس: عبارتهما لا تنافي دعوانا، لأن هذين المفسرين لا يقولان إن إخباري عن الحوادث الإنسية لا يزول وغيره يزول.

قال الحكيم: لا علاقة لتحرير هذا الأمر بالآية المذكورة، ليصرح به المفسران.

قال القسيس: لا، وقول المسيح عام.

قال الحكيم: أوردنا لإثبات ادعائنا شاهدين، وأنتم تصرُّون على دعوى العموم بلا شاهد.

فسكت القسيس، وما أجاب عن هذا، بل قال: إن بطرس قال في الآية (٢٣) من الباب الأول من الرسالة الأولى: «**مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ**»، فثبت من هذا القول أن كلام الله يبقى إلى الأبد ولا ينسخ.

قال الشيخ رحمت الله: وقع في الآية (٨) من الباب الأربعين من كتاب أشعياء مثل كلام بطرس، وقد نقلتموه في كتاب «ميزان الحق» مع كلام بطرس، وهو هكذا: «**يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ .وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ**». ففي هذا القول أيضًا، (وكلمة ربنا تدوم إلى الأبد)، فيلزم ألا ينسخ أمر أو نهي من أحكام التوراة، وقد نسخ مئات منها في الملة المسيحية.

قال القسيس: نعم، التوراة منسوخ، لكن كلامنا ليس في التوراة.

قال الشيخ رحمت الله: إن مقصودنا أن مقصودكم لا يثبت من كلام بطرس؛ لأن أشعياء عليه السلام أيضًا قال مثل قوله، وقد اعترفتم بنسخ التوراة، فالعذر الذي يكون من جانبكم في كلام أشعياء هو العذر بعينه من جانبنا في كلام بطرس.

قال القسيس: نقلت قول بطرس على طريق السند، ودليلنا هو قول المسيح.

قال الشيخ رحمت الله: إن هذا القول في حق الخبر المذكور الذي مرَّ ذكره، وليس بعام، ليكون مفيدًا لكم، على أنه وقع في الآية الثامنة عشرة من الباب الخامس من إنجيل متى قول المسيح عليه السلام في حق التوراة: «فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ». وقد نسخ أحكام التوراة.

قال القسيس: ليس كلامنا في التوراة.

قال الحكيم: لم لا يكون كلامكم في التوراة؟! وعندنا التوراة والإنجيل مستويان! وقد صرحتم في عنوان الفصل الثاني من الباب الأول من كتاب «ميزان الحق» أن الإنجيل وكتب العهد العتيق لم تنسخ في وقت من الأوقات، فلا بد لكم من التأويل والاعتذار في الآية المذكورة أيضًا، وبمثل ذلك التأويل والاعتذار نُؤول قول المسيح الذي تمسكتم به.

قال القسيس: نعم، كتبتُ هناك، لكنَّ كلامي مع الشيخ الفاضل في هذا الوقت في الإنجيل فقط.

قال الحكيم: إن الحواريين لما نسخوا أحكام التوراة في زمانهم ما بقي منها إلا

أربعة أحكام: حرمةُ قرابين الأوثان، والدم، والمخنوق، والزنا.

ولم يبقَ الآن حرمة لهذه الأشياء غيرُ الزنا، فوقع النسخ في الإنجيل أيضًا.

قال القسيس: إن حرمة هذه الأشياء مختلف فيها بين علمائنا. فقد قال البعض إنها منسوخة، وقال البعض لا، ونحن نحرم قرابين الأوثان إلى الآن.

قال الشيخ رحمت الله: إن قديسكم بُولس قال في الآية الرابعة عشرة من الباب الرابع عشر من الرسالة الرومية: «**إِنِّي عَالِمٌ وَمُتَيَقِّنٌ فِي الرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ نَجِسًا بِذَاتِهِ، إِلَّا مَنْ يَحْسِبُ شَيْئًا نَجِسًا، فَلَهُ هُوَ نَجِسٌ**».

وقال في الآية الخامسة عشرة من الباب الأول من رسالته إلى طيطوس: «**كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ، وَأَمَّا لِلنَّجِسِينَ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِرًا**».

ويعلم من هذين القولين حلِّيَّة هذه الأشياء، بل هما نصان فيها، فكيف تكون حليتها مختلفًا فيها؟ وكيف تحرمون قرابين الأوثان؟

فتحير القسيس، وقال: أفتى بعض العلماء بحلية هذه الأشياء نظرًا إلى تلك الآيات.

قال الشيخ رحمت الله: إن قول المسيح في حق الحواريين في الباب العاشر من إنجيل متى الآية الخامسة والسادسة: «**إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**».

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل متى وقع قوله في حق نفسه: «**لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**». فأقر بخصوص نبوته إلى بني إسرائيل، ووقع قوله في خطابهم في الآية الخامسة عشرة من الباب السادس عشر من إنجيل

مرقس: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا». فالقول الثاني ناسخ للأول.

قال القسيس: إنَّ المسيح نفسه نسخ الحكم الأول.

قال الشيخ رحمت الله: وقد ثبت هذا القدر، وهو أن النسخ في كلام المسيح عليه السلام جائز، وأنه نسخ هو بنفسه، وإذا ثبتتْ قدرته على النسخ فأبوه أقدر، لأنه أعظم منه، على اعترافه في الآية الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام: «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»، وأهل الإسلام يقولون إن أبا المسيح الذي هو أعظم منه بشهادته نسخ أحكام الإنجيل بالقرآن، ولا يقولون إن محمدًا صلى الله عليه وسلم نسخها بنفسه، فلا بد أن لا يكون بعد ما في نسخ أحكام الإنجيل بالقرآن، وأن يكون تمسككم بقول المسيح: «إن السماء والأرض تزولان وكلامي لا يزول» باطلًا قطعًا، أو أن يكون معناه كما قال المفسر «دوالي» و«روجرد مينت»، وبقيتْ في قولكم خدشة أخرى أبيِّنها إن أجزتم.

قال القسيس: بينوا.

قال الشيخ رحمت الله: إنكم كتبتم في الفصل الثاني من الباب الأول من كتاب «ميزان الحق» أن ادعاء نسخ الإنجيل، وكتب العهد العتيق، بظهور القرآن باطل من وجهين:

- الوجه الأول يلزم من قبول النسخ أمران: الأول أن الله أراد أن يفعل أمرًا حسنًا بإعطاء التوراة، لكنه لم يتيسر، فأعطى أفضل منه، وهو الزبور، ولما لم

يحصل منه مرامه أيضًا نسخه، وأعطى الإنجيل، ولما صار حاله أيضًا مثل ما سبق، ولم يحصل منه فائدة، حصل مرامُهُ عاقبةَ الأمر من القرآن، وإن جوز هذا الأمر والعياذ بالله تبطل حكمة الله وقدرته، ويكون الله مثل السلطان الإنساني ضعيفَ العقل عديمَ الفهم. وهذا يمكن في الذات الإنسانية الناقصة، لا في ذات الله الكاملة.

والأمر الثاني لو كان القول الأول غير ممكن للزم من قانون النسخ هذا التصور وهو أن الله أراد عمدًا بالنظر إلى مصلحته وإرادته أن يعطي شيئًا ناقصًا غير موصل إلى المطلوب، ويبينه، لكنه كيف يمكن أن يتصور أحد مثل هذه التصورات الناقصة الباطلة في ذات الله القديمة الكاملة الصفات.

وهذان الأمران لا يلزمان على المسلمين نظرًا إلى معنى النسخ المصطلح عليه فيما بينهم. نعم يلزم على المسيحيين وعلى قديسكم بولس، لأنه قال في الآية الثامنة عشرة من الباب السابع من الرسالة العبرانية: «**فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ (أي التوراة) مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا**»، ثم قال في الباب الثامن من الرسالة المذكورة في الآية السابعة والثالثة عشرة: «**فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلا عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ... فَإِذْ قَالَ «جَدِيدًا» عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ**». فأطلق قديسكم على التوراة أنه ضعيف عديم النفع ومعيب وقريب من الاضمحلال.

فسكت القسيس بعد سماعه ولم يجب بشيء.

ثم قال الشيخ رحمت الله: إن هذه الصفحات المعدودة التي كتبتم في إثبات

امتناع النسخ واجبة الإخراج، لأنها لا مناسبة لها بالمعنى المصطلح عليه لأهل الإسلام.

قال القسيس فرنج: قد قلنا في السابق، يعني في المباحثة السابقة وهي المناظرة الصغرى، إنه نُسخ من التوراة أحكامٌ كانت إظلالًا للمسيح، وكان نسخها مناسبًا، لأن المسيح كمَّلها، وأما البشارات التي كانت في حق المسيح فهي غير منسوخة.

ثم أخذ الإنجيل، وقرأ الآيات (١-٦) من الباب العاشر من الرسالة العبرانية: «لأَنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ لا نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ، لا يَقْدِرُ أَبَدًا بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. وَإِلاَّ، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضًا ضَمِيرُ خَطَايَا. لكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. لذلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا. بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ». وقال إن التوراة وكتب أخرى كانت بهذا القول إشارة إلى المسيح، وكمُلت بمجيئه، وإن الله ما كان راضيًا عن القرابين، ولا يوجد في الإنجيل إشارة إلى أحد، ليصير الإنجيل منسوخًا بمجيئه.

قال الحكيم: لو سُلِّم أنَّ أحكام التوراة كمُلت بمجيء المسيح، فلا بد من إقرار النسخ في الأحكام التي نسخت قبل المسيح.

قال القسيس فرنج: أي حكم هذا؟

قال الحكيم: حكم الذبح مثلًا، لأنه مصرح به في الباب السابع عشر من سفر الأحبار، ونسخ بالآية (١٥، ٢٠ ، ٢٢) من الباب الثاني عشر من الاستثناء، وقد أقر هورن في الصفحة (٦١٩) من المجلد الأول من تفسيره المطبوع سنة (١٨٢٢م) في ذيل شرح هذه الآيات بمنسوخية هذا الحُكم، وصرح أن هذا الحكم نسخ في السنة الأربعين من هجرتهم من مصر قبل دخول فلسطين.. وقرأ العبارة، فلما سمع القسيس فرنج هذه العبارة سكت.

قال الحكيم: كلامنا إلى هذا الحين كان في إمكان النسخ، وكان مقصودنا في هذا الوقت هذا القدر فقط. وهو أن كون كلام الله منسوخًا ليس بمحال كما يدعيه القُسوس عمومًا، وأنتم في كتاب «ميزان الحق» خصوصًا، فثبت إمكانُهُ، ويثبت وقوعه بالفعل في الإنجيل بعد ثبوت نبوة خير البشر صلى الله عليه وسلم، وفرق عظيم بين إمكان النسخ وبين وقوعه بالفعل.

قال القسيس فاندر: نحن نُفرق أيضًا بين إمكانه ووقوعه بالفعل، وتم الكلام في النسخ فاشرعوا في مبحث التحريف.

ثم نبَّه المترجم السيد عبد الله الهندي إلى أنَّه تثبت عند الناظر الخبير من مبحث النسخ ثلاثة أمور:

- الأول أن كون كلام الله منسوخًا ممكن.
- الثاني أن النسخ وقع بالفعل في أحكام التوراة باعترافهم.
- الثالث أنه وقع بالفعل في بعض أحكام الإنجيل أيضًا عندهم، وظهر أن ما قال صاحب كتاب «ميزان الحق» في الفصل الثاني من الباب الأول في إثبات

امتناع النسخ تمويهٌ صِرفٌ، وكلام لغو، وإنَّ تمسكه وقت المناظرة بقول المسيح المندرج في الباب الحادي والعشرين من إنجيل لوقا كان لغوًا بلا شبهة وباطلًا محضًا.

والحمد لله..

* * *

---- مبحث التحريف ----

بدأ الشَّيخ رحمت الله بقولِهِ:

التماسنا أولًا أن تبينوا أن التحريف بأيِّ وجه يثبت عندكم، ليثبت على ذلك الوجه، ويتم الكلام عليكم؟

فما أجاب القسيس بجواب واضح.

ثم قال الشيخ رحمت الله: كيف اعتقادكم في كون مجموع كتب العهدين إلهاميًّا؟ أكل فقرة وكل لفظ من هذا المجموع من أول باب سفر الخليقة إلى آخر باب كتاب المشاهدات، كلام الله أم لا؟

قال القسيس: لا نقول في حق كل لفظ شيئًا، لأنا نعترف بسهو الكاتب.

قال الشيخ رحمت الله: أترك الألفاظ التي وقع فيها سهو الكاتب، وأسأل عن غيرها من الألفاظ والفقرات.

قال القسيس: لا نقول في حق الألفاظ شيئًا.

قال الشيخ رحمت الله: إن «يوسي بيس» المؤرخ، قال في الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه: «ذكر جستن الشهيد في مقابلة طريفون اليهودي عدة بشارات، وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة».

وقال «واتسن» في الصفحة (٣٢) من المجلد الثالث: «إني لا أشك في هذا الأمر وهو أن العبارات التي ألزم فيها جستن اليهود في مباحثة طريفون بأنهم أسقطوها كانت هذه العبارات في عهد جستن وأرينيوس موجودةً في النسخة العبرانية واليونانية وأجزاءً من الكتاب المقدس، ولا توجد الآن في نسخها، ولا سيما العبارة التي قال جستن إنها كانت في كتاب أرمياء، كتب سلبرجيس في حاشية جستن، وكتب الدكتور كريب في حاشية أرينيوس: إنه يعلم أن بطرس لما كتب الآية السادسة من الباب الرابع من رسالته الأولى كانت هذه البشارة في خياله».

وقال هورن في الصفحة (٦٢) من المجلد الرابع من تفسيره: «ادعى جستن في كتابه في مقابلة طريفون اليهودي أن عَزْرا قال للناس: إن طعام عيد الفصح طعام ربنا المنجي، فإن فهمتم الرب أفضل من هذه العلامة، يعنى الطعام، وآمنتم به، فلا تكون هذه الأرض غير معمورة أبدًا، وإن لم تسمعوا وعظه فتكونون سبب استهزاء للأقوام الأجنبية».

قال «وائي تيكر»: «الغالب أن هذه العبارة كانت ما بين الآية الحادية والعشرين والثانية والعشرين من الباب السادس من كتاب عَزْرا، والدكتور «آدم كلارك»،

يصدق جستن».

فظهر من هذه العبارات أن جستن الشهيد الذي كان من أجلة قدماء المسيحيين ادعى أن اليهود أسقطوا عدة بشارات من الكتب المقدسة بالتحريف، وأيد أرينيوس دعوى جستن بعد ما ذكر عبارة أرمياء، وصدق كريب في حاشية كتاب أرينيوس، وكذا صدق سلبر جيس في حاشية كتاب جستن هذه الدعوى، وكذا صدقها وائي تيكر، وآدم كلارك، وواتسن أيضًا، والظن الغالب أن هذه العبارات كانت موجودة في عهد جستن وأرينيوس في النسخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس وإن لم توجد الآن في نسخها، كما ادعى واتسن. فيلزم أحد أمرين:

إما أن يكون جستن صادقًا في دعواه أو كاذبًا، فإن كان صادقًا ثبت ما قلنا، وثبت تحريف اليهود، وإن كان كاذبًا فوا أسفي أنَّ ذاك أعظم قدمائهم كان كذابًا اخترع من جانبه عبارات، وادعى أنها أجزاء كلام الله، وبالجملة تحريف أحد الفريقين لازم البتة.

قال القسيس: إن جستن كان رجلًا واحدًا، وسَهَا.

قال الشيخ رحمت الله: إن جامعي تفسير «هنري» و«إسكات» صرحوا في المجلد الأول أن أكستائن كان يلزم اليهود بالتحريف في أعمار الأكابر، ويقول إنهم حرفوا النسخة العبرانية، وكان جمهور القدماء أيضًا يقولون مثل ما قال، وكانوا يقولون بالاتفاق إن هذا التحريف وقع في سنة (١٣٠م).

قال القسيس: ماذا يكون بتحرير هنري وإسكات، لأنهما مفسران والمفسرون

غيرهم مئون.

قال الفاضل الشيخ رحمت الله: إن هذين المفسرين ما كتبا آراءهما فقط، بل بيَّنا مذهب جمهور القدماء.

قال القسيس: إن المسيح شهد في حق كتب العهد العتيق، وشهادته أزيد قبولًا من شهادة غيره، وهي هذه الآية (٤٦) من الباب الخامس من إنجيل يوحنا: «**لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي، لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي**»، والآية (٢٧) من الباب (٢٤) من إنجيل لوقا: «**ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ**» والآية (٣١) من الباب (١٦) من إنجيل لوقا: «**فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لا يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ**».

قال الحكيم: العجب كل العجب أنكم تستدلون بالكتاب الذي هو متنازع فيه إلى الآن، وندعي تحريفه، فما لم يحصل الانفصال في حق هذا الكتاب فالاستدلال به ليس بصواب، على أنا لو قطعنا النظر عن هذا القول ثبت من تلك الشهادة هذا القدر فقط وهو أن هذي الكتب كانت موجودة في ذلك الزمان، وأما تواتر ألفاظها فلا يثبت بها و«بيلي» الذي ذكرتم في كتاب «حل الإشكال» كتابه في كتب الإسناد قد أقر في الباب السادس من القسم الثالث من كتابه المطبوع سنة (١٨٥٠م) في لندن أنه يثبت بشهادة المسيح هذا القدر فقط وهو أن هذه الكتب كانت موجودة في ذلك الزمان، ولا يثبت بها تصديق كل جملة وكل لفظ منها.

قال القسيس: لا نسلم لبيلي في هذا الموضع.

قال الشيخ رحمت الله: إن لم تسلموا لبيلي في هذا الموضع لا نسلم قولكم في هذا الباب وقولنا هو قول بيلي.

قال الحكيم: قال يعقوب في الباب الخامس من رسالته: «قَدْ سَمِعْتُمْ بِصَبْرِ أَيُّوبَ وَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الرَّبِّ». ومع ذلك لا يسلم أحد أن كتاب أيوب إلهامي، بل وقع النزاع بين أهل الكتاب سلفًا وخلفًا أن أيوب اسم فرضي، أم كان مسماه أيضًا موجودًا في سالف الزمان؟ و«رب مماني ديز» الذي هو من أعظم علماء اليهود و«ليكلرك» و«ميكايلس» و«سملر» و«استاك»، وغيرهم من علماء المسيحية قالوا إن أيوب اسم فرضي، وكتابُهُ قصةٌ باطلة.

قال القسيس: عندنا أيوب كان شخصًا، وكتابه إن دخل في شهادة المسيح فهو إلهامي أيضًا.

قال الحكيم: إن بولس كتب في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس أن ينيس ويمبريس خالفا موسى عليه السلام، ولم يعلم أنه نقل عن أي كتاب جعلي، أي مقدس، فالنقل عن كتاب ما لا يدل على أن المنقول عنه إلهامي.

قال القسيس: ليس كلامنا في الكتب الجعلية، وأوردت قول المسيح لتصديق كتب العهد العتيق، فما لم يثبت أن الإنجيل محرف تكون شهادة المسيح بهذا الأمر كافية ووافية.

قال الشيخ رحمت الله: إن كلامنا على مجموع كتب العهدين، فيبعد من إنصافكم أن تستدلوا بجزء من أجزاء هذه الكتب على أهل الإسلام، وما لم

تثبتوا بالأدلة الأخرى عدم تحريف هذا المجموع لا يتم قول منها حجة علينا على أنه لا يثبت مقصودكم من شهادة المسيح بوجهين:

أولًا: لأن حال هذه الشهادة كما حقق بيلي.

ثانيًا: لأنها لا تنافي التحريف الذي وقع بعدها، كما وقع في مدة أعمار الأكابر بعد مئة سنة على اعتراف جمهور القدماء المسيحية.

قال القسيس: أوردنا لكتب العهد العتيق شهادةَ المسيح، فعليكم إثبات تحريف الإنجيل.

قال الحكيم: إن قولكم هذا وإن كان غير صواب؛ لما علمتَ فيما مضى، لكنكم إن كنتم مشتاقين لثبوت تحريف الإنجيل فاسمعوا.

وأخذ الإنجيل، وقرأ الآية السابعة عشرة من الباب الأول من إنجيل متى، وهي: «**فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا**».

ثم قال: بينوا أن الأجيال الأربعة عشر تتم على أي اسم في الطبقة الثانية؟

قال القسيس: لا غرض لنا من هذا، بل لا بد أن تبينوا أن هذه العبارة توجد في النسخ كلها هكذ أم لا؟.

قال الحكيم: توجد في النسخ المستعملة الآن في الكنائس، ولم نعلم أنها كانت موجودة في النسخ القديمة أم لا؟ لكنها غلط يقينًا.

قال القسيس: الغلط أمر، والتحريف أمر آخر.

قال الحكيم: إن كان الإنجيل كله إلهاميًّا، ولا مجال للغلط في الإلهام، فلا شك

أن يكون لسبب التحريف فيما بعد، وإن لم يكن إلهاميًّا يثبت مطلب آخر، وهو أن هذا الإنجيل ليس بكتاب إلهامي على رأيكم أيضًا.

قال القسيس: إن التحريف لا يثبت إلا إذا ثبت أن عبارةً لا توجد في النسخ القديمة، وتوجد في النسخ الجديدة.

فأحال الحكيم إلى الآية السابعة والثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا.

قال القسيس: إن التحريف وقع ههنا، وكذا في موضع أو موضعين آخرين.

ولما سمع «اسمت» حاكم صدر ديواني أي مشير الضبطية، وكان جالسًا في جنب القسيس فرنج، سأله باللسان الإنجليزي: ماذا هذا القول؟

قال القسيس فرنج: إن هؤلاء أخرجوا من كتب هورن وغيره من المفسرين ستة أو سبعة مواضع فيها إقرار التحريف.

ثم التفت القسيس فرنج إلى الحكيم، وقال في الأوردو: إن القسيس فاندر أيضًا يسلم أن التحريف قد وقع في سبعة أو ثمانية مواضع.

فقال الفاضل قمر الإسلام إمام الجامع الكبير في أكبر آباد للكاتب خادم علي مهتم مطلع الأخبار: اكتبوا أن القسيس أقر بالتحريف في سبعة أو ثمانية مواضع، واطبعوا في جريدتكم.

قال القسيس بعد استماعه: نعم، اكتبوا.

ثم قال: ما لزم النقصان في الكتب المقدسة، وإن وقع التحريف بهذا القدر، وقد اختلفت العبارات يقينًا بسهو الكاتبين.

قال الحكيم: إن اختلافات العبارة عند البعض مئة ألف، وخمسون ألفًا، وعند البعض ثلاثون ألفًا، فمختاركم أي قول من هذين القولين؟.

قال القسيس فرنج: التحقيق أن هذه الاختلافات أربعون ألفًا.

وجعل القسيس فاندر يقول: إنه لا يلزم النقصان من هذا القدر في الكتب المقدسة، فلينصف واحد أو اثنان من أهل الإسلام، وكذا من المسيحيين.

والتفت إلى المفتي الحافظ رياض الدين، وقال مرارًا: أنصفوا أنتم.

فقال المفتي: إذا ثبت الجعل أي التحريف، في موضع من الوثيقة لا تبقى هذه الوثيقة معتبرة، ولما ثبت بإقراركم الجعل والتحريف في سبعة أو ثمانية مواضع فكيف يعتمد عليها؟ وهذا الأمر يعرفه الحكام الذين هم حاضرون في هذه الجلسة معرفة جيدة.

وأشار إلى اسمت مشير الضبطية، فقال: اسألوه.

فسألوه، لكنه ما قال في هذا الباب شيئًا.

ثم قال المفتي: إذا كان اختلاف العبارات مسلمًا عندكم، فإذا وُجدتْ عبارتان مختلفتان فهل تقدرون أن تعينوا إحداهما كلام الله جزمًا أم لا تقدرون؟ أم أن كلتيهما مشكوك فيهما؟.

قال القسيس: لا نقدر أن نعين إحداهما جزمًا.

قال المفتي: إن دعوى أهل الإسلام هي هذه: «أن هذا المجموع الموجود المستعمل الآن من كتب العهدين ليس كله كلام الله جزمًا»، وقد ثبت بإقراركم هذا المعنى أيضًا.

قال القسيس: زاد على الوقت الموعود نصف ساعة فتكون المباحثة غدًا.

قال الشيخ رحمت الله: أقررتم بالتحريف في ثمانية، ونحن نثبته إن شاء الله في خمسين أو ستين موضعًا بإقرار العلماء المسيحية. فإن كانت المباحثة على مقصودكم فلا بد من مراعاة ثلاثة أشياء:

- الأول نطلب منكم السند المتصل لبعض الكتب فلا بد من بيانه.

- الثاني لا بد من التسليم بالتحريف في المواضع الخمسين أو الستين التي أقر بها العلماء المسيحية، أو لا بد من تأويلها، ولا نقول إنه يلزمكم تسليم قول هورن طوعًا أو كرهًا، وأنتم أدون من هورن، بل نقول لا بد أولًا من استماع هذه المواضع، ثم اختيار أحد الأمرين، أعني التسليم أو التأويل.

- الثالث ما لم تفرغوا من تسليم المواضع الخمسين أو الستين أو تأويلها لا تستدلوا بهذا المجموع علينا.

قال القسيس: نقبل بشرط هو أني أسأل غدًا أن الإنجيل الذي كان في عهد نبيكم أي إنجيل كان.

قال الشيخ رحمت الله: هذا الشرط مقبول، ونبين غدًا.

قال الحكيم: إن قلتم يبين الساعة.

قال القسيس: الآن طالت المدة وأسمع غدًا.

ثم قام الفريقان، وتمت الجلسة الأولى.

* * *

---- الجلسة الثانية ----

انعقدت هذه الجلسة يوم الثلاثاء الثاني عشر من رجب سنة (١٢٧٠هـ)، والحادي عشر من نيسان أبريل سنة (١٨٥٤م)، وقت الصباح في المكان المعهود، واجتمع فيه الخواص والعوام أزيد من الجلسة الأولى.

وكان من حضار تلك الجلسة «اسمت حاكم صدر ديواني» أي مشير الضبطية و«ريد حاكم صدر يورد» أي مشير النظارة المالية و«وليم» حاكم المعسكر والقسيس «وليم كلين» والقسيس «هارلي»، وغيرهم من أمراء الإنجليز والمفتي محمد رياض الدين، والفاضل أسد الله قاضي القضاة، والفاضل «فيض أحمد سرشته دار صدر بورد» أي باشكاتب النظارة المالية، والفاضل حضور أحمد، والفاضل أمير الله وكيل راجه بنارس، والفاضل قمر الإسلام إمام الجامع الكبير في أكبر آباد، والفاضل أمجد علي وكيل الدولة الإنجليزية أي «دعوية ناظري»، والفاضل سراج الحق، والكاتب خادم علي مهتم مطلع الأخبار، وغيرهم من رؤساء البلد من عوام المسلمين والمسيحيين والمشركين زهاء ألف رجل.

وكانت الكتب الدينية أيضًا بين أيدي الفريقين أزيد من الجلسة الأولى، فقام القسيس فاندر على آخر ست ساعات ونصف، وأخذ كتاب «ميزان الحق» بيده وشرع في قراءة العبارات التي فيها عدة آيات من القرآن الكريم من الفصل

الأول من الباب الأول، لكنه لما كان يغلط في قراءة الآيات قال قاضي القضاة: اكتفوا بالترجمة، لأن المعنى يتبدل بتبدل الألفاظ.

قال القسيس: أعفونا؛ لأن هذا من قصور لساننا...

والآيات هذه: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

وأيضًا في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وأيضًا في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

ثم قال: وهذا الأمر ظاهر على كل فرد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو أن الذين أعطوا الكتاب، ولقبوا بأهل الكتاب هم المسيحيون واليهود، كما ورد في حقهم في سورة البقرة: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وهذا الأمر أيضًا معلوم من القرآن الكريم، ومشخص أن الكتب التي أعطيها اليهود والمسيحيون التوراة والإنجيل، ففي سورة آل عمران: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣-٤].

ثم قال: في هذه الآيات ذكرت الكتاب، وأهل الكتاب، والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، فعُلم أن التوراة والإنجيل كانا موجودين في عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وأن المحمديين جعلوهما هادين للدين بعد تسليمهما،

وأن التحريف لم يقع فيهما إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ رحمت الله: يثبت من هذه الآيات هذا القدر فقط. وهو أن كلام الله نزل في الزمان السالف، وأؤمن به، وأن التوراة والإنجيل نزلا في الزمان السالف كما يفهم من هذه الآيات، وكانا موجودين في عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وإن كانا محرفين كما تدل عليه الآيات الأخرى، ولا يثبت من هذه الآيات بوجهٍ ما أن يكون التحريف لم يقع في هذه الكتب إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم.

كيف، وقد شنع الله على أهل الكتاب في مواضع من القرآن لأجل تحريفهم؟ فكما نؤمن بحكم الآيات القرآنية أن كلام الله نزل في الزمان السالف فكثيرًا نؤمن أن التحريف قد وقع فيه، ولذا جاء في الحديث الشريف: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**»، فالذي يوجد بين يدي أهل الكتاب محرف.

قال القسيس: لا تذكروا في هذا الوقت الحديث، بل اذكروا آيات القرآن فقط.

قال الشيخ رحمت الله: يثبت من الآيات أيضًا الأمران المذكوران كما أقررتم بهما أيضًا في كتاب «ميزان الحق».

قال القسيس: يعلم من آيات سورة البينة أن التحريف لم يقع قبل زمان محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قرأ من الفصل الثالث من الباب الأول: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)**﴾ [البينة: ١-٤].

وقال: يُعلم من هذه الآيات أن اليهود والمسيحيين حرفوا كتبهم بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وشروع دعوته لا قبلها.

ثم قال: إن صاحب «الاستفسار» الذي تعرفونه وهو الفاضل آل حسن، بيَّن في هذه الآية في الصفحة (٤٤٨) هكذا:

«لم ينعزلوا عن اعتقاد النبي المنتظر أو لم يختلفوا، ولم يتفرقوا في اعتقاده إلا إذا جاء هذا النبي، فهذا المعنى يمكن أن يقال: إن التبديل والتحريف لم يقعا في بشارات هي آخر الزمان إلى ظهوره».

قال الشيخ رحمت الله: إن تفسير هذه الآيات على ما اختاره جمهور المفسرين، واختاره حضرة عبد القادر المحدث الدهلوي في ترجمته هكذا: «﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ أي اليهود والنصارى و﴿**المشركين**﴾ أي عابدي الأصنام، ﴿**منفكين**﴾ عن أديانهم ورسومهم القبيحة وعقائدهم الفاسدة، مثل عدم اعتقاد نبوة عيسى عليه السلام كما كان اليهود، أو اعتقاد التثليث كما كان النصارى، ونحوهما ﴿**حتى تأتيهم البينة. رسول من الله يتلو صحفًا مطهرة . فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب**﴾ في أديانهم ورسومهم القبيحة وعقائدهم الفاسدة بأن تركها البعض، واختاروا الإسلام، وقام البعض عليها تعصبًا وتعنتًا ﴿**إلا من بعد ما جاءتهم البينة**﴾، أي رسول الله والقرآن».

وقال سيدنا حضرة عبد القادر في الحاشية على آخر الآية الأولى: «ضل جميع أهل الملل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وكان كل منهم مغرورًا على

غلطه، وما كان ممكنًا أن يحصل لهم الهداية بواسطة حكيم أو ولي أو سلطان عادل ما لم يأت رسول عظيم القدر، معه كتاب من الله، ومدد قوي، بحيث امتلأت الأقاليم بالإيمان في عدة سنين».

فحاصل هذه الآيات هذا القدر فقط، وهو أن أهل الكتاب والمشركين ما امتنعوا عن رسومهم القبيحة ما لم يأتهم رسول عظيم الشأن، ومن خالف بعد مجيئه فمخالفته لأجل التعصب غير الحق والعناد، فاستدلالكم بهذه الآيات في هذه الصورة ليس بصحيح، وجواب صاحب «الاستفسار» تنزيلي كما تدل عليه عبارته، وهي هذه: «لو سُلم بصحة هذا الاستدلال يثبت منه هذا القدر فقط»، ومقصود صاحب «الاستفسار» أن استدلالكم أولًا ليس بصحيح، ولو سلم بصحته يثبت منه هذا القدر فقط، وهو أن بشارات محمد صلى الله عليه وسلم لم تحرف، وأنت تقول: إن التحريف لم يقع في موضع من كتب العهدين، وصاحب «الاستفسار» يصيح في كتابه كله بوقوع التحريف.

قال القسيس: بينوا الآن أن الإنجيل الذي جاء ذكره في القرآن أي إنجيل كان؟

قال الشيخ رحمت الله: لم يثبت براوية ضعيفة أو قوية تعيينُه، حتى يتبين أنه إنجيل متى أو يوحنا أو شخص آخر، وما كنا مأمورين بتلاوته لتُعلم حالُهُ.

وهنا أشار القسيس إلى أمراء الإنجليز، وقال: هؤلاء الجالسون كلهم أهل كتاب، فاسألوهم أنه أي إنجيل كان؟

قال الحكيم: إن الثابت بالقرآن هذا القدر فقط، وهو أنَّ الإنجيل نزل على عيسى عليه السلام، ولا يعلم أنه أي إنجيل كان؟ وكانت الأناجيل الكثيرة

مشتهرة في ذلك الزمان، مثل إنجيل بَرنابا وبرتولماوس، وغيرهما، فالله أعلم أن المراد أي إنجيل من هذه، وكان في ذلك الزمان فرقة «ماني كيز» التي ما كانت تسلم بمجموع هذا الإنجيل المشهور، وكان في ذلك الزمان فرقة تسمى «كولي ري دينس» كانت تقول إن الآلهة ثلاثة: الآب والابن ومريم، ولعل هذا الأمر كان مكتوبًا في نسختهم من الإنجيل، لأن القرآن كذبهم، ولا يثبت من موضع أن كتاب أعمال الحواريين ورسائلهم وكتاب المشاهدات داخلة في ذلك الإنجيل.

قال القسيس فرنج: أنتم لا تسلمون بالكتب المندرجة في هذا الإنجيل، التي هي ليست قول عيسى عليه السلام، وقد سلم مجلس «لوديسيا» بهذه الكتب غير المشاهدات، وقرارها واجب التسليم، وكبار علمائنا الذين اعتبارهم عندنا في الغاية مثل كليمنس إسكندريانوس وترتولين وأرجن و سائي برن وغيرهم قرروا كتاب المشاهدات أيضًا واجب التسليم، لكن سنده المتصل لا يوجد عندنا، بسبب الفتن والخصومات والمحاربات التي كانت في الزمان السالف.

قال الحكيم: إن كليمنس في أي زمان كان؟

قال القسيس فرنج: في آخر القرن الثاني.

قال الحكيم: إنَّ نقْلَ كليمنس فقرتين من كتاب المشاهدات يثبت منه هذا القدر فقط، وهو أن كليمنس سلم في آخر القرن الثاني بأن كتاب المشاهدات من تصنيف يوحنا، لكن سنده لم يوجد قبل زمانه، مع أن التواتر اللفظي لجميع الكتاب لا يثبت من فقرتين. وترتولين وغيره كانوا بعد كليمنس؛ لأن

ترتولين كان برسبتر كارتهيج في سنة (٢٠٠ م)، وسائي برن كان بشب كارتهيج في سنة (٢٤٨م)، وأرجن كان في وسط القرن الثالث، وشرع هو في إصلاح الترجمة السبعينية في سنة (٢٣١م).

وقال كيس برسبتر الروم الذي كان في سنة (٢١٢ م) إنه تصنيف سرن هتس الملحد، وصرح ديونيسبسن أن بعض القدماء قال إنه من كلام سرن هتس الملحد.

قال القسيس فرنج: كيس عندنا ليس من العظام، وما ذكر ديونيسبش اسم بعض القدماء، ولا بأس بمخالفة واحد أو اثنين.

قال الحكيم: لا نذكر واحدًا أو اثنين، بل نقدر على إظهار أسماء مئين من المفكرين، مثل: يوسي بيسي، وسرل، وكنيسة يورشاليم كلها في عهده، وغيرهم، ورده علماء محفل لوديسيا أيضًا، وبعض الكنائس كانوا يرددون في عهد جيروم أيضًا

قال القسيس فاندر: هذا الكلام خارج عن المبحث، وكلامنا الآن في الإنجيل الذي كان موجودًا في عهد محمد صلى الله عليه وسلم.

والتفت إلى الشيخ رحمت الله، فقال الشيخ: أظهرنا مذهبنا، فإن علمتم أن هذا ليس بمذهب أهل الإسلام فاذكروا دليلًا على هذا، وإلا فسلموا.

ونحن نقر أن كلام الله نزل على عيسى عليه السلام، لكنا ننكر أنه عبارة عن مجموع هذا العهد الجديد، وأنه لم يقع التغيير والتبديل فيه، وكلام الحواريين عندنا ليس بإنجيل، بل الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام.

وقال صاحب «تخجيل من حرف الإنجيل» في الباب الثاني من كتابه في حق هذه الأناجيل المشهورة: «إنها ليست هي الأناجيل الحق المبعوث بها الرسول والمنزلة من عند الله تعالى».

ثم قال في الباب المذكور: «والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح».

ثم قال في الباب التاسع في بيان فضائح النصارى: «وقد سلبهم بُولس هذا من الدين بلطيف خداعه، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يُلقى إليها، وقد طمس هذا الخبيث رسوم التوراة».

وقال الإمام القرطبي في الباب الثالث من كتابه المسمى بكتاب «الإعلام بما عند النصارى من الفساد والأوهام»:

«إن الكتاب الذي بيد النصارى الذي يسمونه بالإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣-٤]».

ومثلها صرح العلماء الآخرون سلفًا وخلفًا، ولما لم يثبت من روايةٍ ما أنَّ أقوال المسيح مكتوبة في الإنجيل الفلاني، لا نقدر على تعيين هذا الأمر، وما نُقل في هذه الأناجيل الأربعة فمنزلته منزلة آحاد الأحاديث، ولم تنقل رواية معتبرة عن مؤمني القرن الأول.

ومن جملة أسباب عدم النقل: هذا السبب أيضًا وهو أن البابا كان في ذلك العهد متسلطًا تسلطًا تامًّا، ولا كان يجيز للعامة قراءة الإنجيل في فرقته، فقلما رأى المسلمون نسخ الإنجيل لهذا السبب.

وكان أكثر المسيحيين من هذا القسم أو من الفرقة النسطورية.

فغضب القسيس فرنج على هذا، وقال: نسبتم العيب العظيم إلى إنجيلنا؟! والبابا لم يفعل فيه فسادًا ما.

وشرع القسيس فاندر في بيان حال إحراق أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بعض نسخ القرآن.

فقال الشيخ رحمت الله: إن هذا الكلام كان خارجًا عن المبحث، لكنكم لما شرعتم فيه فاسمعوا الجواب عنه.

قال القسيس: لما اعترضتم على الإنجيل اعترضتُ أيضًا، فارجعوا الآن إلى أصل المطلب، ولما كان أصل المطلب أن القسيس بعد سؤال حال الإنجيل، يُراعى ثلاثة أشياء كما تقرر في آخر الجلسة الأولى.

قال الشيخ رحمت الله: كلامنا من الأول، وعلى ما تقرر أمس على مجموع كتب العهدين لا على الإنجيل فقط، فنطلب منكم السند المتصل لبعض كتب هذا المجموع.

قال القسيس: تكلموا على الإنجيل.

قال الشيخ رحمت الله: كلامنا على المجموع، وتخصيص الإنجيل لغو.

فسكت القسيس، والظاهر أنه لم يستحسن بيان السند المتصل لهذه الكتب، وانجرَّ الكلام إلى الغلط والتحريف.

ثم أخرج القسيس فرنج طومارًا طويلًا كان معه، وقرأهُ، وكان ملخصه أن علماءنا وجدوا اختلافات العبارة ثلاثين ألفًا أو أربعين ألفًا، لكنها ليست في

نسخة واحدة، بل في نسخ كثيرة، ولو فرقناها على النسخ يكون في مقابلة كل نسخة نسخة منها أربعمئة أو خمسمئة، وإن وقع بعض الأغلاط من تصرفات المبتدعين، وقد وجد الدكتور «كريسباخ» في إنجيل متى ثلاثمئة وسبعون سهوًا في الآيات والألفاظ، منها سبعة عشر شديدة، واثنان وثلاثون أيضًا ثقيلة، لكنَّها خفيفة بالنسبة إلى الأولى والبواقي خفيفة.

وصحح علماؤنا هذه الأغلاط في أكثر المواضع، وطريقة التصحيح أن الكتاب الذي تكون نسخه كثيرة فتصحيحه ممكن، والكتاب الذي تكون نسخته واحدة فتصحيحه عسير، مثل نسخة ترنس ونسخة بتركيولس، يوجد للأولى عشرون ألف نسخة، فصححها علماؤنا، وللأخرى نسخة واحدة، فعدوا تصحيحها متعسرًا.

وإذا كانت نسخ الإنجيل موجودة بالكثرة فتصحيحه ليس بممتنع، ونحن الآن نبين عدة وجوه من قوانين التصحيح:

- الأول أن العلماء المذكورين كانوا إذا وجدوا عبارتين إحداهما دقيقة والأخرى سلسة فصيحة اختاروا الدقيقة؛ لأن مقتضى الاحتياط والعقل والقياس أن العبارة السلسة لعلها تكون جَعلية.

- والثاني كانوا إذا وجدوا عبارتين إحداهما مطابقة للقاعدة والأخرى مخالفة لها اختاروا المخالفة؛ لأن المطابقة تحتمل أن يكون عمِلها واحدٌ من مهرة القواعد، وأدرجها، وكتب العلماء المشار إليهم بعد ما نبهوا على هذه الأغلاط أنه لا يوجد غلط سواها، وأنه لا يلزم في المقصود الأصلي نقصان ما من هذا

القدر من الأغلاط، كما قال الدكتور «كني كات»: «إنا لو أخرجنا بالفرض هذه العبارات المعروفة كلها، لا يلزم نقصان في مسألة معتبرة من مسائل الملة المسيحية، وكذا لو أدخلنا هذه العبارات المحرفة، لا يلزم منها زيادة في مسألة معتبرة من مسائل الملة».

فأراد الحكيم أن يجيب، فمنعه القسيس فاندر، وكلما أراد الحكيم أن يجيب كان القسيس فاندر يمنعه، ويقول: لا لا.

ثم التفت القسيس إلى الشيخ رحمت الله، فقال المفتي رياض الدين: لا بد أن يبين الشيخ رحمت الله أولًا معنى التحريف، ثم يباحث عليه، لينكشف الحال للحاضرين حق الانكشاف.

فأراد القسيس أن يقول شيئًا في هذا الباب، فقال المفتي: هذا ليس منصبكم، بل الذين يدعون التحريف عليهم البيان.

فالتفت الشيخ رحمت الله إلى القسيس، وقال: معنى التحريف المتنازع فيه عندنا وفي اصطلاحنا التغيير الواقع في كلام الله سواء كان بسبب الزيادة أو النقصان أو تبديل بعض الألفاظ ببعض آخر، وسواء كان منشأ هذا التغيير الشرارة والخبث، أو الإصلاح باعتبار غلبة الوهم، وندعي أن التحريف وقع في الكتب المقدسة عند أهل الكتاب باعتبار هذه الأمور كلها، فإن أبيتم فعلينا الإثبات.

قال القسيس فاندر: نحن نعترف أيضًا بسهو الكاتب في الكتب المقدسة.

قال الشيخ رحمت الله: إن سهو الكاتب عندنا أن يريد الشخص كتابة اللام

فيكتب بدلها الميم، أو يريد أن يكتب الميم، فيكتب سهوًا بدلها النون. فهل المراد بالسهو عندكم أيضًا هذا السهو؟ أو هذه الأمور أيضًا داخلة فيه، وهي أن يدرج أحد عبارة الحاشية في المتن، أو يزيد قصدًا من جانبه الجمل أو يسقطها؟.

اضطرب القسيس من سماع لفظ الجُمل، لعله فهم الجملة بمعنى مجموع الكتاب، وقال: لا تقولوا الجمل، بل قولوا أن يزيد آيات أو يسقطها.

قال الشيخ رحمت الله: إن إطلاق الجملة عندنا يجيء على مثل: زيد قائم، لكني أترك هذا اللفظ الآن، وأقول كما أمرتم، أو يزيد قصدًا من جانبه الآيات أو يسقطها أو يلحق شيئًا بطريق التفسير أو يبدل لفظًا بلفظ آخر.

قال القسيس: إن هذه الأشياء كلها داخلة عندنا في سهو الكاتب، سواء كان وقوعها قصدًا أو سهوًا أو جهلًا أو غلطًا، لكن مثل هذا السهو يوجد في الآيات في خمس أو ست، وفي الألفاظ في مواضع كثيرة.

قال الشيخ رحمت الله: لما كانت زيادة الآيات وإسقاطها وتبديل بعض الألفاظ ببعض سواء كانت هذه الأشياء قصدًا أو سهوًا داخلة في سهو الكاتب على اصطلاحكم، ووقع مثل هذا السهو المصطلح في الكتب المقدسة، وهذا هو التحريف عندنا ما بقي بيننا وبينكم إلا النزاع اللفظي فقط؛ لأن الأمر الذي تدعيه أنه تحريف تقولون إنه سهو الكاتب، فالاختلاف في التعبير، والاسم لا في المعبر عنه والمسمى.

ونظيره أن رجلًا أعطى أربعة مساكين درهمًا، وكان أحدهم روميًّا والثاني

حبشيًّا والثالث هنديًّا والرابع عربيًّا، واتفقوا على أن يشتروا بها شيئًا، فالرومي ذكر اسم العنب في لسانه، وأنكر الحبشي، وذكر هو أيضًا اسمه في لسانه، فأنكر الهندي، وذكر هو اسمه في لسانه، فأنكر العربي، وقال لا نشتري إلا عنبًا، فتخاصموا، وتشاتموا لأجل عدم فهم كلٍّ مقصودَ الآخر، لسبب اختلاف الاسم فقط.

وكما كان بين هؤلاء الأربعة نزاع لفظي، وكان مقصودهم في الحقيقة واحد، فكذا حال سهو الكاتب والتحريف؛ لأن الشيء الذي نسميه تحريفًا تسمونه سهو الكاتب.

ثم قال الشيخ رحمت الله بالصوت الرفيع مخاطبًا الناس: إن النزاع الذي بيننا وبين القسيس كان نزاعًا لفظيًّا فقط؛ لأن التحريف الذي كنا ندعيه قبله القسيس لكنه سماه سهو الكاتب.

قال القسيس: لم يلزم نقصان في المتن من مثل هذا السهو.

فسأل قاضي القضاة محمد أسد الله متحيرًا: المتن ماذا؟

قال القسيس فاندر ساخطًا من هذا السؤال: بينت مرارًا، وإلى كم مرة أبين؟

ثم قال: إنه أي المتن عبارة عن ألوهية المسيح، والتثليث، وكونه كفارة وشافعًا، وعن تعاليمه.

قال الشيخ رحمت الله: ادعى جامعو تفسير هنري وإسكات أيضًا مثل ادعائكم أيضًا بأن المقصود الأصلي لم يقع فيه تفاوت ما من هذه الأغلاط، لكنا لا نفهمه، لأنه إذا ثبت التحريف، فأي دليل على أنه لم يقع فيه تفاوت ما من هذه

الأغلاط؟ لأنه إذا ثبت التحريف بجميع أنواعه قصدًا وسهوًا وإصلاحًا وهميًّا من المبتدعين، ومن أهل الديانة كما ستعرف بعد اختتام المباحثة إن شاء الله تعالى، فأي دليل على أنه لم يقع في تسع أو عشر آيات فيها ذكر التثليث؟ لأن المحرفين الذين حرفوا المواضع التي هي غير المقصودة قصدًا وسهوًا وإصلاحًا، كيف يرجى منهم عدم التحريف في المواضع المقصودة؟ مع أنها أهم من التحريف من الأولى.

قال القسيس: إن تحريف المتن يثبت إذا وجدتم نسخة عتيقة لا يكون فيها ذكر ألوهية المسيح عليه السلام، ويوجد في هذه النسخة المتداولة الآن، ولا يكون فيها ذكر كفارة المسيح، ويوجد في هذه.

قال الشيخ رحمت الله: كان على ذمتنا هذا القدر فقط، وهو أن نثبت كون هذه النسخة مشكوك فيها، وثبت بحمد الله، وصار الكتاب كله بهذا الإثبات مشكوكًا فيه، لكنكم لما ادعيتم سلامة بعض المواضع من التحريف مع اعتراف وقوعه في بعض آخر، فإثبات تلك السلامة على ذمتكم لا على ذمتنا، وبقي أمر آخر قابل لأن يسأل عنه، وهو هذا: أتسلمون أن سهوًا من هذه السهوات التي هي مسلمة عندكم، وهي تحريفات بعينها عندنا يوجد في جميع النسخ أم لا؟

قال القسيس: نعم، مثل هذا السهو يوجد في جميع النسخ.

فاعترض عليه القسيس فرنج.

فقال القسيس فاندر: غلطت ورأى القسيس فرنج أحسن.

قال قاضي القضاة: لا فائدة في الرجوع، لأن قولكم الأول صار معتبراً.

قال القسيس: لا، غلطت أنا، ولا أقول جزمًا، لعل هذا السهو لا يكون في المتن العبري، ويكون في اليوناني أو بالعكس.

قال الشيخ رحمت الله: إن أظهرنا بعض المقامات التي أقر فيها مفسروكم أنها كانت في سالف الزمان كذا، والآن لا توجد في المتن العبري الذي هو معتبر عندكم فماذا تقولون؟

قال القسيس: لا يلزم منها نقص في المتن.

قال الحكيم: لا شك أنه يقع الخلل في المقصود الأصلي، إذا كانت اختلافات العبارات كثيرة، فمثلًا، ولو فرضنا أن العبارات المختلفة تُوجد في عدة نسخ، ولا يثبت ترجيح بعض تلك العبارات على بعض، فلا نقدر في هذه الصورة أن نقول جزمًا إن عبارة السعدي هذه، فكيف إذا اختلفت مئات من النسخ، ولا يكون لأحداهما ترجيح على الأخرى؟

فلا شك في إمكان وقوع التغيير في المقصود الأصلي، والإنجيل عندنا عبارة عن قول المسيح عليه السلام وهو صار مشتبهًا.

قال القسيس: أجيبوني بالاختصار. أتسلمون المتن أم لا؟ فإن سلمتم تكون المباحثة في الأسبوع الآتي، لأنا لا نستدل في المباحثة الباقية إلا بالأدلة النقلية من هذا الكتاب، ونعلم أن العقل محكوم الكتاب لا أن الكتاب محكوم العقل.

قال الشيخ رحمت الله: لما ثبتت الزيادة والنقصان في هذه الكتب على اعترافكم أيضًا، وثبت التحريف فيها صارت مشتبهة عندنا بهذا السبب، ولا

نعتقد البتة أن الغلط لم يقع في المتن، فلا يصح لكم أن توردوا دليلًا من هذه الكتب علينا في المباحثة الآتية في مسألتي التثليث والنبوة؛ لأنه لا يكون حجة علينا.

قال القسيس فرنج: إنكم خرجتم هذه التحريفات والأغلاط من تفاسيرنا فهؤلاء المفسرون معتبرون عندكم، وهم كما كتبوا هذه المقامات كتبوا أيضًا أنه لا يوجد الفساد في غير هذه المواضع.

قال الشيخ رحمت الله: نقلنا أقوال هؤلاء العلماء إلزامًا من حيث إنهم معتبرون عندنا، وإن جميع أقوالهم قابلة للاعتبار والالتفات.

والتفت إلى القسيس فاندر وقال: بل نقلتم شيئًا عن البيضاوي والكشاف.

قال القسيس: نعم.

قال الشيخ رحمت الله: إن هذين المفسرين كما كتبا الأمور التي نقلتموها زاعمين أنها مفيدة لمقصودكم، هكذا كتبا هما وسائر المفسرين كافة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله، ومنكره كافر، والقرآن كلام الله بلا شك، فهل تسلمون أقوالهم هذه أيضًا؟.

قال القسيس: لا.

قال الشيخ رحمت الله: فكذا لا نسلم القول الآخر لعلمائكم.

ثم قال القسيس: أجيبوني بالاختصار تسلمون المتن أم لا؟

قال الحكيم: إن هذا السؤال محتاج إلى التفصيل، فما لم نفرغ عن إظهار قول لا نجيب.

قال القسيس: أجيبوني بالاختصار بلا أو نعم.

قال الشيخ رحمت الله: لا نسلم المتن؛ لأن المتن الذي هو عبارة عن المقصود الأصلي عندكم صار مشتبهًا بسبب التحريف عندنا، وقد اعترفتم في الجلسة الأولى في سبعة أو ثمانية مواضع، وفي الجلستين بأربعين ألف اختلاف عبارة. واختلاف العبارة هي عندنا التحريف، وكان غرضنا في هذا الباب هذا القدر فقط، وهو أن نثبت كون هذا الكتاب مشكوكًا فيه ومحرفًا، وظهر بفضل الله. وإثبات عدم التحريف في المتن أي المقصود الأصلي على ذمتكم، ونحن حاضرون إلى شهرين للمباحثة بلا عذر، إلا أن هذا الكتاب لا يكون حجة علينا، والدليل المنقول عنه لا يكون كافيًا لإلزامنا. نعم إن كان عندكم دليل آخر في مسألتي التثليث والنبوة فأوردوه.

والتفت الفاضل فيض أحمد باشكاتب إلى القسيس فاندر، وقال: العجب أن يقع التحريف في الكتاب، ولا يقع نقص ما.

واختتمت المباحثة التقريرية على هذا، وودع كل من الفريقين الفريق الآخر ثم وقع التحرير على رجاء المباحثة التقريرية، لكنها لم تقع.

* * *

---- مكاتيب الفريقين بعد المباحثة التقريرية ----

المكتوب الأول من القسيس فاندر...

أرسلت قبلُ إليكم كتاب العجز، لأجل استكشاف نمرة صفحة من كتاب «حل الإشكال» التي كتبت فيها على قولكم: إنه لم تظهر عبادة الأصنام من نبي، وحملتم على المعاني الأخرى، وما أخبرتموني عن نمرة الصفحة، وهذا العبدُ يعلم أنَّه ما كتب غالبًا مثله، فأرجو من لطفكم أن تخبروني في هذه المرة عن نمرة الصفحة، لأعلم ماذا كتبت، وإن تأملتم في تحريرها في هذه المرة، ظننت لعلكم أردتم على خلاف مرادي عدم عبادة نبي الأصنام من مفهوم عبارتي التي هي مندرجة في الصفحة الستين من الحصة الأخيرة من «حل الإشكال» من السطر الثاني إلى الثامن.

وذكرت في جلسة اليوم بعض الآيات القرآنيَّة التي فيها ذكر الإنجيل، وهي مندرجة في الصفحة الثالثة عشرة من كتاب «ميزان الحق»، وقلتم إن المراد بالإنجيل المذكور قول المسيح لا الحواريين، فيسأل هذا العبد: هل رأيتم هذا المعنى في تفسير من التفاسير أو هو تحقيقكم؟ فإن كان من تفسير فاكتبوا لي عبارته بلفظه، وإن كان من موضع آخر فمنوا عليَّ بتحريره، وإن لم يكن هذا الأمر ههنا أي في هذا البلد لسبب ضرورة عزم السفر، فإذا وصلتم مع الخير إلى دهلي فاكتبوا من هناك، وتذكروا العبد إلى أن يحصل التلاقي مرة أخرى

بالأمور اللائقة له، وبإعطاء الكتب الموعودة في المكتوب الأول فقط.

١١ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب الأوَّل من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم لأجل استكشاف نمرة الصفحة من كتاب «حل الإشكال» مشتملًا على أني إنْ تأملت في تحريرها في هذه المرة ظننت أني أردت على خلاف مرادكم من مفهوم عبارتكم التي هي مندرجة في الصفحة الستين من الحصة الأخيرة من كتاب «حل الإشكال» من السطر الثاني إلى الثامن، ولطلب السند على قولي في حق الإنجيل، وصار سببًا للتعجب، ويظهر منه ظهورًا بينًا أن مطمع نظركم إيذاء قلبي، أحلتم على طريقة التجاهل إلى عبارةٍ اعترضتم فيها على زعمكم على نبوة حضرة خير البشر صلى الله عليه وسلم، وإلا كيف يظن أنكم نسيتم تحريركم، بحيث استنبطتم المعنى المذكور من الموضع الذي لا مناسبة له بهذا المعنى، أو أن مطمح نظركم التعرض بزعم وقوع الغلط في نقلي، فإن كان الأوَّل فبعيد عن أخلاقكم، ولا أستحسنُ أن أكتب شيئًا في جوابه، وإن كان الثَّاني فليس بمستحسنٍ أيضًا، وأي مانع لي أن أعرض على أغلاطكم في مثل هذه الأمور؟ مثل ما كتبتم في الصفحة (١٠٣) من كتاب «حل الإشكال» في جواب كتاب «الاستفسار» هكذا: «كتب في الصفحة (٤٢٤) أنَّ قوانين الصرف والنحو والمعاني والبيان وسائر الفنون لا ترى قبل عهد الإسلام عند أحد من اليهود والمسيحيين».

وهذا النقل ليس مطابقًا للأصل، ولا يوجد في هذا المقام من «الاستفسار» لفظ سائر الفنون، بل فيه لفظ مفردات اللغة، فحرَّفتموه إلى سائر الفنون، ثمَّ اعترضتم عليه، وكان غرض صاحب «الاستفسار» في هذا المقام مجرد ذكر الفنون التي تتعلق باللسان الأصلي للتوراة والإنجيل.

ومثل ما كتبتم في الفصل الثاني من الباب الأول من كتاب «ميزان الحق»: «يدعي القرآن والمفسرون في هذا الباب... إلخ»، وهذا بهتان محضٌ، لا أثر له في القرآن، ولا في التفاسير، كما قلت في ابتداء الجلسة الأولى أيضًا.

ومثل ما كتبتم في الفصل الثالث من الباب الأول من كتاب «ميزان الحق» في كتاب «الغاني» المسمى بـ «دبستان»: يقولون إنَّ عثمان... إلخ.

ووقع في هذا الكتاب في بيان مذهب الشيعة الاثني عشرية هكذا: «بعض ازيشان كوينزكة عثمان».. إلخ، فأسقطتم من هذه العبارة لفظ «بعض ازيشان» لتكون النسبة بحسب الظاهر إلى كل الفرقة، وأمثال هذه الأغلاط أغلاط أخرى لا أستحسن أن أذكرها في المكاتيب وأؤذيكم في هذا الباب.

وما سألتم عن حال النمرة، فطالعوا في الصفحة (١٠٥) من كتاب «حل الإشكال» من السطر الثاني إلى السابع.

ولمَّا وقع في كتاب «الاستفسار» في عدَّة مواضعَ مثل الصَّفحة المذكورة أي التي نقل عنها القسيس، والصفحة (٥٩٥) لفظ عبادة العجل وعبادة الأصنام، وكان اعتراض صاحب كتاب «الاستفسار» نظرًا إلى كلا الأمرين، حملت عبادة العجل في السطر السابع بمعنى عبادة مطلق الأوثان، ومع ذلك لا يرتفع

اعتراضه، وما قلت في حق الإنجيل إنه هو المكتوب في الكتب الإسلامية، وهو المفهوم من بعض الآيات القرآنية، وسيحصل لكم اطلاع كامل على تحقيق هذا الأمر من بعض الرسائل التي ستطبع.

وبقيت لي شكاية، وهي أنكم اخترتم في هذه المباحثة خلاف دأب المناظرة، لأن شريككم القسيس فرنج بقي مشتغلًا بقراءة طوماره إلى مدة، وسمعنا بكامل الرضا.

ولما أراد الحكيم محمد وزير خان شريكي أن يجيب عنه منعتموه، وكلما كان يريد الجواب كنتم تمنعونه، حتى غضب، وقال: ألست شريك المناظرة؟!

وامتنعتم بعد هذا بلطائف الحيل، فأيُّ أمر من الأنصاف هذا؟

وهذا المنع وإن لم يضر في حقنا، بل أظهر عجزكم عند الحاضرين كلهم، وظهر لهم أن غرضكم ليس إلا أن لا يظهر للحاضرين تحريف آخر أزيد من الذي ظهر عليهم بإقراركم، وكنتُ جعلتُ الحكيم مطمئن الخاطر، لكن لما اتضح بإظهار القسيس وليم كلين أن هذه المباحثة تطبع في اللسان الإنجليزي والأوردو، حصل توهم أن تقرير القسيس فرنج الذي منعتم الحكيم عن جوابه، لعله يطبع فناسب أن يرسل جواب الحكيم إليكم ليطبع تحت التقرير المسطور، لئلا يختلج في قلب ناظر المباحثة الذي لم يكن حاضرًا في محفلها.

أن الجانب الثاني لماذا أعرض عن الجواب التفصيلي لهذا التقرير؟

وسيرسل هذا الجواب أيضًا بعد كتابي هذا، فالإنصاف أن يطبع مع التقرير المذكور.

تذكروني دائمًا بإرسال المكاتيب والأمور اللائقة بي فقط.

١٤ من رجب سنة ١٢٧٠هـ و ١٣ نيسان إبريل سنة ١٨٥٤م يوم الخميس

* * *

المكتوب الثاني من القسيس...

وصل كتابكم الكريم، وانكشفت الحالات، وما كتبتم من شكاية الحكيم محمد وزير خان، فجوابه أن ظنه إن كان أنه ما حصل له فرصة بيان المطالب وإظهارها في ذلك اليوم، فقولوا له أن تنعقد جلسة المباحثة مرة أخرى، وأنا والقسيس فرنج راضيان بكمال الرضا عن هذا الأمر، ليرتفع عذر الحكيم محمد وزير خان، وهو يذكر أدلة تثبت أن الإنجيل ما بقي على أصله، ووقع فرق في تعليماته وأحكامه والإنجيل المستعمل الآن غير الإنجيل الذي كان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم، لأني تمنيت إثبات هذا الأمر من جانب الشيخ الفاضل، وما فعله. وإذا ثبت أن الإنجيل ما بقي على أصله ثبت أن المباحثة تمت على ما كان مرامكم، وإلا فيرجى أن يباحث في المسائل الباقية بأن توردوا اعتراضات في ألوهية المسيح، وتثليث ذات الله، وهذا العبد يذكر أدلة ينكر المسيحيون لأجلها رسالة رسول الإسلام وأحقيَّة القرآن.

وإن لم تكن لكم فرصة الإقامة في أكبر آباد، فليجعل الحكيم فاضلًا من فضلاء هذا البلد شريكًا له، ويُوصل هذه المباحثة إلى الاختتام فقط، ورأيت نمرة صفحة «حل الإشكال»، واطلعت على ما كتبت، وكان سبب عدم تذكري هذا المقام أنكم نقلتم مطالب الصفحة المذكورة بألفاظ أخرى.

واعلموا يقينًا أن إحالتي إلى الصفحة الستين ما كانت لأجل إيذائكم، بل لما وصلت وقت التتبع إلى هذه الصفحة ظننت أنكم أخذتم المقصود من هذه الصفحة.

١٤ نيسان إبريل الفرنجي سنة ١٨٥٤م

* * *

المكتوب الثاني من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وانكشف ما فيه، واستحسنتُ استحسانًا بليغًا أن رضاكم ورضا القسيس فرنج على أن تنعقد جلسة المباحثة مرة أخرى لترتفع شكاية الحكيم محمد وزير خان، وإن شاء الله لا أرجع إلى «شاه مجهان آباد» يعني دهلي إلى أن تختم المباحثة، وعندي أن قبول شروط أربعة في هذه المباحثة نافع للجانبين، وأكتبها راجيًا لقبولها منكم، فاقبلوها، وأخبروني عن يوم المباحثة.

وإن كان في شرط من هذه الشروط قبح ما فنبهوني عليه بالدليل:

- الأول أن تحصل الإجازة لكل من الفريقين أن يكتب كل منهما على الورق أمرًا يكون له مقيدًا من الكلام والاعتراف اللذين جريًا على لسان الفريق الثاني في الجلستين، وهذا الفريق يثبت عليه شهادته، وهكذا يفعل في الجلسات الآتية بأن كل فريق يقدم ورقًا مكتوبًا وقت اختتام الجلسة أو في غدها، والآخر يثبت عليه شهادته، وهذا الأمر أقرب إلى حسن الضبط، وإن لم تكن إليه حاجة كثيرة، لأن ما جرى على لسان الفريقين، ويجري كان على رؤوس الأشهاد،

ويكون وسمعه الكثيرون من الناس ويسمعون وكتب بعض الأشخاص من السامعين من الجانبين الأقوال المهمة، ويتركون غيرها، فأريد نظرًا إلى حسن الضبط أن الأمر الذي يكون نافعًا من كلامنا تقدمونه مكتوبًا إلينا، لنثبت عليه شاهدتنا بلا عذر، وكل أمر من كلامكم وكلام القسيس فرنج نفمه مناسبًا نقدمه مكتوبًا، فأثبتوا أنتم شهادتكم عليه، وهذا الأمر مثل ما ادعيتم في عنوان الفصل الثاني من الباب الأول من كتاب «ميزان الحق»، ونسبتم إلى القرآن والتفاسير، وسلمتم أنه غلط، ومثل ما قبلتم من إمكان النسخ الذي هو مصطلح أهل الإسلام، واعترفتم بالنسخ في التوراة بذلك المعنى، وجرى مرارًا في المجمع العام على لسانكم أن التوراة منسوخة بهذا المعنى، وما كان عندكم إلا أن الإنجيل لا ينسخ لقول المسيح الذي هو خاص عندنا، وعام عندكم، ومثل ما اعترف القسيس فرنج من جانبكم في الجلسة الأولى أن التحريف وقع في سبعة أو ثمانية مواضع من الكتب المقدسة عندكم وأظهرتم عليه رضاكم، ومثل ما اعترف في تلك الجلسة القسيس الممدوح عليه المذهب المختار بأربعين ألف أمر نعتبرها باختلاف العبارة، وتعبرون عنها بسهو الكاتب.

ومثل ما سلمتم في الجلسة الثانية بسهو الكاتب في الكتب المقدسة عندكم، ثم فسرتموه بعد التماس هكذا: «أن أدرج أحدٌ عبارة الحاشية في المتن، أو زاد الآيات أو أسقطها، ويكون هذا القسم من التصرف في خمسة أو ستة مواضع، أو بدَّل بعض الألفاظ ببعضها، وهذا في المواضع الكثيرة، أو زاد لفظًا على طريق التفسير، وسواء كان هذا الإدراج والزيادة والإسقاط والتبديل قصدًا أو

سهوًا أو غلطًا أو جهلًا، فهذه الأشياء كلها داخلة عندنا في سهو الكاتب»، ومثل ما ذكرت أمرًا أو أمرين آخرين أيضًا تطلعون عليهما حين تقديم الورق المكتوب.

- والشرط الثاني أن كلامنا من الأول على مجموع كتب العهدين، لا على العهد الجديد فقط، ولأجل ذلك جرى هذا القول في الجلستين مرات على لساننا، وتقررت المباحثة في مكتوبات الفريقين أيضًا في مطلق النسخ والتحريف، لا في نسخ العهد الجديد وتحريفه، فلا يظهر تخصيص بالعهد الجديد في المسألتين من جانبكم إلى اختتام المباحثة.

- والشرط الثالث أن لا يظهر لفظ لالا.. من جانبكم وقت الجواب، وإلا تكون المباحثة على طريقة الحكام لا على طريقة العلماء، ولا يظهر إن شاء الله من جانبنا أمر يكون خلاف الآداب والمناظرة، ولا بد للفريقين أن يسمع كل منهما أولًا كلام المجيب أو السائل، ثم يتكلم بعد فراغه بلا أو نعم، وإن زادت جلسة أو جلستان في هذه الصورة فلا حرج لأجل هذه الزيادة في حق الفريقين.

- والشرط الرابع أن المباحثة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأحقيَّة القرآن تكون بعد مباحثة التثليث وألوهية المسيح، فلا تقولوا في تلك المباحثة في حق حضرة خير البشر صلى الله عليه وسلم، وحق القرآن المجيد ألفاظًا تثقل على السامعين، وتكون كريهة على محاورة لسان الأوردو، ولا نمنعكم من إنكارهما، ولا عن إيراد المطاعن عليهما، بل أوردوا ما ظهر عليكم، وأنا

أجيب بفضل الله عنها.

فأرجو أن تقبلوا هذه الشروط الأربعة، وما طلبتم من الحكيم محمد وزير خان أن يذكر أدلة تثبت أن الإنجيل ما بقي على أصله، ووقع فرق في تعليماته وأحكامه، وأن الإنجيل المستعمل الآن غير الإنجيل الذي كان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم.

صار سبب التعجب العظيم لثلاثة وجوهٍ:

- الأول أنَّ منصبنا كان أن نثبت الشك في ذلك المجموع، أي مجموع كتب العهدين، وقد ثبت بفضل الله.

وقد ظهر منكم الاعتراف في الجلسة الأولى على رؤوس الأشهاد بوقوع التحريف في سبعة أو ثمانية مواضع، وكذا الاعتراف في اليوم الثاني بسهو الكاتب بالتفسير الذي بينتم، وما بقي بيننا وبينكم إلا نزاع لفظي، كما عرفت، ثم بعد ما اعترفتم بالتحريفات في المواضع الكثيرة ادعيتم عدم تحريف المتن الذي هو عبارة عن التعليمات الفاضلة والأحكام والتثليث وكون المسيح كفارة، فإثباته على ذمتكم لا على ذمتنا.

- والثاني كان هدفنا على مضمون كتابكم المحرر (٧) نيسان أبريل، أن نكون في مسألتي النسخ والتحريف والتثليث مُعترضين، وكان هدفكم أن تكونوا مجيبين، فإثباته لازم على ذمتكم بحكم هدفكم، ونحن براء الذمة عن هذه الأمور.

- والثالث أن الحكيم يريد جوابَ تقرير فرنج، ولهذا يشكوكم، وأي مناسبة

لمطلوبكم من هذا؟.

نعم إذا فرغ هو من الجواب يكون في الأمور الأخرى على ذمة كل فريق على حكم هدفه، فالحاصل أن استدعاءكم هذا عذر ضعيف، وما اعتذرتم في الإحالة إلى الصفحة الستين استحسنت، والمظنون الغالب الآن أن يكون سببها ما كتبتم، لا إيذائي، وأحمد الله على أنه لا غلط في نقلي غير أني نقلت مطالبكم بالألفاظ الأخرى فقط.

١٧ من رجب سنة ١٢٧٠هـ و ١٦ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م.

***

المكتوب الثالث من القسيس...

وصل كتابكم الكريم، وانكشفت الحالات والجواب عنه:

أولًا أن المباحثة تكون على قاعدة وترتيب رضي بهما الطرفان من قبل.

وثانيًا أن الشرط الأول الذي كتبتم في هذا المكتوب ما عدا الشروط السابقة لا إنكار لي ولا للقسيس فرنج عليه، وإن كان سببه التطويل، وأما المباحثة في الجلستين الماضيتين فتمت عندنا بهذا المضمون.

يعني اعترفنا أن النسخ وقع في التوراة في المسائل الفرعية لا في الأصول الإيمانية، ثم وقع بهذا المضمون أن الفروع اختتمت بظهور المسيح، وكان قولنا في الإنجيل أنه ما نسخ، ولا يُنسخ على حكم قول المسيح في الإنجيل يعني في الآية (٣٣) من الباب الحادي والعشرين من إنجيل لوقا.

ثم كان جوابنا في ادعاء التحريف أنَّ التحريف والتبديل من سهو الكاتبين

وغيره وقع في النقط والحروف والألفاظ في بعض الآيات أيضًا، وأن علماءنا أخرجوا مثل هذه الأغلاط من جمع النسخ القديمة ثلاثين ألفًا، إلا أنها ما كانت في كل نسخة، بل أخرجوا هذه الأغلاط من جميع النسخ القديمة التي كانت في العدد زائدة على ستمئة وخمسين، وفي البعض أغلاط قليلة، وفي البعض الآخر زائدة، لو قُسمت هذه الأغلاط التي هي ثلاثون ألفًا على ستمئة وخمسين بحساب مساوٍ يخرج في مقابلة كل نسخة ستة وأربعون غلطًا ليس غير، وأذكر هنا أيضًا أنه من مقابلة هذه النسخ كلها صُححت أكثر الأغلاط، وبقيت الآن ألفاظٌ قليلة، وآيات عديدة مشتبهة.

ثم قدمنا شهادة علمائنا الذين بذلوا أعمارهم في مقابلة النُّسَخ، وأثبتنا أنه لم يقع بسهو الكاتبين وغيره فرق ما في أصل متن الإنجيل، أعني في المطلب الأصلي، بل هو على أصله جميع التعليمات وأحكام الإنجيل الآن هي التي كانت من الأول، وهذا الأمر يعلم ما عدا شهادة علمائنا المذكورين أيضًا من تطابق الأناجيل المتداولة مع النُّسَخ التي كانت مروجة قبل زمان محمد صلى الله عليه وسلم. ثم قلتم بعد دلائلنا هذه: يمكن وقوع تفاوت ما في المضمون أيضًا، فطلبت منكم دليلَ هذا الأمر، وقلت: أخرجوا إنجيلًا كان مشهورًا مروجًا في الأوقات الماضية، وأثبتوا منه أن تعليمات ذلك الإنجيل وأحكامه غير ما هو في الإنجيل المتداول، فما أوردتم دليلًا لإثبات مقصودكم.

فقلت من أجل سكوتكم: إن ادعاءكم ادعاء بحتٌ وظنٌّ فقط. وتمت الجلسة الثانية على هذا. فإن قدمتم حالات الجلستين بهذا المضمون بعد تحريرها

أثبت أنا والقسيس فرنج الشهادة، وإلا فلا.

ويبقى ادعاؤكم في حق تبديل المضمون بلا برهان.

وقلت في جواب شكاية محمد وزير خان: إن كانت أدلة لإثبات الادعاء المذكور رضينا بانعقاد الجلسة، ليقدم على هذه الدلائل، فإن استقر رأيكم على انعقاد الجلسة مرة أخرى يكون ابتداء المباحثة من هذا الأمر ليس غير.

- وثالثًا ما كتبت في «ميزان الحق» في مبدأ الفصل الثاني أن القرآن والمفسرين يدعون أن الإنجيل نسخ بظهور القرآن، وقلتم هذا غلط، فسلمت هذا الغلط بهذا الشرط، وهو أنه ما جاء بيان ما، ولا إشارة إليه في آية من القرآن، ولا في التفاسير، وكنت قبلته من عموم ادعاء المحمديين.

وما كان مطلب من مطالبي أيضًا متعلقًا به، لأطلب منهم وجهه، لأني ما سمعت إنكاره من أحد من المحمديين غيركم، والأعجب أنكم قلتم أولًا: إن هذا الأمر خلاف القرآن والتفاسير، ثم ادعيتم وقلتم: إن الإنجيل منسوخ، فلم تدعون ادعاءًا لا تجدون بزعمكم في القرآن؟.

- رابعًا إن شرطكم الثاني يقبله هذا العبد، إذا أثبتم أمرًا من هذين الأمرين بالدليل، إما أن قول المسيح ليس بمعتبر، وإما أن الآيات التي أحلت إليها مثل الآية (٣٩) من الباب الخامس من إنجيل يوحنا، ومن الآية العدد الخامسة والعشرين إلى السابعة والعشرين من الأربعة والأربعين إلى الخامسة والأربعين من الباب الرابع والعشرين من إنجيل لوقا لا توجد في النسخ القديمة من الإنجيل، بل ألحقت في الأناجيل من بعد.

وأجبت بهذه الآيات الأعداد عن اعتراضاتكم التي كنتم تريدون أن تقدموها في حق كتب العهد العتيق، وما دام لم يثبت أحد الأمرين فإنه لا تكون المباحثة في كتب العهد العتيق معكم، أو مع فاضل آخر محمدي لازمة، ولا أباحث قول المسيح أزيد اعتبارًا من اعتراضات هؤلاء، وكاف وواف لدفعها، وليُعلم أن شهادة المسيح دليل على صحة التوراة وأحقيَّته؛ لأن جميع الأمور التي تستقبحون أنتم والمحمديون الآخرون من فهمهم فقط، لا أنه يتطرق نقص ما في أحقيَّة التوراة وصحته.

- وخامسًا شرطكم الثالث ليس محتاجًا إلى أن يتوجه إليه أو يجاب عنه.

بقي الشرط الرابع، فالعجب أنكم تذكرونه الآن، وكنتم تعرفون من الأول أنَّا لا نعتقد القرآن حقًّا، ولا محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف نقول على محاورة المحمديين ولسان الأوردو: حضرة محمد صلى الله عليه وسلم، أو محمد خير البشر صلى الله عليه وسلم، والقرآن الشريف؟.

نعم لا نذم، ولا نطعن قصدًا، غير أنا نقول في كل محل وموقع: إن القرآن ليس بحق، ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس بنبي صادق، لكن هذه الأقوال لا نقولها لأجل الإيذاء، بل لأن الحق في زعمنا المسيحيين هو هذا فقط.

١٨ نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م

...

وكتب هذا القسيس في حاشية هذا المكتوب على قوله: ثلاثون ألفًا: لقد جرى وقت المباحثة على لساني أو لسان القسيس فرنج أربعون ألفًا كان من طريق

السهو؛ لأن الكتاب الذي أخرج منه القسيس الموصوف حال سهو الكاتب كتب فيه ثلاثون ألفًا.

ثم كتب على العبارة التي كانت بين الخطين القوسين هكذا: أخذت هذه الفقرة بين الحلقة، لأنها لم تذكر في المباحثة.

* * *

المكتوب الثالث من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، لكنه لم يظهر منه المقصود ظهورًا يقينيًّا بسبب الإجمال في عشرة مواضع، أحتاج بالضرورة إلى استيضاحها مع استكشاف أمر آخر قبل أن نكتب الجواب التفصيلي، فوضحوها، ولا تكتبوا مجملًا في هذه المرة.

- الموضع الأول:

هو هذا: إن المباحثة تكون على قاعدة وترتيب رضي بها الطرفان من قبل، فماذا أرادتكم بقولكم رضي بها الطرفان من قبل.

أأردتم الأمر الذي تقرر بواسطة المكاتيب أم شيئًا آخر؟

فإن كان الأول، وهو الغالب فمن جملة المسائل التي تقررت المباحثة فيها بواسطة المكاتيب النسخ المطلق، والتحريف المطلق، وهما أعم من أن يكونا في العهد العتيق أو الجديد، لا النسخ والتحريف الواقعان في العهد الجديد فقط.

ولذلك كان قولنا مرارًا في الجلستين من أولهما إلى آخرهما: إن كلامنا على مجموع العهدين لا على العهد الجديد.

فلم تخصصون العهد الجديد؟

وإن كان الثاني فما رضي به الطرفان قط، إلى الآن فلا بد من تصريح المراد.

- الموضع الثاني:

هو هذا: اعترفنا أن النسخ وقع في التوراة في المسائل الفرعية فقط، لا في الأصول الإيمانية.

ولما كان الكلام في الجلستين متعلقًا بنسخ هو مصطلح أهل الإسلام في الأحكام الشرعية لا ما هو مصطلح الإنجليز في الانتظامات الإنجليزية، ويجيء في الأوامر والنواهي فقط، وإياه وضَّحتُ في الجلسة الأولى، وفي أثناء ذكر ما جرى على لسانكم من منسوخية أحكام التوراة. وكتبت في مكتوبي السابق أي المكتوب الثاني بعد المباحثة التقريرية مطابقًا له، فالغالب أن المراد بالنسخ في كلامكم هو هذا النسخ، وأن سميتموه تكميلًا أيضًا، لكن صرحوا بهذا الأمر لئلا يبقى اشتباهٌ لأحد أن مرادكم به هو هذا لا ما فهمتم غلطًا أولًا، وكتبتم في كتابكم «ميزان الحق» أخيرًا. وهو أن الأصول الإيمانية التي لا يطرأ عليها النسخ الذي كلامنا فيه، هل توجد في التوراة غير الوصايا العشر أم لا؟

فإن قلتم توجد ففصلوها.

- الموضع الثالث:

هو هذا: التحريف والتبديل من سهو الكاتبين، وغيره وقع في النقط والحروف والألفاظ، وفي بعض الآيات أيضًا.

وفي هذه العبارة غالبًا لفظ وغيره معطوف على السهو، ويكون مرادكم من هذا

سهو الكاتبين غير السهو القصدي، كما قلتم في الجلسة الثانية أيضًا، وكما اعترف بعض المحققين من المسيحيين أي هورن في المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة (١٨٢٢م)، بالتحريف القصدي الصادر عن المبتدعين، بل بالتحريف القصدي الصادر عن المسيحيين المتدينين أيضًا، كما ستعرف في آخر هذه الترجمة في القول الثالث من أقوال الموافقين في اعتراف هذا المحقق.

فإن كان مرادكم هذا فوضحوه، ووضحوا أيضًا أن المراد ببعض الآيات هل هي السبعة أو الثمانية التي قبلتم تحريفها بالمعنى الذي ندعيه أو أزيد؟ فإن كانت هي فوضحوها بأنها الآيات الفلانية، ليحصل لنا العلم على مختاركم، ونقدم بعد الفراغ من الشهادة في الجلسات الآتية الآيات الأخرى التي تكون غيرها، ونطلع على حسنها وقبحها، وإن كان هذا اللفظ يشمل خمسين أو ستين أيضًا فصرحوا في هذه الصورة، وإن تعسر تفصيل الكل ففصلوا تسعة أو عشرة مواضع عظيمة.

- الموضع الرابع:

هو هذا: إن علماءنا أخرجوا مثل هذه الأغلاط ثلاثين ألفًا... إلخ.

ماذا مرادكم بهذا القول؟ أجميع المصححين المشهورين الذين كانوا في صدد التصحيح في القرن الثامن عشر خرجوا الأغلاط بهذا القدر بعد مقابلة النسخ أو أخرج بعض المصححين منهم في بعض الأوقات الأغلاط المذكورة؟

وكذا ماذا مرادكم بستمئة وخمسين نسخة؟ أهي النسخ التي قوبلت إلى هذا

الحين بهذا القدر أو هي نسخ بهذا القدر قوبلت في بعض الأوقات؟ وهل قابلوا النسخ الأخرى في وقت آخر أيضًا، وأخرجوا الأغلاط الأخرى، وكتبوا في الصورة الثانية أسماء المقابلين؟.

- الموضع الخامس:

هو هذا: بقي الآن ألفاظ قليلة وآيات عديدة مشتبهة.

ولما كان الكل ثلاثين ألفًا، ويصح إطلاق الأكثر على الزائد من النصف. فإذًا ما هو المراد بالألفاظ القليلة؟ هل هي ألوف أقل من خمسة عشر ألفًا أو هي مئات أو عشرة أو عشرين..؟

وما المراد بالآيات العديدة؟ فإن كان المراد بالألفاظ القليلة والآيات العديدة عشرة وعشرين لفظًا ففصلوها لكونها قليلة.

- الموضع السادس:

هو هذا: جميع التعليمات وأحكام الإنجيل الآن... إلخ.

ما المراد منه؟ لأنه إما أن فقرة من حكم ما، وتعليم ما، لم تحرف، وإما أن فقرة أو فقرات وإن حرفت لكن مضمونها لما كان مستنبطًا من موضع آخر لم يتغير المطلب الأصلي في زعمكم بهذا الاعتبار.

- الموضع السابع:

لابد من تفسير المتن أي المطلب الأصلي كما هو اصطلاحكم، وإن لم نسمع هذا الاصطلاح من غيركم تفسيرًا واضحا بأنا نطلقه على هذا القدر.

- الموضع الثامن:

ما مرادكم بنسخ الإنجيل التي كانت مروجة قبل زمان محمد صلى الله عليه وسلم أنها كتبت قبل زمانه صلى الله عليه وسلم، وكانت مستعملة بين المسيحيين، وهي موجودة إلى هذا الحين أم شيء آخر؟

فإن كان الأول كما كتبتم في كتاب «ميزان الحق» فنسألكم في هذه الصورة: هل اتفق جمهور علمائكم على أن هذه النسخ كتبت قبل زمان محمد صلى الله عليه وسلم أو هذا رأي البعض أو رأيكم فقط؟

ثم هذا الأمر هل هو يقيني عندكم؟

وإن كان فبينوا دليله؛ لأن بعض كتب الإسناد التي هي عندنا قد تفحصنا فيها فما وجدنا فيها دليلًا يعتمد عليه. أم تقولون هذا باعتبار ظنكم الغالب؟.

- الموضع التاسع:

ثبوت تحريف المتن أي المطلب الأصلي، وكذا تحريف بعض الآيات التي تتمسكون بها منحصر عندكم في أن توجد نسخة عتيقة لا توافق النسخ المستعملة في هذا المتن وفي هذه الآيات، و يمكن ثبوته بطريق آخر أيضًا، فإن كان يمكن، فصرحوا بأنكم إن أثبتم بهذا الطريق أيضًا نسلمه أيضًا.

- الموضع العاشر:

لفظ «ويريوس ريدنك» الذي جرى على لسانكم في الجلسة الأولى، وترجمتموه بسهو الكاتب. ما تعريفه بحسب اصطلاحكم؟ وهل يوجد الفرق بينه وبين لفظ «أراته» أم لا؟

فأرجو من لطفكم أن تجيبوني عن هذه الأمور العشرة بعبارة واضحة لا يكون

فيها إجمال كما هي عادتكم، لأكتب بعده الجواب التفصيلي لكتابكم الكريم، وأظهر ما يكون منظورًا لي في أمر المباحثة فقط.

وهذا هو الالتماس الأول.

٢٠ رجب ١٢٧٠هـ و ١٩ نيسان أبريل ١٨٥٤م يوم الأربعاء

...

والالتماس الثاني:

نبهوني أيضًا على عدد المصححين الذين قابلوا النُّسَخ، وهم معتبرون عند المسيحيين، وعلى أسمائهم وزمانهم، وكم كان مصححو العهد العتيق منهم؟ وكم كان مصححو العهد الجديد منهم؟.

* * *

المكتوب الرابع من القسيس فاندر...

وصل كتابكم الكريم، وانكشف مضمونه، والجواب أن بيان أجوبة سؤالاتكم يحتاج إلى كتاب، فكيف يسع في المكتوب؟ وليس جوابها ضروريًّا أيضًا؛ لأن بعض سؤالاتكم يتعلق بالمسائل التي فرغ من مباحثتها.

والبعض منها بحيث إن شئتم تقدمونه في المباحثة الآتية.

وكتبت بالتوضيح أن المباحثة كيف اختتمت وإلى أين وصلت في علمي وعلم القسيس فرنج؟ وأن الباقي منها أن تثبتوا ادعاءكم أن مضمون الإنجيل تبدل، وكتبت أيضًا أن جلسة المباحثة إن انعقدت يكون ابتداؤُها من هذا الأمر ليس غير، وما كتبتم في جوابه شيئًا، بل قدمتم سؤالات، فقولوا إن ابتداءها من هذا

الأمر مقبول عندكم أم لا؟ فإن كان مقبولًا عندكم أيضًا تنعقد المباحثة مرة أخرى، وتقدمون أمرًا يكون متعلقًا بهذه المسألة، ونجيب بعد الاستماع والتأمل، ولا ضرر في الجواب قبل المباحثة، وإن لم يكن مقبولًا تكون المباحثة موقوفة، وكانت الإشارة إلى هذا في المكتوب السابق فقط.

٢١ نيسان إبريل سنة ١٨٥٤م.

* * *

المكتوب الرابع من الشيخ رحمت الله...

وصل كتابكم الكريم، وحصل التعجب التام، فوا أسفي أنكم تتفوهون مرة بعد أخرى بعذر ضعيف، لأجل سد باب المناظرة، ولما سلمتم تحريف الآيات في هذا المجموع أي مجموع العهد الجديد على رؤوس الأشهاد في ثمانية مواضع منها الآية (٧ و٨) من الباب الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا، وفسرتم سهو الكاتب بتفسير هو التحريف الذي كنا ندعيه، وصار بالنظر إليه وقوعُ التحريف بالفعل مسلَّمًا عندكم، فضلًا عن الإمكان، فكيف تكلفوننا بتسليم سلامة المقصود الأصلي من التحريف في هذا المجموع؟

فأي شرط من الإنصاف هذا؟

تأملوا إذا ثبت التحريف في الوثيقة في سبعة أو ثمانية مواضع، وقبله صاحب الوثيقة، ثم ادعى أنَّا وإن حرفنا في مواضع عديدة لكنا ما حرفنا المقصود الأصلي فهل يسمع كلامه؟

على أن هدفنا كما قلنا قبل هذا أيضًا في مسائل النسخ والتحريف والتثليث كان

بحكم مكتوبكم التاسع من مكاتيبكم قبل المناظرة التقريرية هدف الاعتراض، وإن هدفكم كان هدف المجيب، فأنصفوا.

إنَّ إثبات سلامة المقصود الأصلي من التحريف في ذمتكم البتة، ونحن أثبتنا الشك في هذا المجموع والتحريف فيه، بحيث سلمتم أيضًا في ثمانية مواضع في الآيات، فذمتنا فارغة يقينًا، وذمتكم مشغولة، ويكفي لنا أن نقول الآن: إن هذا المجموع مشكوك فيه، وكيف لا يكون مشكوكًا فيه، وعلماء المسيحية سلفًا وخلفًا شاكون في أكثر كتب هذا المجموع؟ فضلًا عن الشك في الفقرات.

وكثير منهم اعترفوا أن الرسالة الثانية لبطرس ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ومشاهدات يوحنا ليست من تصنيفات الحواريين كما تبين تفصيل أقوالهم في كتاب «الإعجاز العيسوي» الذي سيصل إليكم إن شاء الله تعالى.

فلو كان سندٌ متصلٌ لهذا المجموع لما وقع هذا الاختلاف، ولما قال العلماء المعتبرون مثله، وكذا لا يوجد سندٌ متصلٌ لإنجيل متى الذي هو أول الأناجيل، وكان اللسان العبراني على ما اختاره القدماء، ولا يوجد الآن في الدنيا والموجود الآن ترجمته اليونانية، ولا سند لها أيضًا حتى لا يعلم إلى الآن على سبيل الجزم اسم المصنف وحاله، كما يعلم شرح هذه الأمور من أقوال بلرمن وكردتيس وكسابن والقن وتاملائن وكيو وهمند ومل وهارود وأودن و كين بل وآدم كلارك وسائي من وتلي منت وبري تيس وديوبن وكامت و ميكالنس واري نيس وأرجن وسرل وابني فانيس و كربرانتم وجيروم

وتري كري نازين زن وايدجسو وتهيوفلكت ويوتهي ميس وبي بيس ويوسي بيس واتهمايي سيس وأكتسائن واسي ددر، وغيرهم من العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين ذكرهم لاردنر وواتسن وغيرهما في كتبهم.

فكيف نسلم أن مثل هذا الإنجيل كلام الله؟

ولما كان حال تراجم أهل الكتاب من البدء أسوأ فوقوع المفاسد من مترجم هذا الإنجيل أيضًا مظنون، ولعلنا نجده غلطًا صريحًا في أكثر المواضع لأجل هذا السبب.

وتوجد ستة أغلاط صريحة في الباب الأول، وماذا أقول في حق عدم كون السند المتصل لكتب العهد العتيق؟ فهذه الكتب التي لا سند لها، ولا يعلم أسماء مصنفيها أيضًا لا يمكن أن تكون علينا حجة البتة.

ولما كانت المباحثة مشروطة بشرط واحد عندكم كما كتبتم في المكتوبين، وكان هذا الشرط عندنا خلاف دأب المناظرة يقينًا، وقد رددناه في الجلسة الثانية، وقلنا مرارًا في عدم تسليمه فهمنا أنكم هيجتم حيلة لتعطيل المباحثة بالعذر الضعيف وعطلتموها فنعطلها أيضًا البتة.

وهذا المكتوب هو المكتوب الأخير من جانبنا، لا نكتب بعده مكتوبًا، فلا تكتبوا أنتم أيضًا، لكنكم إن طبعتم المباحثة، فلا بد أن تلاحظوا أمرين:

- الأول أن تكتبوا حال النسخ المصطلح عليه عند أهل الإسلام، كما وضحته بالتوضيح التام في الجلسة الأولى.

- الثاني أن تطبعوا مكتوباتكم ومكتوباتي كلها سواء كتبت قبل المباحثة

التقريرية أو بعدها، ليعلم الناظر أن الغالب أي شخص؟ والمغلوب أي شخص؟، وأنَّ أيَّ شخص كان يقول على طريقة المناظرة؟ وأي شخص كان يقول على خلافها؟ وما كتبتم في كتاب «ميزان الحق» في مبدأ الفصل الثاني وهو أن القرآن والمفسرين يدعون أن الإنجيل نسخ بظهور القرآن، وقلتم: هذا غلطِ، فحرفتم هنا تحريفًا قصديًا تحريركم وتقريري، وتحريركم في الصفحة (١٤) من النسخة المطبوعة سنة (١٨٥٠م)، في لسان الأوردو هكذا: «يدعي القرآن والمفسرون في هذا الباب أنه كما نسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الإنجيل، فكذلك نسخ الإنجيل بسبب القرآن».

ثم في الصفحة (٢٠) من النسخة المذكورة هكذا: «لا أصل لادعاء الشخص المحمدي بأن الزبور ناسخ للتوراة والإنجيل ناسخ لهما».

وكان تقريري هكذا: ما كتبتم في الموضعين غلط محض، ما جاء ذكره في موضع من القرآن المجيد، ولا يثبت في تفسير من التفاسير مجموع هذا الكلام، بل يثبت ضده من التفاسير والكتب الإسلامية.

ثم قرأت عبارة التفسير العزيزي والتفسير الحسيني في محفل المناظرة، والغلط الفاحش في تحريركم على ما قلت في الجلسة الأولى من المناظرة هذا الادعاء: أن الزبور ناسخ للتوراة ومنسوخٌ من الإنجيل، وهذا بهتان صريح، وما كتبتم من أنه لا بد من إثبات أحد الأمرين:

إما أن قول المسيح ليس بمعتبر... إلخ.. فعندنا إن ثبت قول المسيح فإنكاره منكر وقبيحٌ إلا أن ثبوته عسير، ولا تقدرون أن تثبتوه بالدليل يقينًا، ولكني

أقطع النظر عن هذا وأقول:

- أولًا إن كلامنا كان على مجموع الكتب من العهد العتيق والعهد الجديد، فما لم تثبتوا عدم تحريف هذا المجموع، ولم تذكروا السند المتصل له لا يلزم علينا أن نلتفت إلى آية منه.

- وثانيًا لو سلمنا بالفرض والتقدير أن تلك الأقوال أقوال المسيح لا يثبت منها مقصودكم كما صرح به بيلي، ونقل قوله في الجلسة الأولى.

- وثالثًا لو سلمنا بالفرض أن مقصودكم يثبت بشهادة المسيح، فلا يثبت منها إلا هذا القدر. وهو أن بعض كتب العهد العتيق لم يحرف إلى زمانه، ولا يثبت بها عدم تحريف هذه الكتب بعد زمانه.

ففي المجلد الأول من تفسير هنري وإسكات أن أكستائن كان يلزم اليهود بتحريف التواريخ، ويقول إنهم فعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحي.

وكان هذا الرأي عامًّا بين قدماء المسيحية، وكانوا يقولون: إن اليهود حرفوا في سنة (١٣٠) تقريبًا.

فعلى رأي أكستائن وجمهور القدماء وقع هذا التحريف من القرن الثاني، وهكذا يمكن وقوعه في الموضع الآخر أيضًا، فكيف يثبت بشهادة المسيح في زعمكم نفي هذا الأمر؟!

ولما عطلتم المباحثة بالعذر الضعيف فلا حاجة إلى أن أكتب الأقوال الأخرى المتعلقة بالمباحثة الآتية فقط.

٢٤ من رجب سنة ١٢٧٠هـ و ٢٣ من نيسان أبريل سنة ١٨٥٤م. يوم الأحد

* * *

---- صورة المضبطة ----

كتب السيد عبد الله الهندي هذه المضبطة في آخر رسالة المباحثة التي هي في لسان الأوردو...

تمت هذه المباحثة، والحمد لله، ولما كان هذا العبد حاضرًا في الجلستين كتب التقرير الذي سمعه بأذنيه، لكن القسيس فاندر طبع هذه المباحثة على طريق آخر فيها أقوال كثيرة لم يقلها أحد من الجانبين في ذلك الوقت، وأسقط كثيرًا من الأقوال مع علمه وفهمه بها، وحرَّف في جواب أكثر الأقوال، فلذلك أُرسل هذه الرسالة في خدمة الذين كانوا شركاء الجلسة راجيًا منهم أن المناظرة إن كانت مطابقة للواقع فزينوها بشهادتهم، ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه.

....

صورة شهادة الحاضرين...

كيفية هذه المناظرة التي حررت في هذه الرسالة صحيحة البتة وصادقة جزمًا.

وكيل راجه بنارس محمد أمير الله

هذه المباحثة وقعت بحضوري.

باشكاتب النظارة المالية قادري فيض أحمد

* * *

كل ما في الرسالة حق وقع بحضرتي.

محمد سراج الحق بن الفاضل فيض أحمد المزبور

كنت موجودًا في جلسة اليوم الثاني، والقدر الذي نقل عن تقرير هذا اليوم أشد ضبطًا وأصح.

محمد أسد الله قاضي القضاة ببلدة أكبر آباد

* * *

كنت موجودًا في الجلستين كلتيهما، وهذا التقرير كله وقع بين يدي، وضبط بالاحتياط التام.

محمد رياض الدين المفتي

* * *

كنت في جلسة اليوم الثاني، فضبط تقرير هذا اليوم بالصحة.

محمد أمجد على وكيل الدولة الإنجليزية

* * *

كنت في الجلستين، والتقرير كله صحيح، ومطابق للواقع.

السيد حافظ ولي حسن

* * *

كنت في الجلستين، وهذا التقرير كله وقع بحضوري.

الحافظ خدا بخش

* * *

هذا بيان واقع، وقع في الحضور لا شبهة فيه.

إمام الدين

* * *

كنت حاضرًا في جلستي المناظرة، فالتقرير كله صحيح لا ريب فيه.

محمد قمر الإسلام إمام الجامع الكبير في أكبر آباد

* * *

كنت شريكا في المباحثتين، والتقرير كله ضبط بالصحة.

قادري محمد جعفر بخش

* * *

هذا التحقيق واقع، وأنا حاضر في الجلستين.

خادم علي مهتم مطلع الأخبار

* * *

سمعت تقرير نصف الجلسة في اليوم الثاني، فحرر بعينه كما كان لا تفاوت فيه بمقدار ذرة.

محمد قمر الدين مهتم أسعد الأخبار والمدرس الأول في مشنيري كالج

* * *

التقرير الذي سمعته في الجلستين رأيته مكتوبًا في هذه الأوراق.

محمد عبد الشهيد كولوي

* * *

هذا العبد كان حاضرًا في الجلستين، والتقرير المنقول في هذه الرسالة وقع بلا زيادة ونقصان.

السيد حافظ فضل حسين

...

ولما طبعَ القسيس فاندر رسالة هذه المناظرة بعد ما حرفها تحريفًا تامًّا شنِّع عليه من كل قطر من أقطار الهند، وكتب إليه الشيخ رحمت الله مكاتيب زاجرًا له، ولائمًا عليه، وكذا كتب إلى القسيس فرنج مكتوبًا واحدًا يلومه على هذا التحريف، فكتب إلى الشيخ جوابًا، هذه إحدى فقراته:

- الاختلاف الذي وقع في بياننا في عدد التحريفات سببه أن العدد الكبير ليس بمتفق عليه البتة بين المصححين، وهذا قريب من اليقين. والخمسة دخلت في المتن بالتحريف سهوًا أو قصدًا.

فجزم هذا القسيس في هذا المكتوب بأن أربع آيات أو خمس آيات محرفة يقينًا، وهذه الآيات وقعت في المقصود الأصلي من الإنجيل لا في المطالب غير المقصودة. مثل: تأثير الأرواح الخبيثة على الأجسام البشرية، وإبراء

عيسى عليه السلام منه، فإن أمثال هذا من الأوهام الباطلة عند عقلاء أوروبا، ومحققي فرقة البروتستانت، وإن كانت الأناجيل مملوءة من تلك الأوهام الباطلة عندهم. قال محقق فرقة البروتستانت «بيلي» في كتاب «الإسناد» في الصفحة (٣٢٣) من النسخة المطبوعة سنة (١٨٥٠م) هكذا:

«الذين يقولون إن هذا الرأي الغلط، أي تسلط الجن كان عامًّا في ذلك الزمان فوقع فيه مؤلفو الأناجيل واليهود، الذين كانوا في ذلك الزمان. فلا بد أن يقبل هذا الأمر، ولا خوف منه في صدق الملة النصرانية؛ لأن هذه المسألة ليست من المسائل التي جاء بها عيسى عليه السلام، بل اختلطت بالأقوال النصرانية اتفاقًا، بسبب كونها رأيًا عامًّا في تلك المملكة وذلك الزمان».

وهذا التحريف الذي صدر عن القسيس ليس عيبًا عند فرقته، بل هو من سنة الأسلاف ومن المستحبات الدينية التي يصيح بها المخالفون والموافقون سلفًا وخلفًا.

أمَّا المخالفون، فأنقل عن أقوالهم ثلاثة أقوال على عدد التثليث:

القول الأول: نقل «أكهان» الذي هو من العلماء المشهورين في أهل «الجرمن» في كتابه قول المشرك «سلسوس» الذي كان في القرن الثاني من القرون المسيحية هكذا: «بدَّل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات، أو أربع مرات، بل أزيد من هذا تبديلًا كأن مضامينها قد بدلت».

القول الثاني: نقل «لاردنر» المفسر في المجلد الثالث من تفسيره في ذيل بيان فرقة «ماني كيز» قول «فاستُس» الذي كان من أعظم علماء تلك الفرقة في القرن

الرابع من القرون النصرانية هكذا: «أنكر أن الأشياء التي أدخلها آباؤكم وأجدادكم بالمكر في العهد الجديد وعيبوا بها صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الأمر محقق، وهو أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح، ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين، خوفًا ألا يعتبر الناس تحريره. ظانين أنَّه غير واقف على الحالات التي كتبها، وآذى المريدين لعيسى إيذاءًا بليغًا، بتأليفه الكتب التي توجد فيها الأغلاط والتناقضات».

القول الثالث: أقوال ألوف العلماء والحكماء من أهل أوروبا الذين ظهروا في آخر القرن السادس عشر من القرون النصرانية، وسموا أنفسهم «راشنلشت»، ويسميهم المتعصبون من علماء البروتستانت ملاحدة، وزاد عدد متبعيهم يومًا فيومًا حتى امتلأت أقطار أوروبا بهم، وألفوا مئات الكتب والرسائل يستهزئون على كتب العهدين، ومن دعاويهم في حقها أنها محرفة، فمن شاء فليرجع إلى كتبهم، وقال «باركر» منهم مستهزئًا في كتابه: «قالت ملة البروتستانت إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد العتيق والجديد من أن تصل إليهما صدمة خفيفة، لكن هذا المسألة لا تقدر أن تقول في مقابلة عسكر اختلاف العبارة التي هي ثلاثون ألفًا».

وأما **الموافقون** فأنقل من كلامهم ثلاثة أقوال أيضًا على عدد التثليث، ومن شاء الزائد فليرجع إلى كتاب الشيخ رحمت الله المسمَّى «إظهار الحق»، فيجد فيه ثلاثين قولًا:

القول الأول: قال «آدم كلارك» المفسر في المجلد السادس من تفسيره المطبوع سنة (١٨٥١م) في ذيل تفسير الأصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية هكذا: «إن هذا الأمر محقق، وهو أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون النصرانية، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة غير الصحيحة هي التي هيَّجت لوقا على تحرير الإنجيل، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية. وكان «فايري سيوس» جمع هذه الأناجيل وطبعها في ثلاث مجلدات».

القول الثاني: قال «موشليم» المؤرخ في بيان علماء القرن الثاني في الصفحة (٦٥) من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة (١٨٣٢م): «كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورث مقولة مشهورة وهي أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط، بل قابلان للتحسين. وتعلَّم أولًا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح كما يظهر هذا جزمًا من كثير من الكتب القديمة، وقد أثَّر وباءُ هذا الغلط السوء في النصارى كما يظهر هذا الأمر من الكتب الكثيرة التي نسبت إلى الكبار كذبًا».

فظهر أن مثل هذا التحريف كان من المستحسنات عند أسلاف اليهود والنصارى فأي عجب من الأخلاف؟

القول الثالث: قال «هورن» في الصفحة (٣٢٥) من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة (١٨٢٣م): «الفرق الحسن بين «أراته» يعني غلط الكاتب، و«يريوس ريدنك» يعني اختلاف العبارة، ما قال ميكايلس أنه إذا وجد

الاختلاف بين العبارتين أو أكثر فلا تكون الصادقة إلا واحدة، والباقية إما أن تكون تحريفًا قصديًّا، أو من سهو الكاتب. لكن تمييز الصحيحة من غيرها عسير غالبًا، فإن بقي شك ما فليطلق على الكل: اختلاف العبارة».

وإذا علم صراحةً أن سهو الكاتب أو اختلاف العبارة بحسب اصطلاحهم عبارة عن العبارة المشكوك فيها التي لا يجزم فيها بأنها صادقة أو كاذبة، ووجد في كتبهم المقدسة ثلاثون ألفًا من هذه الاختلافات يثبت التحريف يقينًا، ولذلك قال «باركر» مستهزئًا عليهم ما قالَ، كما عرفت في القول الثالث من أقوال المخالفين، وإذا علمت معنى اختلاف العبارة بحسب اصطلاحهم فأقول: قال محققهم المذكور في المجلد الثاني المسطور في سبب وقوعه في كتبهم المقدسة هكذا:

«**لوقوعه أسباب أربعة:**

السبب الأول: غفلة الكاتب وسهوه ويتصوَّر على وجوه:

الأول: أن الذي كان يلقي العبارة على الكاتب ألقى ما ألقى أو الكاتب لم يفهم فكتب ما كتب.

الثاني: أن الحروف العبرانية واليونانية كانت متشابهة، فكتب أحدها بدل الآخر.

الثالث: أن الكاتب ظن الإعراب خطأ، أو الخط الذي كان يكتب عليه جزء الحرف، أو ما فهم أصل المطلب، فأصلح العبارة بمحوها، وكتب نظيرها، ثم كتب من الموضع الذي كان تركه مرة أخرى، وأبقى ما كتبه قبلُ أيضًا.

الرابع: أن الكاتب ترك شيئًا، وبعد ما كتب شيئًا آخر تنبه، وكتب العبارة المتروكة بعده، فانتقلت العبارة من موضع إلى موضع آخر.

الخامس: أن نظر الكاتب أخطأ، ووقع على سطر آخر، فسقطت عبارة ما.

السادس: أن الكاتب غلط في فهم الألفاظ المحققة، فكتب على فهمه كاملًا فوقع في الغلط.

السابع: أن جهل الكاتبين وغفلتهم منشؤه العظيم هو وقوع «ويريوس ريدنك» بأنهم فهموا عبارة الحاشية أو التفسير جزءًا من المتن، فأدخلوها.

السبب الثاني: نقصان النسخة المنقول عنها، وهو أيضًا يتصور على وجوه:

الأول: انمحاء إعراب الحروف.

الثاني: أن الإعراب الذي كان في صفحة نظره في جانب آخر منها، في صفحة أخرى فامتزج بحروف جزء منها.

الثالث: أن الفقرة المتروكة كانت مكتوبة على الحاشية لتكتب في أي موضع فغلط.

السبب الثالث: التصحيح الخيالي والإصلاح. وهذا أيضًا على وجوه:

الأول: أن الكاتب فهم العبارة الصحيحة في نفس الأمر ناقصة، وغلط في فهم المطلب، أو تخيل أن العبارة غلط بحسب القاعدة، وما كانت غلطًا، أو كانت غلطًا لكن هذا الغلط كان صادرًا عن المصنف في نفس الأمر.

الثاني: أن بعض المحققين لم يكتفوا بإصلاح الغلط بحسب القاعدة فقط، بل بدلوا العبارة غير الفصيحة بالفصيحة، أو أسقطوا الفضول أو الألفاظ المترادفة

التي لم يظهر لهم فرق بينها.

الثالث: وهو أكثر الوجوه وقوعًا أنهم سووا الفقرات المتقابلة، وهذا التصرف وقع في الإنجيل خصوصًا، ولأجل ذلك كثر الإلحاق في رسائل بولس؛ لتكون العبارات التي نقلها عن العهد العتيق مطابقة للترجمة اليونانية.

الرابع: أن بعض المحققين جعل العهد الجديد مطابقًا للترجمة اللاتينية.

السبب الرابع: التَّحريف القصدي الذي صدر عن أهل الديانة أو من المبتدعين، وما ألزم أحد في المبتدعين القدماء أزيد من «مارسيون» وما استحق الملامة أزيد منه؛ لسبب هذه الحركة، وهذا الأمر محقق، وهو أن بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين، وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم لتؤيد بها مسألة مقبولة أو يدفع بها الاعتراض الوارد عليها».

وأورد «هورن» أمثلة كثيرة في بيان أقسام كل سبب من الأسباب الأربعة، ولما كان في ذكرها طول تركتها لكوني أذكر الأمثلة التي نقلها لتحريف أهل الدين والديانة من كتاب «فاف» قال: «مثلًا ترك قصدًا الآية الثالثة والأربعين من الأصحاح الثاني والعشرين من إنجيل لوقا؛ لأنَّ بعض أهل الدين ظنوا أن تقوية الملاك للرب منافية لألوهيته، وترك قصدًا في الأصحاح الأول من إنجيل متى هذه الألفاظ: «قبل أن يجتمعا في» وهذه الألفاظ: «ابنها البكر» في الآية الخامسة والعشرين، لئلا يقع الشك في البكارة الدائمة لمريم عليها السلام، ويبدل لفظ «اثني عشر» بأحد عشر في الآية الخامسة من الأصحاح الخامس

عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، لئلا يقع إلزام الكذب على بولس لأن يهوذا الإسخريوطي كان قد مات قبلُ.

وترك بعض الألفاظ في الآية الثانية والثلاثين من الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس، ورد هذه الألفاظ بعض المرشدين؛ لأنهم تخيلوا أنها مؤيدة لفرقة «ايرين»، وزيد بعض الألفاظ في الآية الخامسة والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل لوقا في الترجمة السريانية والفارسية والعربية واتهيوبك وغيرها من التراجم، وفي كثير من نقول المرشدين في مقابلة فرقة «بوتي كينس»؛ لأنها كانت تنكر: «فإن عيسى عليه السلام فيه صفتان».

فبين «هورن جميع» الصور المحتملة في التحريف، وأقر بأنها وقعت في كتبهم المقدسة فما بقيت دقيقة من دقائق التحريف.

ولما ثبت أنَّ الكذب والخداع كانا بمنزلة المستحبات الدينية لأسلاف من اليهود والنصارى، وأن أسلاف النصار اخترعوا أناجيل كاذبة أزيد من سبعين، وأن جميع أنواع التحريف وقع في الكتب المسلمة عندهم أيضًا فلا شكاية لنا من القسيس المذكور من تحريفه تقرير المباحثة، لأنَّه اقتدى بسنة الأسلاف، وتحريفه ليس بأشنع من تحريف الكتب المقدسة، ومن اخترع الأناجيل الزائدة على السبعين. فأكفُّ لسان القلم عن إظهار أمثال هذا الأمر، وأقول متضرعًا وداعيًا: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وصلى الله على خير الخليقة محمد وآله وأصحابه أجمين

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

...

انتهت المناظرة بهذا القدر، ولقد رفع المسلمون رؤوس كراماتهم إلى أعلى قمم النصر، بظهور حقهم على باطل غيرهم.. ولا سيما أن القس فاندر أغلق باب المناظرة في التثليث وألوهية المسيح وحقية القرآن الكريم ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، هربًا من النتيجة المتوقعة على ما كان من مسألتي النسخ والتحريف، النتيجة التي ستلزمه بالإسلام وفق قاعدة دخول المغلوب في دين الغالب.

لم ينفع القس فاندر تظاهره بأن الشيخ أغلق باب المناظرة، لأن هزيمته تواترت لدى كل الحضور، وذاعت في كل الهند، حتى لامه الإنجليز وعنَّفوه؛ لأنه جر الذل والعار على كنيستهم، فنقلوه من أكبر آباد إلى بشاور لسنوات معدودة. فلم يستطع البقاء في الهند، وغادرها عام (١٨٥٧م)، إلى ألمانيا وسويسرا وبريطانيا، ثم اختارته الإرسالية الكنسية في لندن منصرًا في مقر الخلافة الإسلامية في القسطنطينية فسافر ليلتحق بعلمه الجديد، سنة (١٨٥٨م)، تحت ظل العلاقات الطيبة بين الحكومتين.

وهناك بدأ بالتقرب من السلطان عبد العزيز خان وكان منه ما كان، حتى أصدر سنة (١٨٦٠م) نسخة تركية من كتابه «ميزان الحق».

أما الشيخ رحمت الله فقد لقد كانت نتيجة هذه المناظرة بالنسبة له بداية تفكير بتأليف كتاب إظهار الحق، الذي كان كتاب العصر.

إن هـذا الخـزي حـدا بالنصـارى أن يفكـروا في الإعـداد العسـكري المسـلح للاستيلاء على الهند كليًّا...

***

وشائج التُّراب والعقيدة 7

حينَ تُلامسُ سِياطُ الذُّلِّ المناطقَ الملغَّمةَ
بالعقيـدةِ تُفجِّـرُ أسـرارَ الوجـودِ، وتُثـوِّرُ
وشائجَ التُّراب.
إنَّ المحتـلَّ الغَضـوبَ بـينَ أنْ يـنفضَ
بغـرورِهِ رمـادَهُ عـن جمـرِ القلـوبِ الَّتـي
احتلَّها، وأنْ يقذِفَ بحطبِ خيانتِها في نارِ
ظُلمِهِ، فتتفَحَّم مصائرُهُ في طَرْفةِ غَضَبٍ.

استطاعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية تكوين إمبراطورية بحد السيف على مدى مئة عام ضمت مناطق شاسعة بالهند، ثم شرعت في وضع نظام إداري عصري، لكن الهنود أوقعوا بها في فخ المفاجأة، وبدؤوا ثورة في شتى البلاد، عرفت بثورة (١٨٥٧-١٨٥٨م)، حركتها وقادتها الطبقات الحاكمة القديمة الماراثا والمغول للتخلص من الوجود البريطاني، الذي سلبها امتيازاتها وصلاحياتها السياسية. لكن الشركة استخدمت أسلوبًا تميز بالشدة في مواجهة الأحداث، إلى أن تمكنت من القضاء عليها بعد قتال متقطع دام (١٨) شهرًا.

ولم تلبث شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي كونت إمبراطورية ضخمة بالهند أن توقفت عن الوجود رسميًا في (١٨٥٨م)، وفي السنة ذاتها أخذت الحكومة البريطانية تضطلع بشكل مباشر بشؤون الإدارة الهندية، بعد أن أقنعت الثورة الحكومة البريطانية بضرورة إجراء تغييرات جذرية في أسلوب الحكم البريطاني في الهند.

عرفت هذه الحقبة بحقبة «**الهند البريطانية**» أو «**الراج البريطاني**» هي المرحلة التاريخية التي استعمرت فيها مناطق الهند وباكستان وبنغلاديش وميانمار بواسطة الإمبراطورية البريطانية منذ بداية القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين. في اللغة الهندية، كلمة «راج» تعني الحكم، أي فترة الحكم البريطاني في المنطقة. كانت المناطق المستعمرة تمثل دولة واحدة.

بدأ الاستعمار البريطاني في شبه الجزيرة الهندية في عام (١٨٥٨م)، بشكل رسمي، واستمر الإنجليز في صب جام غضبهم على المسلمين واتبعوا معهم سياسة الإبعاد عن الوظائف وخيرات البلاد، وتشجيع الهندوس وتثبيت أقدامهم في المراكز العليا والمناصب الرفيعة، كما فتحوا لهم أبواب الرخاء وميادين الرقي ويسروا أمام أبنائهم التعليم بالمدارس في حين كانوا يعملون على إبقاء المسلمين في ظلمات الجهل والتخلف ليكونوا آمنين من أي محاولة منهم لاسترجاع السيادة التي سلبها منهم الإنجليز بمساندة وتمهيد من جماعات الهندوس.

***

اختبارٌ نفسيٌّ لمستوى الطَّاعةِ، وقياسِ منسوبِ الكرامةِ فيها، في حامية «ميرت» حيثُ يقفُ الظَّالم والمظلوم في صفٍّ واحدٍ على خطٍّ أحمرَ بدايةَ حربٍ عالميَّة، فرضَ الضُّباط الإنجليزُ على الجنود الهنودِ استعمالَ دهن الخنزير والبقر في تشحيم بنادقهم، وكانَ عليهم أن يقطعوا الشَّحم المتجمِّد بأسنانهم، تكثيفًا للجبروت وتعزيزًا للغُرور وتقعيدًا للاستهتار بشريكٍ حربيٍّ محتلٍّ، فثارتْ ثائرةُ الجنود المسلمين والهندوس، تحدُوهم عقيدتُهم، فالمسلمونَ يحرِّمونَ الخنزير، والهندوسُ يحرِّمون البقر. فتضاعفَ الغيظُ فوقَ الغيظ، احتلالٌ، واستعمالٌ في الحروبِ والمشاريع التَّوسُّعيَّة، وطعنٌ في العقيدة.

نظرَ الضُّباطُ إلى هذا العصيانِ بعيونٍ من نارٍ، وقرَّروا تأديبَ الجنود، فسيقَ خمسةٌ وثمانونَ جنديًّا إلى المحكمةِ العسكريَّةِ لتنفيذِ حكمِ السَّجنِ فيهم عشرَ سنواتٍ، وكانَ ذلكَ على مرأى رُفقائهم عراةً مُكبَّلينَ، ولم تنفعْ أيُّ محاولةِ استجداءٍ واستعطافٍ، لكنَّ كلماتِ المحكوم عليهم كانت الفتيلَ الَّذي جعل قلعة «ميرت» بركانًا يغلي بالغضبِ على الإنجليز، وفي اليوم التَّالي «١٠ مايو ١٨٥٧م» وثبَ الجنودُ في المعسكر على رُؤسائهم الإنجليز يقتلونَ ويدمِّرون ويسيطرون على الموقف، وبعد أنْ خضعتْ لهم الحامية، وصارتْ بيدهم دروبُها وأبنيتُها، خطَّطوا للزَّحفِ إلى العاصمةِ «دلهي».

علم الشَّيخ رحمت الله بن خليل الهندي بذلك، وكان على جمرِ فرصةٍ ما، فانتفضتْ حماستُه وانتهزَها، واتَّصلَ بهؤلاءِ الجنود، ووضعَ لهم خطَّةً للوصول إلى «دلهي».

ولـمَّا تضايقَ الثُّوَّار في «دلهي» تحرَّك إليها الشَّيخ رحمت الله من معسكره في «نجيب آباد»، على رأسٍ مئتي جنديٍّ، وعملَ على قيادة مجاهدي «شاملي وكيرانة» للاضطلاع بدورهم، فنُظِّمتْ فرقُ الجهاد، ووزِّعتِ الأسلحة، وأُقيمت التَّحصينات القويَّة في وجه الجيش الإنجليزيِّ، وكان ذلك بمساعدة جملةٍ من أصدقائِهِ العلماءِ المجاهدين الَّذين خاضوا بصحبته أشرسَ المعاركِ وأشدَّها خسارةً للجيش الإنجليزيِّ برغم بساطة أسلحتهم وتقليديَّتها، وكانوا من قبلُ قد أشعلوا فتيلَ الثَّورة ضدَّ الإنجليز سنة «١٨٥٧م»، وأفتوا بوجوبِ الجهادِ، وأعلنوا الإنجليز محاربينَ للإسلام، وأصدروا في ذلك بياناتٍ كثيرةً، عزَّزوها بخطبهم، ووزَّعوا المنشوراتِ الدَّاعية لذلك حثُّوا المسلمين فيها على بذلِ أرواحِهم وأموالهم..

أدرك الإنجليزُ خطرَ هذه العُصبة، حتَّى إنَّ الضباطَ والجنودَ كانوا يذكُرونَ ذلك في رسائلهم إلى أهلهم، يمرِّغون مشاعر الحنين بمشاعر الخوف والرَّهبة منهم، فاستشاطُوا غضبًا عليهم وعلى كلِّ من له شأنٌ في المجتمع الهنديِّ، فبعد أن فشلتِ الثَّورة وجد الإنجليز الموتورون الَّذين يعدُّون المسلمين هم أصحاب الفكر والقيادة في الثَّورة والمواطنون تابعون لهم وجدوا فرصتهم في التَّشفِّي، فنُصبتْ أعوادُ المشانق للعلماء والمجاهدين في قرية «بنجيت»، فاضطُر الشَّيخ رحمت الله للاختفاءِ مع بعض المجاهدين في القرية، بينما انتشرَ الجنودُ في المنطقة يبحثون عنه، فاقتحموا قرية «كيرانة» وفتَّشوها بيتًا بيتًا، ولـمَّا فشلوا في العثور عليه توجَّهوا إلى «بنجيت»، حيثُ يختبئ، وعلم عمدة القرية بذلك،

فاهتدى لحيلة قبل أن يتمَّ القبضُ عليه في عمليَّة التَّفتيش الشَّاملة الَّتي يقومون بها، فطلبَ من الشَّيخ أنْ يلبسَ لبس الفلَّاحين، ويخرج للعمل في الحقول، فنزل الشَّيخ عند مشورته، وحينَ مرَّت قوَّات الإنكليز على الشَّيخ رحمت الله وهو متنكِّر سألوهُ وزملاءَه عن الشَّيخ رحمت الله، ولم يعرفوه، ثمَّ سألوا النِّساءَ والأطفالَ، فأنكروا معرفتهم لهذا الاسم، ثمَّ قاموا بتفتيش القرية، واستفزاز أهلها بالنَّهب والتَّهديد بالقتل، وقبضوا على أربعةَ عشرَ شابًّا رهائنَ حتَّى يسلِّموا الشَّيخ، فلمَّا علم الشَّيخ عزمَ على تسليم نفسه لهم، لكنَّ العمدةَ أخبرهُ بأنَّ أهل القرية ليسوا متذمِّرين من اعتقال شبابهم، والصَّبر كفيلٌ بفقد الإنجليز الأملَ في العثور عليه، وحقًّا يئس الإنجليز من العثور عليه، فأطلقوا سراحَ المعتقلين، ولكنَّهم قبضوا على العمدة بتهمة إخفاء الشَّيخ، ورفعوا أمر الشَّيخ إلى المحكمة بتهمة قيادته للثَّورة وإحداث الشَّغب والخروج على القانون، وأعلنوا عن جائزةٍ مقدارها ألفُ روبية هنديَّة لمن يأتي بالشَّيخ حيًّا أو ميتًا، وهي ثروةٌ آنذاك، ولكن بلا جدوى، فزادتْ نقمتُهم على المسلمين، وبالذَّات في مقاطعة «كيرانة» لا لشيء إلَّا لأنَّ الشَّيخ ينتسبُ إليهم، وبثُّوا عيونهم للتَّحرِّي عنه، لكنَّ الله هداهُ أنْ يغيِّر اسمه فسمَّى نفسه مصلح الدِّين، وخرج مارًّا بالقرى والفيافي إلى «سورات»، ثمَّ إلى «مومباي»، وقد رأى في أثناء رحلته فتْكَ الإنجليز بالمسلمين وذبحَهم للعلماء على قارعة الطَّريق بدمٍ أزرقَ، ومن «مومباي» ركبَ زورقًا شراعيًّا إلى الميناء اليمنيِّ «مخا» لأنَّ السَّفينة الَّتي تبحر من «مومباي» إلى جدَّة قد فاتته، بالإضافة إلى أنَّ ميناء «مومباي» يغصُّ

بالموظَّفين والجنود الإنجليز. ومن «مخا» سافر برًّا إلى مكَّة المكرمة، فوصلها بعد سنتين من السَّفر المضني بين البرِّ والبحر، سنة «١٢٧٨هـ = ١٨٦٢م» مهاجرًا إلى الله، تاركًا ممتلكاته الثَّابتة والمنقولة الَّتي قام الإنجليز بإحصائها وإعلانها للبيع بالمزاد العلنيِّ، فبيعتْ بألفٍ وأربعمئة وعشرين روبية وقيمتها الحقيقيَّة عشرات الألوف لما فيها من القصور والمزارع.

* * *

الهروب إلى القمة 8

إنَّ الفرارَ من قدرِ الله إلى قدرِ الله يُعلِّم به جوهرُ المرءِ، كيف يستقبلُ الأحوالَ كما تستقبلُهُ؟ كيف يعلِّمُها المغامرةَ كما علمتْهُ؟ كيف يبني مما حملتْه من حطام اليائسين سفينةَ نجاةٍ تحملُ مَن كانوا في مخططِ طُوفانها؟

إنَّ في الفرارِ من قدر الله إلى قدر الله عوضًا عن كلِّ فائتٍ، إذا مُلئتْ قرابُ الروحِ ببوارق الأمل، وكانت الآخرةُ في القلب، والدنيا في اليد.

وصل الشيخ رحمت الله بعد رحلة عذاب محفوفٍ بالخوفِ والترقب، إلى مكة المكرمة، وقرَّ قلبُه فيها، وهدأتْ سريرته قربَ الرحاب المقدَّسة، لكنه لم يفر بحثًا عن راحةٍ من جهاد، إلا أن الحياة في سبيل الله رجحت عنده على الموت في سبيل الله، وقد استشرف انمحاء دوره على يد الإنجليز الذي قلبوا

ظهور الأرض على بطونها وهم يبحثون عنه.

حتى إذا استروحَ نوى العمرةَ، وبينما هو في الطَّواف التقى بالحاج «إمداد الله» الَّذي وصل إلى مكَّة قبله، فأكملا السَّعي معًا، ثمَّ ترافقا إلى سكن الحاج في رباط داود قرب باب العمرة، وأقام الشيخ معه هذا المدة.

وبدأ الشيخ رحمت الله يتردد مع الحاج «إمداد الله» إلى الحرم كل حين، بغرض العبادة والاطلاع على حلقات العلم فيه، عسى يجد مفتاح توظيفه فيبدأ مشواره الجديد في نشر ما جمعه، والإفادة مما خبره، وذات حضورٍ سمع الشيخ رحمت الله الشيخَ أحمد بن زيني دحلان إمام وخطيب المسجد الحرام آنذاك، ينتصر لمذهب الإمام الشَّافعيِّ رضي الله عنه، وقد كان مفتي الشافعية، ويضعِّف أدلَّة غيرِهِ، وكان الشيخ رحمت الله يفتي على المذهب الحنفيِّ، فسأله بتواضعِ طلاب العلم عن سبب انتصارِهِ لمذهب الشافعي، وطال النِّقاش بينهما، تحفه روح الحوار الطيبة، فأدرك الشَّيخ دحلان أنَّ السائل ليس طالب علم بسيط، بل من كبار العلماء، فأخذ بيده، وطلب منه التَّعرف عليه، فاختصر له ظروفه، وسبب مجيئه إلى مكَّة، ثمَّ اصطحبه إلى بيته، وصنعَ وليمةً كبيرة دعا إليها العلماء، وطلب من الشيخ رحمت الله الحديث عن المناظرة، وما يلاقيه المسلمون في الهند من جور الإنجليز، للاستزادة وتحفيز الخاصة على الاهتمام بشأن المسلمين وأحوالهم في الهند. ولأنَّ طرح الشَّيخ رحمت الله كان جديدًا من النَّاحية التطبيقيَّة، ولا يقل أهمية عن الانشغال بأبواب العلوم الأخرى والاهتمامات الموازية، جاء طلب الأستاذ أحمد بن زيني دحلان من

الشيخ رحمت الله أن يترجم للعربية مسائل المباحث الخمسة التي هي محط النقاش بين المسلمين والمسيحيين، والتي ناظر فاندر باثنين منها، جامعًا إياها من الكتب والرسائل التي ألفها في هذا الباب.

ثم بدأ بممارسة التدريس في المسجد الحرام، بعد الإجازة التي منحها إياه الشيخ أحمد دحلان، وتسجيل اسمه في السِّجلِّ الرَّسميِّ لعلماء الحرم، فلم يجلس دون أن يعمل بصمته في هذا الحقل المبارك.

فلمَّا مضى على اندماجه مع أجواء العلم الشرعي في المسجد الحرام زمن كاف لاستقراء الحال، لاحظَ أنَّ التدريس يحتاج منهجًا ثابتًا يسير وفقه، ولا سيَّما أن العلوم الدينية واللغة العربية هي فقط التي كانت تُعطى لطلاب العلم آنذاك، فكانت أوَّل خطوة في طريق التطوير والتجديد التي أسسها هي إدخال علوم جديدة كالهندسة والرياضيات وعلم المناظرة والعلوم الفلكية، وعلم الاجتماع، واضعًا يد العلوم الإنسانية في يد العلوم التطبيقية لتقوم هذه تلك، وتضبط مهامها. وبدأ بنفسه العمل عليها، فأحضر الكتب اللازمة من الهند، وشرع في تدريس كتاب «حجة الله البالغة في حكمة التشريع» لشاه ولي الدهلوي، و«شرح الجغميني في علم الفلك»، و«مقدمة ابن خلدون»، في يوم مشهود في تاريخ التدريس، ونقلة نوعية لحركة التعليم، وخطوة أساس لخطوات أكيدة، وسابقة حميدة في ذاكرة المسجد الحرام.

أمَّا الخطوةُ الثَّانية فقد كانت في فصلِهِ بينَ علمَي النَّحو والصَّرف، بعد أن كانا يُدرَّسان معًا، وكان يقومُ بتدريس هذه العلوم في داره قبل إنشاء المدرسة

النِّظامية، وهو الذي نشأ في بيئة غير عربية، وأهلها لا يتحدثون بها، لكنه أتقنها حتى استأهل تدريسها، وصار صدى لأسلافه من العجم الذين تركوا آثارًا تفخر بها العربية نفسها مثل: سيبويه والفارسي، والزَّجَّاج، والزمخشري، وغيرهم، غير أنهم ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة أهله الأصليين، واكتسبه بالدرس والدربة، وهذا أشق، حتى تخرَّج على يديه كثير من العلماء والقضاة وكبار الموظفين الذين كان لهم دور كبير فيما بعد في تاريخ مكة والجزيرة.



إظهارُ الحق خطرٌ جميلٌ 9

لا يخسرُ من يراهنُ على الحقِّ، ويبطرُ صاحبَ الباطلِ ذَرْعَه، لأنَّه لن يعدمَ من السَّماء مددًا، ولا من الأرضِ دُعاءً.
كلُّ ذاتٍ تصونُ خلقها تجعلُهُ حمايةً لجديدها. وخيرُ نصيحٍ من وَريتَ به زنادَكَ، فألزمَ بنصيحته شتاتَك بالجمع، ومطرَكَ بالسِّير في مجرى الرِّواية.
الفكرةُ البكرُ تنضجُ في ورق التَّوفيق الأبيض، حتَّى تجعلَ من يُناوئها أمحلَ من حديثِ خُرافة.

يحكي الشيخ رحمت الله قصَّة تأليفِهِ لكتابِ «إظهار الحق»، ودواعيه في مقدَّمتِهِ، فيقول:

إنَّ الدولة الإنكليزية لمَّا تسلَّطتْ على مملكةِ الهند تسلُّطًا قويًّا، وبسطوا بساطَ

الأمنِ والانتظام بسطًا مرضيًا، ومن ابتداء سلطنتهم إلى ثلاثٍ وأربعين سنةً، ما ظهرت الدَّعوة من علمائهم إلى مذهبهم، وبعدها أَخذوا في الدَّعوة وكانوا يتدرَّجون فيها، حتَّى أَلَّفوا الرَّسائل والكتب في ردِّ أهل الإسلام، وقسَّموها في الأمصار بين العوام، وشرعوا في الوعظ في الأسواق، ومجامع النَّاس، وشوارع العامَّة، وكان عوام أهل الإسلام إلى مدة متنفِّرين عن استماع وعظهم ومطالعة رسائلهم، فلم يلتفتْ أحدٌ من علماء الهند إلى ردِّ تلك الرَّسائل، لكن تطرَّق الوهنُ بعد مدة، في نفور بعض العوام، وحصل خوف مزلَّةِ أقدام بعض الجهَّال الَّذين هم كالأنعام، فعند ذلك توجَّه بعض علماء أهل الإسلام إلى ردِّهم، وإني وإن كنتُ منزويـًا في زاوية الخمول، وما كنت معدودًا في زمرة العلماء الفحول، ولم أكن أهلًا لهذا الخَطب العظيم الشَّأن، لكنِّي لمَّا اطَّلعت على تقريراتهم، وتحريراتهم، ووصلت إليَّ رسائلُ كثيرةٌ من مؤلَّفاتهم، استحسنتُ أن أجتهدَ أيضـًا، بقدر الوَسع والإمكان، فألفتُ أوَّلًا الكتب والرَّسائل، ليظهرَ الحالُ على أولي الألبابِ، واستدعيتُ ثانيـًا من القسيس الَّذي كان بارعـًا وأعلى كعبـًا من العلماء المسيحيَّة الَّذين كانوا في الهند مشتغلين بالطَّعن والجرح على الملَّة الإسلاميَّة، تحريرًا وتقريرًا، أعني مؤلف «ميزان الحق» أن يقعَ بيني وبينَه مناظرة، في المجلس العام، ليتَّضح حقَّ الاتِّضاح أنَّ عدم توجُّه العلماء الإسلاميَّة ليس لعجزهم عن ردِّ رسائل القسِّيسين كما هو مزعوم بعض المسيحيِّين، فتقرَّرت المناظرة في المسائل الخمس الَّتي هي أمهات المسائل المتنازعة بين المسيحيين والمسلمين أعني: التَّحريف والنَّسخ، والتَّثليث،

وحقيقة القرآن، ونبوَّة محمد صلى الله عليه وسلَّم؛ فانعقد المجلس العامُّ في شهر رجب سنةَ ألفٍ ومئتين وسبعين من هجرةِ سيِّد الأوَّلين والآخرين صلى الله عليه وسلَّم في بلدة أكْبَر آباد.

وكان بعض الأحباء المكرَّم أطال الله بقاءه، معيناً لي في هذا المجلس، وكان بعض القسيسين معيناً للقسيس الموصوف، فظهرت الغلبة لنا بفضل الله في مسألتي النَّسخ والتَّحريف اللَّتين كانتا من أدقِّ المسائل وأقدمها في زعم القسيس، كما تدلُّ عليه عبارتُهُ في كتاب «حل الإشكال»، فلمَّا رأى ذلك سَدَّ باب المناظرة في المسائل الثَّلاث الباقية. ثمَّ وقعَ لي الاتفاق أن وصلت إلى مكَّة شرفها الله تعالى، وحضرت عتبة الأستاذ العلَّامة والنِّحرير الفهَّامة، عين العلم والدِّراية، ينبوع الحكم والرِّواية، شمس الأدباء، تاج البلغاء، مقدام المحققين، سند المدققين، إمام المحدثين، قدوة الفقهاء والمتكلمين، فلذة كبد البتول، سمي الرَّسول المقبول، سيِّدي وسندي ومولاي السَّيد أحمد بن زيني دحلان، أدام الله فيضه إلى يوم القيام، فأمرني أن أترجمَ باللِّسان العربي هذه المباحث الخمسة من الكتب التي ألفت في هذا الباب، لأنَّها كانت إمَّا بلسانِ الفرس، وإمَّا بلسانِ مسلمي الهند.

وكان سبب تأليفي في هذين اللِّسانين أنَّ اللِّسانَ الأوَّل مألوفُ المسلمين في تلك المملكة، واللِّسان الثَّاني لسانهم، وأنَّ القسيسين الواعظين المقيمين في تلك المملكة ماهرون في اللِّسان الثَّاني يقيناً، وواقفون على اللِّسان الأوَّل أيضاً قليلًا، سيَّما القسيس الَّذي ناظرني، فإنَّه كانت مهارته في الأوَّل أشدَّ من

الثَّاني، ورأيتُ إطاعة أمر مولاي بمنزلة الواجب، وشمَّرتُ عن ساق الجدِّ لامتثال أمره، فأرجو ممَّن سلك مسلكَ الإنصاف، وتنكَّبَ عن طريق الاعتساف، أن يستر خطآتي، ويجر قلم الإصلاح على هفواتي، وأسأل الله الميسِّر لكلِّ صعابٍ أن يمنَّ عليَّ بما يرشدني إلى الحقِّ والصَّواب، ويجعل هذا الكتابَ مقبولًا لدى الأنام، منتفعًا به الخاصُّ والعامُّ، ويصونه عن شبهات المبطلين، وأوهام المنكرين، وهو الوليُّ للتَّوفيق، وبيده أزمَّةُ التَّحقيق، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير، وسمَّيته «إظهار الحق»، ورتَّبته على مقدِّمة وستَّة أبواب.

***

إنَّ كتابَ «إظهار الحق» جاء خلاصة رسائل الشيخ رحمت الله التي كتبها بغير العربية، جمع فيه كلَّ المسائل الَّتي ترد على شبهات المسيحية وبخاصَّة المبشِّر الألماني «كارل فاندر» صاحب كتاب «ميزان الحق»، إذ يبدو من تشابه الاسمين أنَّ الثَّاني ردٌّ على الأوَّل، وقد ابتدأ في تأليف هذا الكتاب، في السادس عشر من شهر رجب في سنة (١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م)، وفرغ منه في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة (١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م)، كما أثبتَ في نهايته، وطُبعَ أوَّل مرةٍ في الآستانة (١٢٨٤هـ).

أسبابٌ كثيرةٌ تجعل من هذا الكتاب قيمةً عليا وتبوِّئُهُ مكانةً رفيعة، منها:

١ - رواجُه بين المسلمين والحديث عن فرادته ونفاسته وضرورته.

٢- تصدره مرجعًا للعديد ممَّن كتب في هذه المسائل من بعده. فقد نقل عنه كثيرون ممن اشتغلوا بعده بالرد على المسيحيين، وقال عنه محمد جواد البلاغي في كتابه المسمَّى «الرحلة المدرسيَّة»: «هو كتاب جليل في بابه، بكر في طريقته، فائق في إتقانه واطِّلاع مصنِّفه، وهو الشيخ رحمت الله الهندي،... وأجاد فيه وحقَّق، فلتغتنم رؤيته»، ونقل عنه في مواضع عديدة في كتابه المذكور، وفي مؤلَّفاته الأخرى التي ألَّفها في ردِّ المسيحيِّين.

كما كان الكتاب الذي غيَّر حياةَ الدَّاعية الشَّهير سفير العهد الأخير أحمد ديدات[١].

يقول الشيخ أحمد ديدات:

عام «١٩٤٠م» تقريبًا.. في صباح يوم الرَّاحةِ دخلتُ المخزنَ، أخذتُ أقلِّبُ في كومةٍ من الصُّحف القديمة، أفتِّشُ عن مادَّة جيِّدةٍ أقرؤُها.. انهمكتُ في البحث.. طالعتُها كلَّها.. إلى أن عثرتُ على كتابٍ مغبرٍّ قد قضمتْه الحشراتُ، حينما أمسكتُ به ثارتْ منه رائحةُ عفنٍ نفَّاذة أثارتْ أنفي وانتابتني موجةٌ من العُطَاس.. قرأتُ العنوان: «إظهار الحقِّ» لرحمت الله بن خليل الهندي، وكأنَّ العنوان بالعربيَّة، فتحتُ الكتاب على الغلافِ الدَّاخلي، وقد كُتبَ عليه:

«IZAHAR UL HAKK»

---

(١)- انظر كتاب المؤلف: أحمد ديدات سفير العهد الأخير، دار سما، الكويت، ٢٠١٦م، ص٢٣.

أخذتْ كلماتُ العنوان.. إظهار الحق.. إظهار الحق.. تدورُ في ذهني، ولكنَّني لم أكنْ أعرفُ معنى ذلك، ورأيتُ في أسفل الغلاف ترجمةً للعنوان بالإنجليزيَّة بحروفٍ أصغر:

«The Truth Revaled»

أي الكشف عن الحقيقة. فربطتُ بين هذه العبارة وعنوان الكتاب، وقلتُ لنفسي: ربَّما هذه العبارةُ هي ترجمة العنوان «إظهار الحق».

كانَ الكتاب قديمًا، صدرَ في الهند عام «١٩١٥م» قبلَ ميلادي بثلاثِ سنوات، وقد صدرَ بالعربيَّة، ولكنَّه تُرجمَ إلى الإنجليزيَّة..

ثمَّ قمتُ بتجديد غلافه المهترئ، وقمتُ بقراءته، وبفضله تغيَّرتْ حياتي تمامًا، ولو لم أصادفْ هذا الكتابَ ما كنت استطعتُ التَّحدث إلى النَّاس عن الأديان من منطلق المقارنة بينها.

...

وهو في بابه لا غنى لدارسي هذا العلم عنه.

٣- اعتماده على أقوال علماء الكتب المقدَّسة الغربيِّين، مثل: آدم كلارك، وثوماس هورن، وماثيو هنري، وثوماس سكوت، وناتانيئل لاردنر، وغيرهم.

٤- طبعاته الكثيرة التي تهافتت عليه بعد ظهور طبعته الأولى بدأت طبعة إستانبول في أوائل محرم سنة (١٢٨٤هـ)، الموافق لمايو (١٨٦٧م)، في حياة المؤلِّف في مجلَّدين، باللغة العربية زمن السلطان عبد العزيز خان بإشراف الحاج حسن شكري، بالمطبعة العامرة، وتلقَّفت المطابع هذا الكتاب تطبعه

وتنشره في العالم، وقد طبع أكثر من عشر طبعات بالعربية ما بين قديمة وحديثة، وتمتاز الطبعات القديمة بوجود أربع رسائل على هوامشها هي:

الأولى: مناظرة الشيخ رحمت الله للقسيس فاندر بترجمة الشيخ رفاعي الخولي ومكاتيب الفريقين قبل المناظرة وبعدها.

الثانية: كتاب الشيخ رحمت الله «التنبيهات في احتجاج البعث والحشر».

الثالثة: رسالة خلاصة الترجيح للدين الصحيح للمهتدي الشيخ زيادة الذي أسلم في القرن الحادي عشر الهجري، وصاحبها الشيخ محمد بن علي الطيبي الدمشقي.

الرابعة: رسالة مختصر الأجوبة الجليَّة في دحض الدعوات النصرانية للشيخ زيادة، وصاحبها الشيخ محمد بن علي الطيبي الدمشقي.

ثم طُبع في عهد السلطان عبد الحميد خان في مطبعة الحجر بالقاهرة بخط الإمام الحسين والكاتب عبد العال أحمد سنة (١٢٩٤هـ).

ثم طبع في عهد السلطان عبد الحميد خان في المطبعة العامرة في إستانبول سنة (١٣٠٥هـ)، في جزأين بمجلد واحد.

ثم طُبع في مصر في المطبعة الخيرية سنة (١٣٠٩هـ)، بإدارة السيد عمر حسين الخشاب والسيد محمد عبد الواحد الطوبي، في جزأين بمجلد واحد، وفي حواشيه الرسائل الأربعة المذكورة آنفًا.

ثم طبع في القاهرة في المطبعة العلمية بإدارة السيد عمر هاشم الكتبي وأخيه السيد محمد هاشم الكتبي، سنة (١٣١٦هـ)، في جزأين بمجلد واحد، وفي

حواشيها المناظرة والتنبيهات للمؤلف ورسالتا الطيبي.

ثم طبع في القاهرة في المطبعة المحمودية على ذمة الشيخ أحمد المليجي الكتبي وأخيه الشيخ محمد، بإدارة الشيخ محمد موسى شريف، سنة (١٣١٧هـ) في جزأين بمجلد واحد، وفي حواشيها الرسائل الأربعة.

وأما الطبعات العربية الحديثة كالتي أخرجها الأستاذ عمر الدسوقي (١٩٦٤م)، والتي أخرجها السيد محمد كمال فراج، والتي أخرجها الدكتور أحمد حجازي السقا، فهي على ما حققه الدكتور محمد ملكاوي تحتاج إلى كثير من التنقيح والمراجعة والعودة إلى الأصول. وللدكتور ملكاوي ملاحظاته على هذه الطبعات الحديثة يجدر الاطلاع عليها والوقوف عندها.

٥- ترجماته العديدة إلى الكثير من اللغات الأخرى، فكانت ترجمته الأولى بعد صدور الطبعة العربية الأولى بأمر من السلطان العثماني عبد الحميد خان الذي أوصى بترجمته وطباعته وتوزيعه في العالم الإسلامي، فترجم إلى تسع لغات أجنبية: منها الألمانية والفرنسية والإنجليزية، وأصبحت لا تكاد مكتبة في الشرق والغرب تخلو من نسخة منه، وبعد موت السلطان عبد الحميد لم تجدد طبعاته بهذه اللغات.

ثم قام الشيخ «نزهت أفندي» رئيس كتاب نظارة المعارف بترجمة الجزء الأول إلى التركية، بعد أن رأى اهتمام السلطان عبد الحميد به، وسماه «إبراز الحق»، كما ترجم الجزء الثاني الشيخ عمر فهمي بن حسن الأنقروي (شيخ الخلافة) بمركز ولاية بوسنة في تركيا، وطُبع الجزآن في مجلد واحد باللغة التركية،

ويقعان في ألف صفحة تقريبًا، وقد أعيدت طباعته بالتركية اللاتينية في عامي (١٩٧٢م و١٩٧٦م).

وترجمه «أكبر علي السهارنفوري العثماني» أستاذ الحديث في دار العلوم بكراتشي بباكستان إلى الأورديَّة، وسمِّيت الترجمة (بائبل سي قرآن تك) أي «من العهدين القديم والجديد إلى القرآن»، يقع في ثلاث مجلدات، وقد طبع في باكستان ثلاث طبعات، وقام بمراجعته الشيخ محمد تقي العثماني سنة (١٣٨٨هـ)، وقدم له بمقدِّمة طويلةٍ ومفيدة في تاريخ المسيحيَّة، وشرح عقائدها ونقدها نقدًا علميًّا، وقد اقترح العالم العلامة أبو الحسن علي الحسن الندوي رحمه الله تعالى عليه وعلى المترجم ترجمةَ هذه المقدِّمة إلى اللُّغتين العربيَّة والإنجليزيَّة، ونشرها مفردةً، لأنها تُعد من خيرِ ما كُتبَ في موضوعِها.

وترجمه «محمد ولي رضي» من الترجمة الأورديَّة إلى الإنجليزيَّة، ونُشر بعنوان «The Truth Revealed». ولكنَّه لم يوفق لطباعته في حينه، لأنَّ الحكومة الإنجليزيَّة في الهند منعت طبع وتداول مؤلَّفات الشيخ رحمت الله، وكانت تعاقب بالحبس والغرامة كلَّ من يساعد على إظهار مؤلفاته في الأسواق، فبقيت كثير من كتبه وترجماتها محفوظة في البيوت التي لم يصل إليها يد الإنجليز ، ثم طبع فيما بعد وهي موجودة في مكتبة المدرسة الصولتية.

وترجمه غلام محمد الرانديري بن الحاج حافظ صادق إلى الگجراتيَّة، لغة إقليم گجرات في الهند، وطبعه عام (١٩١٨م)، بمطبعة (ديشي منيتر) بمدينة سورات في مجلد واحد.

كما ترجم إلى الفرنسية، وكتب على غلاف الترجمة أنها من إنجاز شاب تونسي، وهذا الإبهام في ذكر الاسم سببه ما تقصد من عدم الدقة والكمال حتى راجعها وأتمها المستعرب «باسكال فانسان كارليتي= Pascal-Vincent Carletti» (١٨٢٢ - ١٨٩٢م) المعروف باسم إلياس منصور. وقد طبعت الترجمة في مجلدين بمدينة باريس سنة (١٨٨٠م)، تحت عنوان: «Manifestation de la vérité».

٦- تلقيه الكبير من قبل المهتمين الأوربيين، والاهتمام به في الدراسات الأوروبيَّة، فقد أثارَ الكتابُ إبَّان طبعه ضجَّةً كُبرى في الأوساط النَّصرانيَّة، حتَّى كتبتْ صحفُ إنجلترا تعليقات على هذا الكتاب، منها ما جاء في صحيفة اللندن تاميز: «لو دامَ النَّاس يقرؤون هذا الكتاب لوقفَ تقدُّم المسيحيَّة في العالم». وما هذا إلا لكثرة الحالات التي وقعت، فما يكاد مسيحي يقرأ الكتاب ويفهمه حق الفهم إلا صار مسلمًا.

وقد اشترى القساوسة كميَّات كبيرة من طبعات الكتاب، وأتلفوها إحراقًا وإبادة لمنعه من الانتشار، ما يعكس حجم الغيظ الذي ملأ قلوب النصارى والضرر الذي أحدثه هذا الكتاب في مشروعهم.

وقد حكى المستشرق «إ. جولدزيهر» أنه في أثناء زيارته لدمشق سنة (١٨٧٧م) وجد كلَّ النَّاس تتحدَّث عن كتاب «إظهار الحق» لرحمت الله الكيرانوي، ما يشير إلى انتشاره ووصول خبره إلى أصقاع العلْم وحواضره، ونسبة تلقي الناس له وإكبارهم لما فيه من جهد علمي جبار.

وفي سنة (١٩٧٦م) نشرت الباحثة الإنجليزية «آن أفريل باويل= Ann Avril Powell» مقالًا بالإنجليزية في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، وعنوانه: (مولانا رحمت الله الكيرانوي والجدل الإسلامي- النصراني في الهند في منتصف القرن ١٩م)، تحدثت فيه بإسهاب عن ظروف المناظرة بينه وبين فاندر، وذكرت فيه معلومات قيمة عن كلا المتناظرين، وعن كتاب إظهار الحق، ثم ناقشت رسالتها للدكتوراه في جامعة لندن سنة (١٩٨٣م)، عنوانها: اللقاء والمجادلة بين الإسلام والنصرانية في شمال الهند خلال (١٨٣٣م – ١٨٥٧م): العلاقات بين المسلمين والمنصرين البروتستانت في الأقاليم الشمالية الغربية الهندية وما يليها شرقًا. ومدارها على جهود الشيخ رحمت الله ومحمد وزير خان في مواجهة المنصرين في الهند.

ثم نشرتها سنة (١٩٩٣م)، تحت عنوان آخر: المسلمون والمنصِّرون بالهند قبل ثورة ١٨٥٧م.

ثـمَّ ناقشت الباحثة الألمانية «كريستين شريرماخر» بحثها للإجازة سنة (١٩٩٢م) حول الجدل الإسلامي المسيحي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين من خلال المواجهة بين كتاب «ميزان الحق» لكارل غوتلايب فاندر وكتاب «إظهار الحق» لرحمت الله بن خليل العثماني الكيرانوي، وأثر ذلك على النقاش الدائر بشأن إنجيل برنابا.

ولها مقال حول الموضوع نفسه بالإنجليزية، عنوانه: أثر النقد العالي للكتاب المقدس على المجادلين المسلمين في القرن التاسع عشر. نشر في كتاب

جماعي بأكسفورد سنة (١٩٩٩م).

ومن المآخذ الجليّة على هذه الباحثة أنها متعصبة جدًّا لمواقف المنصرين؛ لأنها تشاركهم المهنة نفسها هي زوجها، وأنها تتعمد الادعاء بأن رحمت الله الهندي كان شيعيًّا، فوقع الدكتور أحمد حجازي السقا في الحفرة ذاتها توهمًا، على الرغم من الدلائل القاطعة التي تثبت أنه من علماء أهل السنة، ومن أسرة سنية أبًا عن جدٍّ نسبها يرتفع إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكتابه «إظهار الحق» نفسه مليء بالترضي عن الصحابة أجمعين وجميع أمهات المؤمنين، ويدافع فيه عن كتب السنة المعتبرة عند أهل السنة، كما يرد أيضًا على سوء الاعتقاد الذي تتفوه به الفرقة الإمامية الاثنا عشرية في حق الصحابة، ولكنَّ غرضها هو تنفير أهل السنة من قراءة كتاب «إظهار الحق».

٧- ظهوره في وقته المناسب، إذ انتشرت دعوات التنصير في كل أنحاء العالم، وغلبوا على كل دعوة، وانكبوا يؤلفون في مناهضة الإسلام، ونبيه الكريم، وكتابه الجليل المعجر، ويملؤون صفحات الحياة تشويهًا للحقائق وتزويرًا للثوابت، بكل لغات العالم حتى ظنوا أن لا دعوة فوق دعوتهم، وأنهم الحق المطلق.

٨- كونه عصارة حياة كاملة من القراءة والتمحيص والمدارسة الناقدة التحليلية من الشيخ رحمت الله لكتب العهدين، التي بلغت طبعاتها (٣٢) طبعة، بأربع لغات منها (١٣) بالعربية و(٨) بالفارسية و(٦) باللغات الهندية و(٥) بالإنجليزية، وكتب القدماء والمحدثين من علماء المسلمين في التاريخ

والعقائد والفقه والتفسير والحديث والفلسفة والمنطق والاجتماع، ما جعله متضلعًا بأدوات النقد المنهجي وطرائقه، ومجيدًا لتقليب المواضع المنقودة وعرضها على نار اختبارها لمعرفة معدنها، حتى بلغت هذه الكتب ٥٨ مصدرًا أساسيًّا.

٨- أصداؤه في عقول المفكرين، فقد قال الدكتور محمد ملكاوي عنه: «كتاب إظهار الحق يعد من خير ما ألف للرد على النصارى وكشف مزاعم المنصرين ومطاعنهم، مع خلوه من الشتائم واللغو، وتقريره الحقائق الدينية والتاريخية بأسهل الطرق وأقربها، واعتماده في ذلك على ما في كتب العهدين المسلمة عند فرق النصارى، ولذلك لا عجب أن يحدث ظهور هذا الكتاب بعدة لغات أوروبية صدى عجيبًا في الأوساط النصرانية والإسلامية... وقد أخذ الطلاب والعلماء والباحثون عن الحق يتلقفون طبعات هذا الكتاب للدراسة والاستفادة منه، وأقبل الناس على شراء طبعاته وترجماته المختلفة إقبالًا منقطع النظير، وقد أثنى عليه عدد كبير من العلماء ونقلوا منه، واعتبروه من المراجع الهامة في علم مقارنة الأديان، وأوصوا باقتنائه وإعادة طبعه...».

فقد كتبت عدة تقريظات على الطبعة الأولى منه منها تقريظ السيد راشد أفندي محرر رسائل وزارة المعارف باللغة التركية.

ومنها تقريظ أبي القاسم بن محمد المغربي المالكي المحدث بالقسطنطينية كقوله: «بعث الله سهمًا صائبًا وشهابًا ثاقبًا، من نادرة الزمان وأعجوبة العصر والأوان، مَن جاهد بسيفه وقلمه، وبذل جهده في تشييد ركن الإسلام وإنافة

علمه، شيخنا وأستاذنا القرشي العثماني من نسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فصنف كتابه المسمى بإظهار الحق».

وفي سنة (١٩٦٩م)، قال عنه جورج أنواطي: «إنه أكبر كتاب كان منذ نهاية القرن التاسع عشر، ولا يزال إلى يومنا هذا عمدة وذخيرة للمجادلين المسلمين».

وقال الداعية أبو الحسن الندوي رحمه الله في تقديمه لكتاب «إظهار الحق»، مادحًا أسلوبه وخطته الهجوميَّة: «وهكذا ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود، ويمتاز بعدة ميزات، منها: أنَّ المؤلف آثر خطة الهجوم على خطة الدفاع، التي ما تزال أقوى وأكثر تأثيرًا في النفس، فإنها تلجئ الخصم إلى أن يتخذ موقف الدفاع، وأن يقف في قفص الاتهام، ويدافع عن نفسه وينفي التهمة».

وكتب الشيخ محمد رشيد المعصراني الدمشقي تقريظًا قال فيه: لما رأيت هذا الكتاب رياضًا فاحت عطور كماله وبحرًا تموج بالمعارف، ألفه العالم الفاضل الشيخ رحمت الله الفريد لإظهار الحق الذي أذهب الباطل فنظمت هذا التقريظ له المزين بجواهر مدحه وتاريخ طبعه الكامل:

جاءنا من رحمتِ اللهِ كتابْ ... مرشدٌ من زاغ عن نهج الصَّوابْ

فيه لا ريبَ هدىً للنَّاسِ قد ... أشرقَ الحقُّ به، والبُطْلُ ذابْ

أظهرتْ أنوارُهُ أسرارَهُ ... كم جلتْ أقمارُهُ ليلَ ارتيابْ!

نِعمَ مبناهُ رياضٌ أثمرتْ ... دُر معناهُ لمن يدري الخِطابْ

لا لأعمى وأصمَّ بالشقا ... في ضلال عن سعود الرُّشدِ غابْ

بشـــذا إثمـــدِهِ إن يكتحـــلْ		أبصـــرَ الحـــقَّ لداعيـــه أجـــابْ
والذي لـم يصـحُ مـن سُـكر الهـوى		كيف يدري النَّفع مِن ضرٍّ أعـابْ؟!
ضـاعَ في الـدنيا وفي الأُخـرى الـذي		يعـرفُ الـربحَ، ويـأبى الاكتسـابْ
مـا اقتـدى بـالغير في الجهـلِ الفتـى		لـو درى مـا شـأْنُهُ يـومَ الحسـابْ
يـا عليـلَ الغـي حُـزْ نـورَ الهـدى		علمُـهُ يشـفيك مـن داءِ العـذابْ
كـــلُّ غـــاوٍ لـــو رآهُ منصـــفًا		مـن ظـلامِ الكفـرِ بالإيمـانِ طـابْ
حكمـــــةٌ بالغـــــةٌ آياتُـــــهُ		فُصِّلتْ من فكرِ ذي القدرِ المُهابْ
جـــامعُ المعقـــولِ والمنقـــولِ في		صـدرِهِ بحـرَ العلـومِ المُسـتطابْ
رحمـــتُ الله لنـــا المقصـــودُ مَـــنْ		شـاعَ مـن تأليفـه هـذا العُجـابْ
نصـــرةٌ للـــدِّين قـــد ألَّفـــه		راغـبَ الأجـرِ لـه نعـمَ الثَّـوابْ
ختمُـــهُ مســـكٌ أتـــى تاريخُـــهُ		جاءَنَـا مـن رحمـتِ الله كتـابْ

وكتـب أحمـد فـارس الشـدياق تقريظًـا قـال فيـه: «إنَّ كثيـرًا مـن المصـنِّفين والمتكلمين المفلقين قد ألَّفوا في كشف الحقائق مؤلفاتٍ باهرة، أودعوها بينات ظاهرة وبراهين جاهرة، غير أن مصنف هذا الكتاب الشيخ رحمت الله الهندي هو الذي سبق في هذه الحلبة أيَّ سبق، فحُقَّ له أن يسمي مؤلفه هذا إظهار الحق، فإنَّه لم يَرو شيئًا إلا بعد أن تروَّى فيه، وملكه بجميع نواصيه وأقاصيه، فجدَّ واستقرى، وتقصَّى وتحرَّى، وبحث وجادل، وفحص وناضل، حتى أفحم الخصم بمقوله، وحجه بدليله، ممَّا رواه من منقوله، وأوشاه من معقوله، فلم يُطقْ أحدٌ معه معارضة، ولا مراجعة، ولا مناقضة، فلله دره من

مؤلف حَبر، قد أتى بما يستحق أن يكتب بماء الذهب فضلًا عن الحِبر، فهذا كتاب هو في فنِّه آية، وليس وراءه لمبتغي الزيادة غاية، فأقبل عليه بالتلاوة والتَّنويه، وقلْ ما قلت فيه:

هـــذا الكتـــابُ أجـــلُّ نفـــعِ	وأبـــــرُّ مـــــأثرةٍ وصـــــنعِ
جمـــــعَ البـــــراهينَ التـــــي	تُعيـــي المخاصـــم أي جمـــعِ
بُنيـــــتْ دلائلُـــــه علـــــى	أحكـــامِ عقـــلٍ ثـــم شـــرعِ
رقَّـــــــــتْ معانيـــــــــه ورا	قـــتْ كـــلَّ ذي نظـــرٍ وســـمعِ
ولـــذا بـــدا بجميـــل طبــــ	ـــعٍ يشـــتهيه كـــلُّ طبـــعِ
فيـــــه لكـــــل مخـــــالفٍ	رَدعٌ وإن يـــــــك رب درعِ
يبقـــى علـــى مـــر الزمـــا	نِ مكرمًـــا في كـــل ربـــعِ
وعلـــــى براعـــــةِ وضـــــعِهِ	قمـــــنٌ بتنويـــــه ورفـــــعِ
لمـــا بـــدتْ منـــه المنـــا	فـــعُ ذاتُ أصـــلٍ ثـــمَّ فـــرعِ
أنشـــــدت في تقريظـــــه	هـــذا الكتـــابُ أجـــلُّ نفـــعِ

وذكره الشيخ عبد الرحمن بك باجهجي زاده في كتابه الفارق بين المخلوق والخالق، بقوله: «إن الأستاذ الفاضل رحمت الله الهندي قدس الله روحه في كتابه إظهار الحق فضح كتبهم وبين ما فيها من التحريف والمناقضات والكذب وتجاسرهم على الله تعالى وعلى أنبيائه الطاهرين، فإن أردت الوقوف على مساويهم فراجعه فهو يغنيك ويشفيك».

وعده خير الدين الزركلي من أفضل الكتب في موضوعه، وقال عنه الشيخ

سعيد حوى في كتابه الرسول: ولعل هذا الكتاب أعظم دراسة نقدية لنصوص الديانين اليهودية والنصرانية وأدق نقد لاعتراضات أتباع هاتين الديانتين على الديانة الإسلامية... وقارئ الكتاب يحس إحساسًا يقينيًّا أن المؤلف متمكن من كتب العهدين القديم والجديد تمكنًا تامًّا فكأنه قرأهما عشرات المرات واطلع على ما كتبه أهلهما من تفاسير أو شروح أو تعليقات عليهما وكتب كتابه بعد ذلك.

كما أثنى عليه جمع من العلماء منهم الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محمد تقي العثماني، والشيخ إمداد صابري، والشيخ سليمان الندوي والشيخ ألطاف حسين والشيخ محمد علي المونغيري.

وشهد به كثيرون من علماء النصارى الذين هدى الله قلوبهم للإسلام، منهم بشرى زخاري ميخائيل، ومحمد مجدي مرجان، وإبراهيم خليل أحمد.

وبعد كل هذه الشهادات الدنيوية، وإشارات التوفيق السماوية يخرج من المسلمين من يدعي جهلًا أنه اكتشف من خلال هذا الكتاب الذي عُلم منه ما عُلم أثرًا وقيمةً ضلالَ صاحبه، وراح يحذر الناس منه، يصفق له الجاهلون ويغفل عنه العالمون، فكان الكتاب في ظنه غير صالح لغرضه، وهو الرد على النصارى، على الرغم من أن كتاب «إظهار الحق» لم يرد عليه أحد من النصارى ولو ادعاءً، لتمكنه، ودقة عمله، وكثرة أدلته في المسألة الواحدة، وصدق نقده، والتزامه بالأصول المتبعة المرضية في هذا الحقل.

كان الكاتب الشيخ رحمت الله في رأي هذا صوفيًّا أشعريًّا معاديًا لمنهج الشيخ

محمد بن عبد الوهاب، بحجج أوهى من بيت العنكبوت، منها أن الشيخ رحمت الله أثنى على أستاذه الشيخ أحمد بن زيني دحلان، إمام الحرم ومفتي الشافعية في زمنه، وهل كان عليه أن يذمه حتى يكون صالحًا!؟

والعجيب أن هذا الطاعن ليس لديه مشكلة أن يكون الوصف الذي وصفه الشيخ رحمت الله لأستاذه في ابن تيمية أو ابن القيم، ومشكلته أن يكون لدحلان رحمه الله، ومن جملة المآخذ التي بها حكم عليه بعدم الصلاح تسميته للنصارى بالمسيحيين، وثناؤه على الفخر الرازي الفيلسوف بقوله: العلامة الفخر الرازي قدس الله سره، لأن الرازي له كتاب في السحر والمجوسية، وكفره غير واحد من أهل العلم، ونقْله من تفسيره وكتابه المطالب العالية، وقوله على دين المسيح الدين العيسوي، لأن دين النبيين هو الإسلام، وتسميته القرون الإسلامية الأولى بالقرون المحمدية، وتصريحه بأسماء الأشاعرة وإبهامه لأسماء علماء السنة، كمدحه للتفتازاني بالعلامة والاكتفاء بذكر وصف صاحب «هداية الحيارى» لابن القيم، ونفيه لحجية خبر الآحاد وقوله أنه منكر الحديث المشهور فاسق، ونقله أن اعتقاد الشيعة الاثني عشرية في القرآن أنه غير محرف بل هو قرآن أهل السنة، والعمدة عنده في التفسير على الرازي الفيلسوف والبيضاوي والزمخشري المعتزلي والجلالين، وعدم نقله مطلقًا من تفسير ابن كثير ولا غيره.

وعدم ذكره لكتاب «الجواب الصحيح» لابن تيمية مع كونه العمدة في الباب ولا كتاب «هداية الحيارى» إلا مرة واحدة مع إبهام اسم ابن القيم.

غير ما في الكتاب من التصريح بنفي الشكلية عن الله، وكذا الجسمية، وهذا مما سكت عنه أهل السنة.

وما انتفاعُ أخي الدُّنيا بِناظِرِهِ
إِذا استَوَت عِندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

* * *

خريطة كتاب العمر 10

علـى عُصـارةِ الإخـلاصِ مـن اللهِ لسـان
صـالحة.. يصـبُّه في كـؤوسِ روحِـهِ آيـاتٍ
ناطقةً بوصـايا العهـد الأخيرِ التي لا يأتيها
الباطلُ من بين يـديها، ولا مـن خلفهـا، ولا
يتنـازعُ عليهـا عقـلانِ بلغَـا رشـدَهما، ولا
يهربُ من صوتِها إلّا من سفِهَ نفسَه.
عصارة الإخلاصِ نسخةٌ أصليَّةٌ عن خريطة
كتـابِ العمـر، وفهـرسٌ لكتـابِ الآخـرة،
ومعجمٌ لمن عجمتْ عليه أسماءُ الحقائق،
وصَرفةٌ لمن تحدَّى بالتحريفِ أصولَها.

وضع الشيخ رحمت الله أبواب الكتاب ومقدمته، في غضون نصف سنة، بخط يده، باللغة العربية، وهذا لا يحيل إلى عجلة بقدر ما يحيل إلى همة عالية وقدرة على لملمة حصائل الفكر والمذاكرة والتأليف.

ولما أتمه بخطه أرسله بنسخته الأولى إلى رئيس الوزراء خير الدين باشا

التونسي، فقرأ ما كتبه في المقدمة حول سبب تأليف الكتاب، وأنه وضعه استجابة لرغبة شيخ الحرم أحمد بن زيني دحلان، فصارحه بعجبه لأنه لم يضع اسم السلطان وهو الذي طلب منه ذلك، معه، مبررًا أن هذا الذكر من باب التقرير والواقع لا لاستجلاب المدح والثناء، فأجابه الشيخ رحمت الله بأن الشيخ دحلان كان أول من اقترح عليه ذلك، فهو الأولى من ناحية، وأن الكتاب غرضه ديني صرف وينبغي أن يسمو عن كل غرض دنيوي كتزلف السلطان أو التكسب به، فالنية في التأليف في هذا الباب على وجه التعيين ضرورة لتحقيق الغاية، وقد اجتهد الشيخ بهذا الفعل أن يخلصها لله تعالى، فاقتنع رئيس الوزراء، حتى إذا بلغ ذلك الأمر السلطان سر به ووضعه في موضعه الرفيع من نظره، لأن مثل هذا الفعل يكشف معدن الشيخ وانتماءه إلى الآخرة التي يسعى لإعمارها الصلحاء.

بدأ الشيخ ببسم الله والحمد لله، وأفرد صفحات للحديث عن تسلط الإنجليز على بلاد الهند، ونشاط المنصرين في كل المجالات، ثم سبب مناظرته لفاندر ووصوله إلى مكة، وطلب الشيخ دحلان منه تأليف كتاب في موضوعات المناظرة، ثم ذكر مؤلفاته السابقة التي كانت بالفارسية والأوردية، ثم رتبه على مقدمة وستة أبواب:

- المقدمة:

أورد فيها تنبيهات قبل البدء بالقراءة، دفعًا للبس وسوء الفهم. كما احتوت

على جملة من النقاط البحثية المهمة في بابها، كما رد باختصار على بعض أقوال القس فاندر في كتابه ميزان الحق، وتتبع مغالطاته في النقل عن الكتب الإسلامية، وذكر شواهد على تحريف الأناجيل وأنها على صيغتها الحالية ليست هي المنزلة على عيسى عليه السلام، وأورد نماذج من بذاءة المنصرين وفند ادعاءاتهم ضد القرآن واللغة العربية وهم من أجهل الناس بهما، والتزم في الرد لغة الأدب وتجنب ما وقعوا فيه.

***

- الباب الأول: في بيان كتب العهد العتيق والجديد.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: في بيان أسمائها وتعدادها. وقد قسم فيه أسفار العهدين إلى قسن متفق عليه وقسم مختلف فيه.

الفصل الثاني: في بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد.

وقد تحدث فيه عن ضرورة السند المتصل للكتب السماوية، وبين أن أسفار التوراة ليست متواترة لانقطاع سندها، وأن فيها أغلاطًا كثيرة، وأن الاضطراب شامل لمعظم أسفارها وبخاصة كتب الأنبياء الملحقة بها، وضرب أمثلة على ذلك.

ثم بين ضعف سند الأناجيل واختلاف النصارى في صحتها وأن هذا يفقد كتب العهدين الثقة فيها، ويسقط الاحتجاج بفقراتها.

الفصل الثالث: في بيان أن هذه الكتب مملوءة بالاختلافات والأغلاط.

وقد جعله قسمين:

قسم الاختلافات، وذكر فيه مئة وخمسة وعشرين اختلافًا منها خمسة وأربعون في كتب العهد القديم والباقي في كتب العهد الجديد.

وقسم الأغلاط، وذكر فيه مئة وعشرة أغلاط، منها سبعة وثلاثون غلطًا في كتب العهد القديم، والباقي في كتب العهد الجديد.

الفصل الرابع: في بيان أنه لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل سفر من أسفار العهد العتيق والجديد كتب بالإلهام.

وقد أبطل فيه ادعاء أهل الكتاب إلهامية كتبهم بسبعة عشر وجهًا، وبين الاختلافات بين الكاثوليك والبروتستانت في صحة هذه الكتب ثم استشهد بأقوال علمائهم على عدم إلهاميتها كما بين اختلاف متى ومرقس في التحرير وأن التوراة الأصلية والإنجيل الأصلي مفقودان قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

* * *

- الباب الثاني في إثبات التحريف.

تعرض فيها للتحريف بكل أنواعه في العهدين القديم والجديد، وقسمه إلى ثلاثة مقاصد:

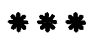
المقصد الأول: في إثبات التحريف اللفظي بالتبديل، وقد ذكر فيه خمسة وثلاثين شاهدًا على تحريف العهدين بالتبديل منها واحد وثلاثون شاهدًا في

كتب العهد القديم والباقي في كتب العهد الجديد.

المقصد الثاني: في إثبات التحريف اللفظي بالزيادة، وقد ذكر فيه خمسة وأربعين شاهدًا على تحريف كتب العهدين بالزيادة، منها ستة وعشرون في كتب العهد القديم والباقي في كتب العهد الجديد.

المقصد الثالث: في إثبات التحريف اللفظي بالنقصان، وقد ذكر فيه عشرين شاهدًا على تحريف كتب العهدين بالنقصان، منها خمسة عشر شاهدًا في كتب العهد القديم والباقي في كتب العهد الجديد.

ثم ذكر خمس مغالطات يحاول النصارى والمنصرون تغليط علماء المسلمين فيها، وهي تتعلق بنسبة الأسفار إلى كاتبيها، وبشهادة المسيح بحق كتب العهد القديم، وبصعوبة التحريف لانتشار كتب العهدين شرقًا وغربًا وبقاء النسخ السليمة إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم، وقد رد على هذه المغالطات بردود واضحة قوية.



- الباب الثالث في إثبات النسخ.

عرف فيه النسخ لغة واصطلاحًا وبين فيه جوازه عقلًا ووقوعه فعلًا في الشرائع السابقة، وجاء فيه بواحد وعشرين شاهدًا على وقوعه فيما بين الشرائع السابقة، وأبطل فيه ادعاءات أهل الكتاب بأن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم غير ناسخة لشرائعهم.

* * *

- الباب الرابع في إبطال التثليث.

وفيه مقدمة وثلاثة فصول.

المقدمة: ذكر فيها اثني عشر أمرًا يتعلق بعقيدة التثليث وألوهية المسيح لا بد من معرفتها قبل الكلام في الفصول الثلاثة لأنها تزيد الناظر بصيرة.

الفصل الأول: في إبطال التثليث بالبراهين العقلية، وقد أتى فيه بسبعة براهين عقلية على إبطال التثليث وكلها براهين قوية دامغة لحجة الخصم.

الفصل الثاني: في أبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام، وقد أتى فيه باثني عشر قولًا للمسيح تدل دلالة قاطعة على بطلان عقيدة التثليث وألوهية المسيح وأنه بشر رسول دعا إلى توحيد الله وعبادته.

الفصل الثالث: مناقشة النصارى في دعوى ألوهية المسيح بآيات الكتاب، وقد ناقش فيه أدلة النصارى النقلية على ألوهية المسيح وأبطلها وبين أنه ليس في شيء منها التصريح بألوهيته، وقد غلب عليها المجاز والإجمال وأثبت أن استلالهم بها خطأ على فرض ثبوتها فضلًا عن بطلانها.

***

- الباب الخامس في إثبات كون القرآن كلام الله ومعجزًا ورفع شبهات القسيسين.

جاء على أربعة فصول:

الفصل الأول: في الأمور التي تدل على أن القرآن الكريم كلام الله، وقد أتى فيه باثني عشر أمرًا دالًّا على كون القرآن الكريم كلام الله وأنه معجز ثم أعقب

ذلك بذكر ثلاث فوائد:

الأولى: في سبب كون معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جنس البلاغة.

الثانية: في الحكمة من نزول القرآن منجمًا.

الثالثة: في سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص الأنبياء في مواضع من القرآن الكريم.

الفصل الثاني: في رفع شبهات القسيسين عن القرآن، وقد ذكر فيه خمسًا من شبههم على القرآن الكريم وأجاب عنها جوابًا شافيًا.

الفصل الثالث: في إثبات صحة الأحاديث النبوية في كتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة. وقد قصره على ذكر ثلاث فوائد:

الأولى: في أخذ اليهود والنصارى سلفًا وخلفًا بالروايات اللسانية واعتبارها كالمكتوبة رغم تأخرها وجواز الكذب فيها.

الثانية: في أن الأمر العجيب أو الهتم بشأنه يكون محفوظًا لأكثر الناس وخلافه لا يبقى محفوظًا غالبًا لعدم الاهتمام.

الثالثة: في أن الحديث الصحيح معتبر عند أهل الإسلام.

الفصل الرابع: في دفع شبهات القسيسين الواردة على الأحاديث النبوية، وقد ذكر فيه خمسًا من شبههم على الأحاديث النبوية الشريفة ورد على هذه الشبه ردودًا كافية ووافية لا مزيد عليها.

***

- الباب السادس في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودفع مطاعن القسيسين.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أتى فيه بستة مسالك كل واحد منها يكفي للاستدلال على نبوته:

المسلك الأول: ظهور معجزات كثيرة على يديه.

المسلك الثاني: الأخلاق والصفات والمحاسن الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم.

المسلك الثالث: ما تشتمل عليه شريعته الغراء.

المسلك الرابع: أنه عليه الصلاة والسلام ادعى بين قوم لا كتاب لهم.

المسلك الخامس: ظهوره في وقت كان الناس في حاجة إليه.

المسلك السادس: إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته.

وقد قدم لهذا المسلك بثمانية أمور، ثم أتى بثماني عشرة بشارة من كتب العهدين دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: في دفع المطاعن، وقد بين ثلاثة وثلاثين مطعنًا من مطاعن أهل الكتاب في الأنبياء السابقين ووصفِهم إيَّاهم بأقبح الصفات. كما رد فيه على أربعة مطاعن من مطاعنهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

المطعن الأول: مطعن الجهاد، وقد مهد للرد عليه بخمسة أمور.

المطعن الثاني: عدم ظهور المعجزات على يديه.

المطعن الثالث: باعتبار النساء وهو على خمسة أوجه، وقد جعل رده على هذه الأوجه الخمسة متضمنًا ثمانية أمور.

المطعن الرابع: وهو أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان مذنبًا، وقد جعل رده على هذا المطعن متضمنًا خمسة أمور.

***

إن هذا المخطط يكشف عن عقلية علمية منهجية، ويكفي أن يوقف عند نقاط المقدمة حتى تكون مثالًا لذلك.

بدأ الشيخ رحمت الله كلامه بالحمد الموظف لخدمة المضمون، ليوصل رسالة غير مباشرة ملخصة تشوق للاطلاع على التفاصيل والمسائل المباشرة.

قال: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه أبداً، فسبحان الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله تبصرةً وَذكرى لأولي الألباب، وكشف نقاب الحق عن وجه اليقين بدلائل آياته، ونصب على منصته أعلام الهداية ليحق الحق بكلماته، حتى انقطعت دون محجته حجج أقوام بظواهر شبهِها يتظاهرون، وهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]. والصلاة والسلام على مَن سفرت معجزات نبوّته بأَحسنِ المطالع، وظهرت شعائر شريعته، فنسختْ معالِمَ الأديانِ والشرائع، أرسله مولاه بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كله، وأيده بمحكم كتابٍ أعجزَ البلغاءَ عن أنْ يأتوا بسورة من مثلِه سيدنا محمد الذي بشّر بظهوره التوراةُ والإنجيل، وتحققت بوجوده دعوة أبيه إبراهيم الخليل، صلى الله عليه

وعلى آله، الفائزين باتباع شريعته، السالكين منهج الإصابة في اقتفاء طريقته، وصحبه الذين وصل اللّه بالإسلام بينهم، حتى صاروا أشدّاء على الكفار رحماء بينهم.

ثم سرد مجموعة أمور ودعا إلى التنبه عليها، في أثناء قراءة الكتاب، دفعًا للالتباس المحتمل:

الأول:

أني إذا أطلقت الكلام في هذا الكتاب في موضع من المواضع فهو منقول عن كتب علماء (البروتستانت) بطريق الإلزام والجدل، فإن رآه الناظر مخالفًا لمذهب أهل الإسلام فلا يقع في الشك، وإذا نقلت عن الكتب الإسلامية أشرت إليه غالبًا إلا أن يكون مشهورًا.

الثاني:

أن النقل غالبًا في هذا الكتاب من كتب فرقة البروتستانت، سواء كانت تراجم أو تفاسير أو تواريخ؛ لأن هذه الفرقة هي المتسلطة على مملكة الهند، ومن علمائها وقعت المناظرة والمباحثة، ووصلت إلى كتبها، وقليلًا ما يكون عن كتب فرقة الكاثوليك أيضًا.

الثالث:

أنَّ التبديل والإصلاح بمنزلة الأمر الطبيعي لفرقة البروتستانت، ولذلك ترى أنه إذا طبع كتاب من كتبهم مرة أخرى يقع غالبًا فيه تغيير كثير بالنسبة إلى المرة الأولى، إما بتبديل بعض المضامين أو بزيادتها أو نقصانها، أو تقديم

المباحث وتأخيرها فإذا قوبل المنقول عن كتبهم بالكتب المنقول عنها، فإن كانت تلك الكتب مطبوعة من جنس الكتب التي نقل عنها الناقل فيخرج النقل مطابقاً، وإلا فخرج غير مطابق غالباً، فمن لم يكن واقفاً على عادتهم يظن أن الناقل أخطأ والحال أنه مصيب، وحصل هذا الأمر من عادات هؤلاء القسيسين، ووقعت أنا أيضاً في المغالطة مرتين قبل العلم بعادتهم، فلا بد أن يكون الناظر في هذا الأمر على تنبه تام؛ لئلا يقع في الغلط أو يوقعه أحد فيه، ولئلا يتهم الناقل. وأنا أبين الكتب التي أنقل عنها فأقول: الكتب المذكورة هذه:

١- ترجمة الكتب الخمسة لموسى عليه السلام في اللسان العربي التي طبعها وليم واطس في لندن سنة (١٨٤٨م) على النسخة المطبوعة في الرومية العظمى سنة (١٢٦٤م).

٢- ترجمة كتب العهد العتيق والجديد كلها في اللسان العربي التي طبعها وليم واطس المذكور أيضاً سنة (١٨٤٤م)، وجعل في هذه الترجمة الزبور التاسع والعاشر زبوراً واحداً، وقسم الزبور المئة والسابع والأربعين إلى قسمين وجعله زبورين، فصار فيها عدد الزبورات ما بين العاشر والمئة والسابع والأربعين أقل منها بواحد بالقياس إلى التراجم الأخرى، وفيما عداها متفقة، فلو وجد الناظر الاختلاف في هذا الأمر بالنسبة إلى التراجم الأخرى فلا بد أن يحمل على ما ذكرت.

٣- ترجمة العهد الجديد باللسان العربي وطبعت في بيروت سنة (١٨٦٠م)،

ونقلت عبارة العهد الجديد غالبًا عن هذه الترجمة؛ لأن عبارتها ليست ركيكة مثل عبارة الترجمة الأولى.

٤- تفسير آدم كلارك على العهد العتيق والجديد الذي طبع في لندن سنة (١٨٥١م).

٥- تفسير هورن الذي طبع في لندن سنة (١٨٨٢م)، في المرة الثالثة.

٦- تفسير هنري وإسكات الذي طبع في لندن.

٧- تفسير لاردنر الذي طبع في لندن سنة (١٧١٧م)، في عشرة مجلدات.

٨- تفسير دوالي ورجردمينت الذي طبع في لندن سنة (١٨٤٨م).

٩- تفسير هارسلي.

١٠- كتاب واتسن.

١١- ترجمة فرقة البروتستانت بلسان الإنجليز المثبت عليها الخاتم المطبوعة سنة (١٨١٩م)، وسنة (١٨٣٠م)، وسنة (١٨٢١م)، وسنة (١٨٣٦م).

١٢- ترجمة العهد العتيق والجديد لرومن كاثلك بلسان الإنجليز، وطبعت في دبلن سنة (١٨٤٠م)، وما سواها من كتب أخرى أيضًا، يجيء ذكرها في مواضعها، وهذه الكتب في بلاد تسلط عليها الإنجليز، كثيرة الوجود فمن شك فليطابق النقل بأصله.

الرابع:

إن صدر عن قلمي في موضع من المواضع لفظٌ يوهم بسوء الأدب بالنسبة إلى كتاب من كتبهم المسلَّمة عندهم، أو إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام، فلا

يحمل الناظر عليَّ سوء اعتقادي بالنسبة إلى الكتب الإلهية، والأنبياء عليهم السلام؛ لأنَّ إساءة الأدب إلى كتاب من كتب الله أو إلى نبي من الأنبياء عليهم السلام من أقبح المحذورات عندي أعاذني الله وجميع أهل الإسلام منها. لكن لما لم يثبت كون الكتب المسلمة عندهم المنسوبة إلى الأنبياء بحسب زعمهم كتباً إلهية، بل ثبت عكسه، وثبت أن بعض مضامين هذه الكتب يجب على كل مسلم أن ينكره أشد الإنكار، وثبت أن الغلط والاختلاف والتناقض والتحريف واقعة فيها جزماً، فإني معذور في أن أقول: إن هذه الكتب ليست كتباً إلهية، وأنَّ أنكر بعض القصص مثل: أنَّ لوطاً شرب الخمر وزنى بابنتيه وحملتا بالزنا منه، أو أنَّ داود عليه السلام زنا بامرأة أوريا، وحملت بالزنا منه، وأشار إلى أمير العسكر لأن يدبر أمراً يقتل به أوريا فأهلكه بالحيلة، وتصرف في زوجته، وأن هارون صنع عجلًا وبنى له مذبحاً، فعبده هارون مع بني إسرائيل وسجدوا له، وذبحوا الذبائح أمامه، وأن سليمان ارتد في آخر العمر، وعبد الأصنام، وبنى المعابد لها. ولا يثبت من كتبهم المقدسة أنه تاب بل الظاهر أنه مات مرتدًا مشركاً.

فإن هذه القصص وأمثالها يجب علينا أن ننكرها، ونقول إنها غير صحيحة جزماً، ونعتقد اعتقاداً يقينياً أن ساحة النبوة بريئة من أمثال هذه الأمور القبيحة.

وكذا معذور في أن أقول للغلط إنه غلط، وهكذا فلا يناسب لعلماء البروتستانت أن يشكوا في هذا الباب، ألا يرون إلى أنفسهم كيف يتجاوزون

الحد في مطاعنهم على القرآن المجيد والأحاديث النبوية والنبي صلى الله عليه وسلم؟ وكيف يصدر عن أقلامهم ألفاظ غير ملائمة؟ لكن الإنسان لا يرى عيب نفسه، ولو كان عظيمًا، ويتعرض لعيب غيره، ولو كان صغيراً، إلا من فتح الله عين بصيرته، ولنعم ما قال المسيح عليه السلام: «لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك، وها الخشبة في عينك يا مرائي. أخرج أوَّلًا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدًا أن تخرج القذى من عين أخيك». كما هو مصرح في الباب السابع من إنجيل متى.

الخامس:

قد تخرج كلمة تثقل على المخالف ألا ترى أن المسيح عليه السلام كيف خاطب الكتبة والفريسيين مشافهة بهذه الألفاظ: «ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراؤون، وويل لكم أيها القادة العميان، وأيها الجهال العميان، وأيها الفريسي الأعمى، وأيها الحيات والأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم»، وأَظْهَرَ قبائحهم على رؤوس الأشهاد، حتى شكا بعضهم بأنك تشتمنا، كما هو مصرح في الباب الثالث والعشرين من إنجيل مَتَّى، والباب الحادي عشر من إنجيل لوقا، وكيف أطلق لفظ الكلاب على الكنعانيين الذين كانوا كافرين، كما هو مصرح في الباب الخامس عشر من إنجيل متى، وكيف خاطب يحيى عليه السلام اليهود بقوله: «يا أولاد الأفاعي! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي»، كما هو مصرح في الباب الثالث من إنجيل متى، سيما في

مناظرات العلماء الظاهرية تقع أمثال هذه الكلمات بمقتضى البشرية، ألا ترى إلى مُقْتَدى فرقة البروتستانت ورئيس المصلحين جناب لوطر كيف يقول في حق الذي كان مقتدى المسيحيين، وفي عهده أعني البابا معاصِرَه، وكيف يقول في حق السلطان الأعظم والملك الأفخم هنري الثامن ملك لندن، وأنقل بعض أقواله بطريق الترجمة عن الصفحة (٢٧٧) من المجلد التاسع من «كاثُلك هرلد» وادعى صاحبه أنه نقل هذه الأقوال عن المجلد الثاني والسابع من المجلدات السبعة التي لجناب رئيس المصلحين.

قال الرئيس الممدوح في الصفحة (٢٧٤) من المجلد السابع المطبوع سنة (١٥٥٨م) في حق البابا: «هكذا أنا أول من طلبه الله لإظهار الأشياء التي يوعظ بها فيما بينكم، وإني أعلم أن كلام الله المقدس عندكم، امش مشياً هيناً يا بولسي الصغير، واحفظ نفسك يا حماري من السقوط، احفظ نفسك يا حماري البابا، ولا تقدم يا حماري الصغير لعلك تسقط وتنكسر الرجل؛ لأن الهواء في هذا العام قليل جداً حتى إن الثلج يوجد فيه دسومة كثيرة، وتزل فيه الأقدام، فإن سقطت فيستهزئ الخلق، إن أي أمر شيطاني هذا أبعدوا عني، أيها الأشرار غير المبالين الحمقاء الأذلاء الحمير، أأنتم تخيلون أنفسكم أنكم أفضل من الحمير؟ إنك أيها البابا حمار بل حمار أحمق وتبقى حماراً دائماً»، ثم قال في الصفحة (٤٧٤) من المجلد المسطور هكذا: «لو كنتُ حاكماً لحكمت أن يكتِّف الأشرار البابا ومتعلقوه ثم يغرقوا في «استيا» الذي من الروم على ثلاثة أميال وههنا غدير عظيم، يعني البحر، لأنه حمام جيد لحصول

الشفاء للبابا، وجميع متعلقيه من جميع الأمراض والضعف، وإني أعطي قولي بل أعطي المسيح كفيلًا على أني لو أغرقتهم إغراقًا لينًا إلى نصف ساعة لبرئوا من جميع الأمراض»، وقال في الصفحة (٤٥١) من المجلد المذكور: «إن البابا ومتعلقيه زمرة الأشرار المفسدين الخادعين الكاذبين وكنيف الأشرار الذي هو مملوء من أعظم الشياطين الجهنميين، وهو مملوء بحيث يخرج من بصاقه ومخاطه الشياطين»، وقال في الصفحة (١٠٩) من المجلد الثاني المطبوع سنة (١٥٦٢م): «قلت أولًا إن بعض مسائل جان هس مسائل الإنجيليين، والآن أرجع عن هذا القول وأقول: ليس البعض بل كل مسائله التي ردها الدجال وحواريه في محفل كون ستس، وأقول لك مشافهة أيها النائب المقدس لله: إن جميع مسائل جان هس المردودة واجبة التسليم، وكل مسألة من مسائلك شيطانية كفرية، فلذلك أسلم مسائل جان هس المردودة وأستعد لتأييدها بفضل الله».

وكان من مسائل جان هس «أنَّ السلطان أو القسيس إذا ارتكب كبيرة من الكبائر لا يبقى سلطانًا وقسيسًا»، فلما كانت جميع مسائله مسلَّمة عند رئيس المصلحين كانت هذه المسألة أيضًا مسلمة فعلى هذا لا يخرج أحد من مقتديه أهلًا للسلطنة والقسيسية؛ لأنه لا يوجد أحد منهم لا يصدر عنه كبيرة من الكبائر، والعجب كل العجب أن العصمة ليست شرطًا للأنبياء، وهم ما كانوا معصومين عند الرئيس، وتشترط للسلطان والقسيس. لعل منصب النبوة أدون من منصب القسيسية عنده.

وأما ألفاظ الرئيس المذكور في حق السلطان الأعظم هنري الثامن فهذه: قال في الصفحة (٢٧٧) من المجلد السابع المطبوع سنة (١٥٥٨م)، هكذا:

١- لا ريب أن لوطر يخاف إذا بذل السلطان هذا القدر من ريقه في الكذب واللغو.

٢- إني أتكلم مع الكاذب الديوث ولما لم يراع هو لأجل الحمق منصبه السلطاني فلم لم أرد كذبه في حلقومه.

٣- أيها الحوض الخشبي الجاهل أنت تكذب وسلطان أحمق سارق الكفن.

٤- كذا بلغو هذا السلطان الأحمق الْمُصِرُّ.

والظاهر أن أمثال هذه الألفاظ يكون إطلاقها على الخصم جائزًا عند علماء البروتستانت إلا أن يقولوا إنها وقعت منهم بمقتضى البشرية، فأقول إني إن شاء الله لا أذكر عمدًا لفظًا يوازن لفظًا من ألفاظ مقتداهم في حق العلماء المسيحية، لكن لو صدر من غير العمد لفظ لا يكون مناسبًا لشأنهم في زعمهم أرجو منهم المسامحة والدعاء؛ قال المسيح عليه السلام: «باركوا لأعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم»، كما هو مصرح في الباب الخامس من إنجيل مَتَّى.

السادس:

إنه كثر في ديار أوروبا وجود الذين يعبر علماء البروتستانت عنهم بالملاحدة، وهم ينكرون النبوة والإلهام، ويستهزؤون بالمذاهب سيما بالمذهب المسيحي، ويسيئون الأدب بالنسبة إلى الأنبياء، ولا سيما بالنسبة إلى المسيح

عليه السلام، ويزيدون في الديار المذكورة يوماً فيوماً، واشتهرت كتبهم في أقطار العالم، فيجيء نقل أقوالهم أيضاً على سبيل القلة في هذا الكتاب، فلا يظن من هذا النقل أحدٌ أني أستحسن أقوالهم وأفعالهم، حَاشا وكَلا؛ لأن منكر نبي من الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم عندنا، ولا سيما منكر المسيح عليه السلام كمنكر محمد صلى الله عليه وسلم، بل النقل لتنبيه علماء البروتستانت ليعلموا أن ما أوردوا على الملة الإسلامية ليس بشيء بالقياس مما أورد أهل ديارهم وصنْفهم على الملة المسيحية.

السابع:

إن عادة أكثر علماء البروتستانت في تحرير جواب المخالف جارية بأنهم يتفحصون في كتابه بنظر العناد والاعتساف، فإن وجدوا في جميع الكتاب الأقوال القليلة ضعيفة اغتنموها ونقلوها لتغليط العوام، ثم يقولون: إن جميع كتابه من هذا القبيل، والحال أنهم ما وجدوا مع غاية تفحصهم إلا القدر المسطور، ثم بعد ذلك يأخذون أقوال المخالف حيث يقدرون على التأويل والجواب، ويتركون الأقوال القوية بالمرة ولا يشيرون إليها أيضاً، ولا ينقلون جميع عبارة كتابه في الرد ليظهر على الناظر حال كلام الجانبين، بل يصدر عنهم الخيانة، تارة في النقل فيحرِّفون كلامه، وغرضهم الأصلي إيقاع الناظر في مغلطة ليظن بملاحظة بعض الأقوال التي نقلوها أن كلام المخالف كله كما قالوا، وهذه العادة غير مستحسنة، ومن كان واقفاً عليها يجزم أنهم ما وجدوا في كتاب المخالف إلا هذا القدر، وظاهر أنه لا يلزم منه على تقدير صحة النقل

أيضًا ضعف كتاب المخالف كله، ولا سيما إذا كان كبيرًا؛ لأنَّ الكتاب إذا لم يكن إلهاميًّا يوجد فيه عادة أقوال ضعيفة، لأنَّ كلام البشر يتعسر خلوه عن هذا، كما قيل لكل صارم نبوةٌ، ولكل جواد كبوةٌ، وأوَّل ناسٍ أولُ الناس، والعصمة عن الخطأ والسهو والضعف عندنا خاصة الكلام الإلهامي والكتاب الإلهامي ليس غير، ألا يرون أنه لا يوجد محقق من محققيهم من زمانِ إمام الفرقة جناب (لوطر) إلى هذا الحين بحيث لا يكون في كلامه خطأ أو ضعف في موضع من المواضع من تصنيفاتهم، وإلا فعليهم البيان وعلينا الجواب.

أيجوز في الصورة المذكورة عندهم أن ننقل بعض الأقوال الضعيفة التي صدرت عن إمامهم، الممدوح أو عن إمامهم الآخر (كالون) أو عن محقق مشهور من محققيهم، ونقول: إن كلامه الباقي كله باطل وهذيان من هذا القبيل، وما كان له دقة النظر؟ حَاشا! لا نقول ذلك بل هو خلاف الإنصاف، ولو كان هذا القدر يكفي عندهم لحصلت لنا الراحة العظيمة، فننقل الأقوال من أقوال أئمتهم ومحققيهم في المواضع التي اعترف مُتَّبعوهم وأهلُ ملتهم أيضًا بأنها ضعيفة أو غلط، ثم نقول بعد ذلك: إن كلامهم الباقي كله من هذا القبيل، وإنهم كانوا كذا، فالمرجو منهم أنهم إن كتبوا جواب كتابي هذا فلا بد أن ينقلوا عبارتي كلها في الرد، ويراعوا الأمور التي هي مذكورة في المقدمة، ولو اعتذروا عن عدم الفرصة، فهذا العذر غير مقبول؛ لأنه قد صرح صاحب مرشد الطالبين في الصفحة (٣١٠) من كتابه المطبوع سنة (١٨٤٠م)، في الفصل الثاني عشر من الجزء الثاني «أن نحو ألف سوَّاح من البروتستانت يواظبون على بث

الإنجيل، ولهم قدر مئة معاون على ذلك من الواعظين والمعلمين وغيرهم ممن تنصروا»، فهؤلاء كلهم خرجوا من بلادهم، وليس لهم أمر مهم غير الوعظ والدعوة إلى ملتهم، فكيف يقبل عذر عدم الفرصة من هذا الجم الغفير.

وأذكر شيئاً لتوضيح ما قلت من حال ترجمة إمام الفرقة جناب (لوطر)، وحال كتاب «ميزان الحق» للقسيس النبيل «فاندر» وكتاب «حل الإشكال» و«مفتاح الأسرار» للقسيس الممدوح أيضاً. قال «وارد كاثُلك» في كتابه المطبوع سنة (١٨٤١م)، «قال زونكليس الذي هو من أعظم علماء البروتستانت مخاطباً (للوثر): يا لوثر أنت تخرب كلام الله أنت مخرب عظيم ومحرف الكتب المقدسة، ونحن نستحي منك استحياء؛ لأنا كنا نعظمك في الغاية، وتظهر الآن أنك كذا». ورد لوطر ترجمة زونكليس، ولقبه بالأحمق والحمار والدجال والمخادع، وقال القسيس «ككرمن» في حق الترجمة المذكورة: «ترجمة كتب العهد العتيق ولا سيما كتاب أيوب وكتب الأنبياء معيبة وعيبها ليس بقليل، وترجمة العهد الجديد أيضاً معيبة وعيبها ليس بقليل»، وقال بسروا وسياندر للوطر: «ترجمتك غلط، ووجد ستا فيلس وامسيرس في ترجمة العهد الجديد فقط ألفاً وأربعمئة ١٤٠٠ فساد هي بدعات»، فإذا كان الفساد في ترجمة العهد الجديد ألفاً وأربعمئة فالغالب أنه لا يكون في جميع الترجمة أقل من أربعة آلاف فساد، ولا ينسب الجهل وعدم التحقيق إلى إمامهم المعظم مع وجود هذه الفسادات. فكيف ينسبهما أهل الإنصاف إلى من كان كلامه مجروحاً في

خمسة أو ستة مواضع على زعم المخالف.

وإذا فرغت من بيان ترجمة إمامهم أتوجه إلى الميزان الحق وغيره، فاعلم أيها الأخ أن لهذا الكتاب نسختين نسخة قديمة كانت متداولة إلى مدة بين القسيسين الواعظين قبل تأليف «الاستفسار»، ولما ألف الزكي الفاضل آل حسن «الاستفسار»، ورد الباب الأول والثالث من النسخة المذكورة، وانكشف على القسيس النبيل «فاندر» حال كتابه بعد ملاحظة «الاستفسار»، استحسن أن يهذبها ويصلحها مرة أخرى ويزيد فيها شيئًا ويطرح عنها شيئًا، ففعل هذا المستحسن، وأخرج نسخة جديدة سواها بعد الإصلاح التام، وطبع هذه الجديدة في اللسان الفارسي سنة (١٨٤٩م)، في بلدة أكبر أباد، وفي لسان أوردو سنة (١٨٥٠م)، فصارت تلك النسخة العتيقة بهذه النسخة الجديدة كالقانون المنسوخ عندهم، لا يعبأ بها، فلا أنقل عنها إلا قولًا واحدًا، وإن كان مجال واسع للكلام فيها، وأنقل عن هذه الجديدة الفارسية بطريق الأنموذج أربعة وعشرين قولًا، وعن كتاب «حل الإشكال» المطبوع سنة (١٨٤٧م)، تسعة أقوال، وقولين عن «مفتاح الأسرار» القديم والجديد على سبيل الترجمة باللسان العربي مع الإشارة إلى الباب والفصل والصفحة.

ثم شرع بذكر الأقوال الستة والثلاثين، وبعد الفراغ منها، قال:

والمقصود الأصلي مما ذكرت في هذا الأمر السابع أنَّ الذي يكتب جواب كتابي هذا فالمرجو منه أن ينقل أولًا عبارتي، ثم يجيب ليحيط الناظر على كلامي وكلام المجيب، وإن خاف التطويل فلا بد أن يقتصر على جواب باب

من الأبواب الستة، ويراعي أيضًا في تحرير الجواب الأمور الباقية التي ذكرتها في هذه المقدمة، ولا يسلك مسلك المموهين من علماء البروتستانت؛ لأن هذا المسلك بعيدٌ من الإنصاف مائل عن الحق، ومفض إلى الاعتساف، وإن تَصدَّى القسيس النبيل (فاندر) لتحرير جواب كتابي هذا، فالمرجو منه ما هو المرجو من غيره من مراعاة الأمور المذكورة في هذه المقدمة وشيء زائد أيضًا وهو أن يوجه أولًا هذه الأقوال الستة والثلاثين كلها من كلامه؛ لتكون توجيهاته معيارًا لتوجيه أقوالي في جواب الجواب، وظني أنهم لا يكتبون الجواب إن شاء الله، وإن كتبوا لا يراعون الأمور المذكورة ألبتة، ويعتذرون باعتذارات باردة، ويكون جوابهم هكذا، يأخذون من أقوالي بعض الأقوال التي يكون لهم المجال للكلام، ولا يشيرون إلى الأقوال القوية لا بالرد ولا بالتسليم. نعم! يدَّعون لتغليط العوام ادعاءً باطلًا أن كلامه الباقي أيضًا كذلك، ولعله لا يبلغ حجم ردهم إلى حد يكون كل ورقة ورقة منه بإزاء كراس كراس من كتابي، فأقول من قبل: إنهم لو فعلوا كذا يكون دليل عجزهم.

الثامن:

أني نقلت أسماء العلماء والمواضع عن الكتب التي وصلت إلي بلسان الإنجليز، أو عن تراجم فرقة البروتستانت، أو عن رسائلهم باللسان الفارسي أو العربي أو الأوردو، وحال الأسماء أشد فسادًا من الحالات الأخر أيضًا، كما لا يخفى على ناظر كتبهم، فلو وجد الناظر هذه الأسماء مخالفة لما هو المشتهر في لسان آخر، فلا يعيب علي في هذا الأمر، فإذا فرغت من المقدمة فها

أنا أشرع في المقصود بعون الله الملك الودود. اللهم أرنا الحق حقًّا والباطل باطلًا.

ولا يخفى ما في هذه التنبيهات من قواعد وأصول تخص فن المناظرة.

* * *

هل الله ثلاثة؟ 11

الحكمةُ ألّا تضعَ الشيءَ موضعَه إلّا وقد
نزل في نفسك نزولَه في موضعه، فيحجبه
عن ناظريه فيك ما يحجبُهُ عن ناظريه فيه.
ورأسُ الحكمةِ ألّا تخافَ الله إلّا وقد
عرفتَ أسباب خوفك وقابلتَها بأسباب
رجائِكِ، فتنمحي واحدةٌ بأخرى، حتى
تتعادلَ في نفسك كفَّتَا الحقيقةِ.

قبل أن يجيب الشيخ رحمت الله عن هذا السؤال قدم بيانًا باثني عشر أمرًا تبصرة، وهي:

١- أن كتب العهد العتيق تصرح بوحدانية الله وقدرته وأبديته، وبراءته عن الجسم والشكل، بصورة كبيرة لا تحتاج نقل الشواهد.

٢- أن عبادة غير الله حرام، في مواضع شتى من التوراة، فقد صرح في الباب (١٣) من سفر الاستثناء أنه لو دعا نبي أو من يدعي الإلهام في المنام إلى عبادة غير الله يقتل، وإن كان ذا معجزات، ويرجم من أغرى أحدًا من الأقرباء أو

الأصدقاء بعبادة غير الله، وغيرها من المواضع.

٣- في الآيات الكثيرة من العهد العتيق إشعار الجسمية والشكل والأعضاء لله تعالى، مثلًا في الآية (٢٦) و(٢٧) من الباب الأول من سفر التكوين، والآية (٦) من الباب التاسع من السفر المذكور إثبات الشكل والصورة لله، وفي الآية (١٧) من الباب التاسع والخمسين من كتاب أشعياء إثبات الرأس، وفي الآية (٩) من الباب السابع من كتاب دانيال إثبات الرأس والشعر، وفي الآية (٣) من الزبور الثالث والأربعين إثبات الوجه واليد والعضد، وفي الآية (٢٢) و(٢٣) من الباب الثالث والثلاثين من كتاب الخروج إثبات الوجه والقفا، وفي الآية (١٥) من الباب الثالث والثلاثين إثبات العين والأذن، وكذا في الآية (١٨) من الباب التاسع من كتاب دانيال إثبات العين والأذن، وفي الآية (٢٩) و(٥٢) من الباب الثامن من سفر الملوك الأول، وفي الآية (١٧) من الباب السادس عشر والآية (١٩) من الباب الثاني والثلاثين من كتاب أرمياء والآية (٢١) من الباب الرابع والثلاثين من كتاب أيوب، والآية (٢١) من الباب الخامس والآية (٣) من الباب الخامس عشر من كتاب الأمثال إثبات العين، وفي الآية (٤) من الزبور العاشر إثبات العين والأجفان، وفي الآية (٦) و(٨) و(٩) و(١٥) من الزبور السابع عشر إثبات الأذن والرجل والأنف والنفس والفم، وفي الآية (٢٧) من الباب الثلاثين من كتاب أشعياء إثبات الشَّفة واللسان، وفي الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء إثبات اليد والرجل، وفي الآية (١٨) من الباب الحادي والثلاثين من سفر الخروج إثبات الأصابع، وفي الآية (١٩) من

الباب الرابع من كتاب أرمياء إثبات البطن والقلب، وفي الآية (٣) من الباب الحادي والعشرين من كتاب أشعياء إثبات الظهر، وفي الآية (٧) من الزبور الثاني إثبات الفرج، وفي الآية (٢٨) من الباب العشرين من أعمال الحواريين إثبات الدم.

وللتنزيه في التوراة آيتان، وهما الآية الثانية عشرة، والآية الخامسة عشرة من الباب الرابع من سفر الاستثناء، ولما كان مضمون هاتين الآيتين مطابقاً للبرهان العقلي، وجب تأويل الآيات الكثيرة، وأهل الكتاب ههنا أيضاً يوافقوننا ولا يرجحون تلك الآيات على هاتين الآيتين.

كذا يوجد إثبات المكان لله تعالى في الآيات الكثيرة من العهد العتيق والجديد مثل الآية (٨) باب (٢٥)، والآية (٤٥) و (٤٦) من باب (٢٩) من سفر الخروج، وفي الآية (٣) باب (٥) و (٣٤) باب (٣٥) من سفر العدد، وفي الآية (١٥) باب (٢٦) من سفر الاستثناء، وفي الآية (٥) و(٦) باب (٧) من سفر صموئيل الثاني، وفي الآية (٣٠) و(٣٢) و(٣٤) و(٣٦) و(٣٩) و(٤٥) و(٤٩) باب (٨) من سفر الملوك الأول، وفي الآية (١١) من الزبور (٩)، وفي الآية (٤) من الزبور (١٠)، وفي الآية (٨) من الزبور (٢٥)، وفي الآية (١٦) من الزبور (٦٧)، وفي الآية (٢) من الزبور (٧٣)، وفي الآية (٢) من الزبور (٧٥)، وفي الآية (١) من الزبور (٩٨)، وفي الآية (٢١) من الزبور (١٣٤)، وفي الآية (١٧) و(٢١) من الباب (٣) من كتاب يوتيل، وفي الآية (٢) من الباب (٨) من كتاب زكريا، وفي الآية (٤٥) و(٤٨) باب (٥) و(١) و(٩) و(١٤) و(٢٦) باب (٦)

و(١١) و(٢١) باب (٧) و(٣٢) و(٣٣) باب (١٠) و(٥٠) باب (٢) و(١٣) باب (١٥) و(١٧) باب (١٦) و(١٠) و(١٤) و(١٩) و(٣٥) باب (١٨) و(١٩) و(٢٢) باب (٢٣) من إنجيل متى.

والآيات الدالة على تنزيه الله عن المكان قليلة مثل الآية (١) و (٢) من الباب (٦٦) من كتاب أشعياء، والآية (٤٨) من الباب السابع من أعمال الحواريين، لكن لما كان مضمون هذه الآيات القليلة موافقاً للبراهين أولت الآيات الكثيرة المشعرة بالمكان لله تعالى لا هذه الآيات القليلة، وأهل الكتاب أيضاً يوافقوننا في هذا التأويل، فقد ظهر أن الكثير إذا كان مخالفاً للبرهان يجب إرجاعه إلى القليل الموافق له، ولا يعتد بكثرته، فكيف إذا كان الكثير موافقاً والقليل مخالفاً، فإن التأويل فيه ضروري ببداهة العقل.

٤- ليس لله شبه وصورة كما صرح به في العهد الجديد في مواضع عديدة أن رؤية الله في الدنيا غير واقعة، في الآية (١٨) من الباب الأول من إنجيل يوحنا هكذا: «الله لم يره أحد قط»، وفي الآية (١٦) من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، وفي الآية (١٢) من الباب الرابع من رسالة يوحنا الأولى، فثبت من هذه الآيات أن من كان مرئياً لا يكون إلهاً قط، ولو أطلق عليه في كلام الله أو الأنبياء أو الحواريين لفظ الله، مثلاً إن إطلاقها في الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام على بعض الملائكة لأجل ظهور جلال الله فيه وقد جاء إطلاقها في مواضع غير محصورة على الملك والإنسان الكامل، بل على آحاد الناس، بل على الشيطان الرجيم، بل على غير ذوي

العقول أيضـاً، وكذا أطلق أمثال هـذه الألفـاظ في البـاب الثـامن عشـر مـن سـفر التكـوين علـى الملـك الـذي ظهـر علـى إبـراهيم عليـه السـلام مـع الملكـين الآخرين، وبشره بـولادة إسـحاق وأخـبر بـأن قـرى لـوط سـتخرب في أزيـد مـن أربعة عشر موضعـاً.

وأطلق على المسيح عليه السلام أيضـاً لفظ الله، كما نقل مرقس في الباب الثاني عشر، ومتى في الباب الثاني والعشرين، ولوقـا في البـاب العشـرين قـول المسيح عليه السلام في خطاب الصدوقيين.

فلا يجوز لعاقل أن يستدل بـإطلاق بعـض هـذه الألفـاظ علـى بعـض الحـوادث التي حدوثها وتغيرها وعجزها مـن الحسيات أنـه إلـه أو ابـن الله، وينبـذ جميـع البراهين العقلية القطعية، وكذا البراهين النقلية وراءه.

٥- يقع المجاز في غير المواضع السابقة كثير، وكلام يوحنا مملوء مـن المجـاز قلمـا تخلـو فقـرة لا يحتـاج فيهـا إلـى تأويـل، كمـا لا يخفـى علـى نـاظر إنجيلـه ورسـائله ومشـاهداته، مثـل مـا قـال في البـاب الثـاني عشـر مـن المشـاهدات: «وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة متسربلة بالشمس، والقمر تحت رجليها، وعلـى رأسـها إكليـل مـن اثنـي عشـر كوكبـاً، وهـي حبلـى تصـرخ متمخضـة ومتوجعة لتلده، وظهرت آية أخرى في السماء هو ذا تنين عظيم أحمـر لـه سـبعة رؤوس وعشـرة قـرون، وعلـى رؤوسـه سـبعة تيجـان، وذنبـه يجـر ثلـث نجـوم السماء، فطرحها إلى الأرض، والتنين وقـف أمـام المـرأة العتيـدة أن تلـد حتـى يبتلع ولدها متى ولدت، فولـدت ابنـاً ذكـرًا أن يرعـى جميـع الأمـم بعصـى مـن

حديد واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه، والمرأة هربت إلى البرية حيث لها موضع معد من الله لكي يعولوها هناك ألفًا ومئتين وستين يومًا، وحدثت حرب في السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته».

وهذا الكلام في الظاهر كلام المجاذيب، فلو لم يؤول فمستحيل قطعًا، وتأويله أيضًا يكون بعيدًا، وأهل الكتاب يؤوِّلون أمثال الآيات المذكورة يقينًا، ويعترفون بكثرة وقوع المجاز في الكتب السماوية. قال صاحب «مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين» في الفصل الثالث عشر من كتابه: «وأما اصطلاح الكتاب المقدس فإنه ذو استعارات وافرة غامضة وخاصة العهد العتيق» ثم قال: «واصطلاح العهد الجديد أيضًا هو استعاري جدًّا»، ثم يتحدث عن الفهم الفاسد الحرفي لعلاقة المسيح بالخبز والخمر، واستحالة جسده خبزًا وخمرًا، وهو باطل بوجوه:

-أن الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يستحيل جسد المسيح ودمه ويصير مسيحًا كاملًا، فإذا استحال مسيحًا كاملًا حيًّا بلاهوته وناسوته الذي أخذه من مريم عليهما السلام، فلا بد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الإنساني، ويوجد فيه الجلد والعظام والدم وغيرها من الأعضاء، لكنها لا توجد فيه، بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما كانت، فإذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئًا غير الخبز، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يطرأ على الخبز، لا الفساد الذي يطرأ على الجسم الإنساني، فلو ثبتت الاستحالة تكون استحالة المسيح خبزًا لا استحالة الخبز مسيحًا، فلو قالوا إن المسيح استحال خبزًا

لكان أقل بعدًا من هذا، وإن كان هو أيضـًا باطلًا ومصادمًا للبداهة.

- أن حضور المسيح بلاهوته في أمكنة متعددة في آن واحد وإن كان ممكنـًا في زعمهم، لكنه باعتبار ناسوته غير ممكن؛ لأنه بهذا الاعتبار كان مثلنا يجوع ويأكل ويشرب وينام ويخاف من اليهود ويفر، وهلم جرًّا، فكيف يمكن تعدده بهذا الاعتبار بالجسم الواحد في أمكنة غير محصورة في آن واحد حقيقة؟

- إذا فرضنا أن ملايين من الكهنة في العالم قدسوا في آن واحد واستحالت تقدمة كل إلى المسيح، فإما أن يكون كل من هؤلاء المسيحيين عين الآخر أو غيره، والثاني باطل على زعمهم، والأول باطل؛ لأن مادة كل غيرُ مادة الآخر.

- إذا استحال الخبز مسيحـًا كاملًا تحت يد الكاهن، فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة، فإمَّا أن يتقطع المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات، أو تستحيل كل كسرة مسيحـًا كاملًا، فعلى الأول لا يكون المتناول متناول مسيحًا كاملًا، وعلى الثاني من أين جاء هؤلاء المسحاء؟.

- لو كان العشاء الرباني الذي كان قبل صلبه بيسير نفس الذبيحة التي حصلت على الصليب لزم أن يكون كافيـًا لخلاص العالم، فلا حاجة إلى أن يصلب على الخشبة من أيدي اليهود مرة أخرى؛ لأن المسيح ما جاء إلى العالم في زعمهم إلا ليخلص الناس بذبيحة مرة واحدة، وما أتى لكي يتألم مرارًا كما يدل عليه عبارة آخر الباب التاسع من الرسالة العبرانية صراحة.

- لو صح ما ادعوه لزم أن يكون المسيحيون أخبث من اليهود؛ لأن اليهود ما آلموه إلا مرة واحدة، فتركوه وما أكلوا لحمه، وهؤلاء يؤلمونه ويذبحونه كل

يوم في أمكنة غير محصورة، فإن كان القاتل مرة واحدة كافرًا وملعونـًا فما بال الذين يذبحونه مرات غير محصورة، ويأكلون لحمه ويشربون دمه؟.

- وقع في الباب الثاني والعشرين من لوقا قول المسيح في العشاء الرباني: «اصنعوا هذا لذكري»، فلو كان هذا العشاء هو نفس الذبيحة لما صح أن يكون تذكرة؛ لأن الشيء لا يكون تذكرة لنفسه.

كما اجتمع هؤلاء العقلاء عند البروتستانت على هذه العقيدة المخالفة للحس والعقل تقليداً للآباء أو لغرض آخر فكذلك اجتماعهم في عقيدة التثليث المخالفة للحس والبراهين، والأناس الكثيرون الذين يسمونهم ملاحدة تركوا هذا المذهب لاشتماله على أمثال هذه الأمور واستهزؤوا بها، وفرقة «يوني نيرين» من فرق المسيحيين ينكرونها، والمسلمون واليهود سلفًا وخلفـًا يفهمونها من جنس أضغاث الأحلام.

٦- الإجمال كثير في أقوال المسيح عليه السلام، بحيث لا يفهمها معاصروه وتلاميذه في كثير من الأحيان ما لم يفسرها بنفسه، فالأقوال التي فسرها من هذه الأقوال المجملة فهموها، وما لم يفسره منها فهموا بعضها بعد مدة مديدة، وبقي البعض عليهم مبهمـًا إلى آخر الحياة، ونظائره كثيرة مثل قول المسيح في مخاطبة اليهود: «أنا خبز الحياة إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي»، فخاصم اليهود بعضهم بعضـًا قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل، فقال لهم المسيح: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، ولم تشربوا دمه، فليس لكم حياة، فيكم من يأكل

جسدي، ويشرب دمي، فله حياة أبدية؛ لأن جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه، كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالأب، فمن يأكلني فهو يحيا بي»، فقال كثيرون من تلاميذه: إن هذا الكلام مَنْ يقدر أن يسمعه؟ فرجع كثير منهم عن صحبته، وهذه القصة مفصلة في الباب السادس من إنجيل يوحنا، فهنا لم يفهم اليهود كلام المسيح والتلاميذ استصعبوه، وارتد كثير منهم.

وألفاظ عيسى عليه السلام بعينها ليست محفوظة في أي إنجيل، بل توجد ترجمتها باليوناني على ما فهم الرواة، وإنجيل متى لم يبق بل الباقي ترجمته، ولم يعلم اسم مترجمه بالجزم إلى الآن، وقد ثبت أن التحريف وقع في هذه الكتب يقيناً وثبت أن أهل الدين والديانة كانوا يحرفون قصد التأييد لمسألة أو الاعتراض، فزادوا بعض الألفاظ في الباب الأول من إنجيل لوقا وأسقطوا بعض الألفاظ من الباب الأول من إنجيل متّى، وأسقطوا الآية الثامنة من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا، ففي هذه الصورة لو وجد بعض الأقوال المسيحية المتشابهة الدالة على التثليث لا اعتماد عليها مع أنها ليست صريحة.

٧- قد لا يدرك العقل ماهية بعض الأشياء وكنهها كما هي، لكن مع ذلك يحكم بإمكانها، ولا يلزم من وجودها عنده استحالة ما، ولذا تعد هذه الأشياء من الممكنات، وقد يحكم بداهة أو بدليل قطعي بامتناع بعض الأشياء، ويلزم من وجودها عنده محال ما، ولذا تعد هذه الأشياء من الممتنعات، وبين الصورتين فرق جليٌّ، ومن القسم الثاني اجتماع النقيضين الحقيقيين

وارتفاعهما، وكذا اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقيتين في زمان واحد من جهة واحدة، وكذا اجتماع الزوجية والفردية، وكذا اجتماع الأضداد مثل النور والظلمة والسواد والبياض والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والعمى والبصر، والسكون والحركة في المادة الشخصية مع اتحاد الزمان والجهة، واستحالةُ هذه الأشياء بديهية يحكم بها كل عاقل، وكذا من القسم الثاني لزوم الدور والتسلسل وأمثالهما يحكم العقل ببطلانها بأدلة قطعية.

٨- إذا تعارض القولان فلا بد من إسقاطهما إن لم يمكن التأويل، أو من تأويلهما إن أمكن، ولا بد أن يكون التأويل بحيث لا يستلزم المحال أو الكذب، مثلًا الآيات الدالة على الجسمية والشكل تعارضت مع بعض الآيات الدالة على التنزيه، فيجب تأويلها، لكن لا بد أن لا يكون التأويل بأن الله متصف بصفتين أي الجسمية والتنزيه، وإن لم تدرك عقولنا هذا الأمر فإن هذا التأويل باطل محض واجب الرد لا يرفع التناقض.

٩- العددُ لما كان قِسماً من الكَم لا يكون قائماً بنفسه بل بغيره، وكل موجود لا بد أن يكون معروضاً للوحدة أو الكثرة. والذوات الموجودة بالامتياز الحقيقي المتشخصة بالتشخص تكون معروضة للكثرة الحقيقية، فإذا صارت معروضة لها لا تكون معروضة للوحدة الحقيقية، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين، نعم يجوز أن تكون معروضة للوحدة الاعتبارية بأن يكون المجموع كثيراً حقيقياً وواحداً اعتباريًا.

١٠- المنازعة بيننا وبين أهل التثليث أن التثليث التوحيد كليهما حقيقيان، وإن

قالوا التثليث حقيقي والتوحيد اعتباري فلا نزاع بيننا وبينهم، لكنهم يقولون إنهما حقيقيان كما هو مصرح به في كتب علماء البروتستانت، قال فاندر في الباب الأول من كتابه «حل الإشكال»: «إن المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما على المعنى الحقيقي».

١١ - قال العلامة المقريزي في كتابه المسمى «الخطط» في بيان الفرق المسيحية التي كانت في عصره إنهم فرق كثيرة، وإن الملكانية واليعقوبية والنسطورية متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم الثلاثة هي واحد وهو جوهر قديم ومعناه أب وابن وروح القدس إله واحد، ثم اختلفوا في ناسوته ولاهوته، والمرقولية قالوا الله واحد علمه غيره قديم معه والمسيح ابنه على جهة الرحمة.

ما يشير إلى أن آراءهم في علاقة الاتحاد بين أقنوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة جدًّا، ولا نزاع لنا في هذه العقيدة مع المرقولية إلا باعتبار إطلاق اللفظ الموهم، وفرقة البروتستانت لما رأوا أن بيان علاقة الاتحاد لا يخلو من الفساد البين تركوا آراء الأسلاف، وعجزوا أنفسهم واختاروا السكوت عن بيانها وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة.

١٢ - عقيدة التثليث ما كانت في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم إلى عهد موسى عليه السلام، وهَوْسات أهل التثليث بتمسكهم ببعض آيات سفر التكوين لا تتم؛ لأنها في الحقيقة تحريف لمعانيها، فمن طالع هذه التوراة المستعملة لا يخفى عليه هذا الأمر، ويَحْيى عليه السلام كان إلى آخر عمره

شاكًّا في المسيح عليه السلام بأنه المسيح الموعود به أم لا، كما صرح به في الباب الحادي عشر من إنجيل متى أنه أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟، فلو كان عيسى عليه السلام إلهـًا يلزم كفره إذ الشك في الإله كفر، وكيف يتصوَّر أنه لا يعرف إلهه وهو نبيه؟ بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح كما هي مصرحة في هذا الباب، وإذا لم يعرف الأفضل مع كونه معاصرًا فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على عيسى أحق بالاعتبار، وعلماء اليهود من لدن موسى عليه السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بها، فالعجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسى عليه السلام خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها، ولا يبين موسى ولا نبي من الأنبياء الإسرائيلية هذه العقيدة ببيان واضح، وأعجبُ منه أن عيسى عليه السلام أيضـًا ما بين هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح، بأن يقول إن الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس، وأقنوم الابن تعلق بجسمي بعلاقة فلانية أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، فاعلموا أني أنا الله ليس غير، وليس في أيدي أهل التثليث من أقواله إلا بعض الأقوال المتشابهة، كإجابة فاندر في كتابه «مفتاح الأسرار»، وهذا القسيس يعترف في مواضع من تصانيفه بأن هذا الأمر من الأسرار خارج عن درك العقل.

وأعجب منه أن المسيح عليه السلام يخاف منهم في بيان هذه المسألة العظيمة، ويشدد عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية التشديد حتى تصل

النوبة إلى السب، ويخاطب الكتبة والفريسيين مشافهة بهذه الألفاظ: ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، وويل لكم أيها القادة العميان وأيها الجهال العميان، وأيها الفريسي الأعمى، وأيها الحيات والأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم، ويظهر قبائحهم على رؤوس الأشهاد؟ حتى شكا بعضهم بأنك تشتمنا كما هو مصرح به في الباب الثالث والعشرين من إنجيل متّى والحادي عشر من إنجيل لوقا.

* * *

---- البراهين العقلية على إبطال التثليث ----

البرهان الأول:

لما كان التثليث والتوحيد حقيقيين عند المسيحيين، وإذا وجد التثليث الحقيقي لا بد من أن توجد الكثرة الحقيقية، ولا يمكن بعد ثبوتها التوحيد الحقيقي، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين، وهو محال.

فقائل التثليث لا يمكن أن يكون موحدًا لله تعالى بالتوحيد الحقيقي، وإذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة، كيف وإن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو

واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأسًا، وإن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة فلو اجتمعا في محل واحد يلزم كون الجزء كلًّا، والكل جزءًا، وأن هذا الاجتماع يستلزم كونَ الله مركَّبًا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضًا مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرًّا، وكون الشيء مركَّبًا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعًا، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثُلث نفسه، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة.

...

البرهان الثاني:

لو وُجِد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا، يلزم ألا يكون الله حقيقة محصَّلة، بل مركبًا اعتباريًّا، فإن التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء، فإن الحجر الموضوع بجنب الإنسان لا يحصل منهما أحدية، ولا افتقار بين الواجبات؛ لأنه من خواص الممكنات، فالواجب لا يفتقر إلى غيره، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيرُه وإن كان داخلًا في المجموع، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية، على أنه يكون الله في الصورة المذكورة مركبًا، وكل مركب يفتقر في تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه، والجزء غير الكل بالبداهة، فكل مركب مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الله ممكنًا

لذاته وهذا باطل.

...

البرهان الثالث:

إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا، فعلى الشِّق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركًا فيه بينهم، وهو خلاف ما تقرر عندهم أن كل أقنوم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفًا بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه.

...

البرهان الرابع:

الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي لو كان حقيقيًّا لكان أقنوم الابن محدودًا متناهيًا، وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنًا، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدِّر، وكل ما كان كذلك فهو محدث، فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثًا ويستلزم حدوثه حدوث الله.

...

البرهان الخامس:

لو كانت الأقانيم الثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي وجب أن يكون المميِّز غير الوجوب الذاتي؛ لأنه مشترك بينهم، وما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فيكون

كل واحد منهم مركباً من جزأين، وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكناً لذاته.

...

البرهان السادس:

مذهب اليعقوبية باطل صريح لأنه يستلزم انقلاب القديم بالحادث والمجرد بالمادي، ومذهب غيرهم باطل؛ لأن هذا الاتحاد إما بالحلول أو بغيره فإن كان الأول فهو باطل من وجوه ثلاثة:

١ - أنَّ ذلك الحلول إما أن يكون كحلول ماء الورد في الورد، وهذا باطل؛ لأنه إنما يصح لو كان أقنوم الابن جسماً، وهم وافقوا على أنه ليس بجسم، وإما أن يكون كحصول اللون في الجسم وهذا أيضاً باطل؛ لأن المعقول من هذه التبعية حصول اللون في الحيِّز لحصول محله في هذا الحيز، وهذا أيضاً إنما يُتَصَّور في الأجسام، وإما أن يكون كحصول الصفات الإضافية للذوات، وهذا أيضاً باطل؛ لأن المعقول من هذه التبعية الاحتياج، فلو ثبت حلول أقنوم الابن بهذا المعنى في شيء كان محتاجاً فكان ممكناً مفتقرًا إلى المؤثر وذلك محال، وإذا ثبت بطلان جميع التقارير امتنع إثباته.

٢ - أن أقنوم الابن لو حلَّ في الجسم، فذلك الحلول إما أن يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل الجواز، ولا سبيل إلى الأول؛ لأن ذاته إما أن تكون كافية في اقتضاء هذا الحلول أو لا، فإن كان الأول استحال توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط، فيلزم إما حدوث الله أو قدم المحل، وكلاهما

باطلان، وإن كان الثاني كان كونه مقتضياً، لذلك الحلول أمرًا زائدًا على ذاته حادثـًا فيـه، فيلـزم مـن حـدوث الحلـول حـدوث شـيء فيـه، فيكـون قـابلًا للحوادث، وذلك محال؛ لأنـه لـو كـان كـذلك لكانـت تلـك القابليـة مـن لـوازم ذاته، وكانت حاصلة أزلًا، وذلك محال؛ لأن وجود الحوادث في الأزل محـال، ولا سـبيل إلـى الثـاني علـى هـذا التقـدير يكـون ذلـك الحلـول زائـدًا علـى ذات الأقنوم، فإذا حل في الجسم وجب أن يحل فيه صفة محدثـة، وحلولهـا يسـتلزم كونه قابلًا للحوادث، وهو باطل كما عرفت.

٣- أن أقنوم الابن إذا حل في جسم عيسى عليـه السـلام فإمـا أن يكـون باقيـًا في ذات الله أيضـًا أو لا، فإن كان الأول لزم أن يوجد الحال الشخصـي في محلـين، وإن كـان الثـاني لـزم أن يكـون ذات الله خاليـة عنـه، فينتفـي؛ لأن انتفـاء الجـزء يستلزم انتفاء الكل، وإن كان ذلـك الاتحـاد بـدون الحلـول. إنَّ أقنـوم الابـن إذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما في حال الاتحاد إن كانـا موجـودين فهمـا اثنـان لا واحد فلا اتحاد، وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضـًا لا يكون اتحادًا بل عـدم الشـيئين وحصـول شـيء ثالـث، وإن بقـي أحـدهما وعـدم الآخـر فالمعـدوم يستحيل أن يتحد بالموجود؛ لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود، فظهر أن الاتحاد محال، ومن قال إن الاتحاد على جهة الظهور كظهـور صـورة الإنسان في المرآة فقوله لا يثبت الاتحاد الحقيقي، بل يثبت التغاير؛ لأنه كما أن صورة الإنسان في المرآة غير الإنسان، فكذلك يكون أقنـوم الابـن غيـر المسـيح عليه السلام، بل غايـة مـا يلـزم أن يكـون ظهـور أثـر صـفة الأقنـوم فيـه أكثـر مـن

ظهوره في غيره، ولنعم ما قيل:

محال لا يساويه محال * وقول في الحقيقة لا يقال

وفكر كاذب وحديث زور * بدا منهم ومنشؤه الخيال

تعالى الله ما قالوه كفر * وذنب في العواقب لا يقال

...

البرهان السابع:

فرقة البروتستانت ترد على فرقة الكاثوليك في استحالة الخبز إلى المسيح في العشاء الرباني بشهادة الحس وتستهزئ بها، فهذا الرد والهزء يرجعان إليهما أيضًا؛ لأنَّ الذي رأى المسيح ما رأى منه إلا شخصًا واحداً إنسانًا، وتكذيب أصدق الحواس الذي هو البصر يفتح باب السفسطة في الضروريات، فيكون القول به باطلًا كالقول بالاستحالة، والجهلاء من المسيحيين من أية فرقة من فرق أهل التثليث كانوا قد ضلوا في هذه العقيدة، ولا يميزون بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي كما يميز بحسب الظاهر علماؤهم، بل يعتقدون ألوهية المسيح عليه السلام باعتبار الجوهر الناسوتي، ويخبطون خبطًا عظيمًا، نقل أنه تنصر ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية سيما عقيدة التثليث أيضًا، وكانوا في خدمته، فجاء محب من أحبَّاء هذا القسيس وسأله عمن تنصر؟ فقال: ثلاثة أشخاص تنصروا، فسأل هذا المحب: هل تعلموا شيئًا من العقائد الضرورية، فقال: نعم، وطلب واحدًا منهم ليرى محبه فسأله عن عقيدة التثليث، فقال: إنك علمتني أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذي هو

في السماء، والثاني تولد من بطن مريم العذراء، والثالث الذي نزل في صورة الحمام على الإله الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة، فغضب القسيس وطرده، وقال: هذا مجهول، ثم طلب الآخر منهم، وسأله فقال: إنك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي إلهان، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده، ثم طلب الثالث وكان ذكيًا بالنسبة إلى الأولين وحريصاً في حفظ العقائد، فسأله فقال: يا مولاي حفظت ما علمتني حفظاً جيدًا، وفهمت فهماً كاملًا بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد، ولا إله الآن وإلا يلزم نفي الاتحاد.

* * *

---- إبطال التثليث بأقوال المسيح عليه السلام ----

القول الأول: في الآية الثالثة من الباب (١٧) من إنجيل يوحنا قول عيسى عليه السلام في خطاب الله هكذا: «**وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ**»، فبين عيسى عليه السلام أن الحياة الأبدية، عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى عليه السلام رسوله.

...

القول الثاني: في الباب (١٢) من إنجيل مرقس، «فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» ٢٩ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. ٣٠ وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. ٣١ وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. ٣٢ فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ ٣٣. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ ٣٤ فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْل، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ».

وقد حرَّف صاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة (١٨١١م) قول المسيح عليه السلام بتبديل ضمير المتكلم بضمير الخطاب، وترجم هكذا: «الرب إلهك إله واحد»، وضيع بهذا التحريف المقصود الأعظم؛ لأن ضمير المتكلم ههنا دال على أن عيسى ليس برب، بل عبد مربوب بخلاف ضمير الخطاب والظاهر أن هذا التحريف قصدي.

...

القول الثالث: في الآية (٣٢) من الباب (١٣) من إنجيل مرقس قول المسيح عليه السلام «وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إِلاَّ الآبُ» وهذا القول ينادي على بطلان التثليث؛

لأن المسيح عليه السلام خصص علم القيامة بالله، ونفى عن نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين وسوى بينه وبينهم في هذا، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهـًا.

...

القول الرابع: في الباب (٢٠) من إنجيل متى «حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئًا ٢١ فقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». إلى آخر الآيات، فنفى عيسى عليه السلام ههنا عن نفسه القدرة وخصصها بالله كما نفى عن نفسه علم الساعة وخصصه بالله ولو كان إلهـًا لما صح هذا.

...

القول الخامس: في الباب (١٩) من إنجيل متى الآية (١٦ و١٧) «وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟»، فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ». فهذا القول يقلع أصل التثليث فإذا لم يرض بقوله الصالح فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث.

...

القول السادس: في الباب (٢٧) من إنجيل متى، الآية (٤٦) «وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» وهذا القول ينفي ألوهية المسيح. وكذلك الآية

(٢٨) من الباب الأربعين من كتاب أشعياء، والآية السادسة من الباب الرابع والأربعين، والآية العاشرة من الباب العاشر من كتاب أرسياء. وفي الآية الثانية عشرة من الباب الأول من كتاب حقوق، وفي الآية السابعة عشرة من الباب الأول من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس.

...

القول السابع: في الآية (١٧) من الباب العشرين من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام في خطاب مريم المجدلية هكذا: «**لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلهِي وَإِلهِكُمْ**»، فسوى بينه وبين الناس، لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا إنه إله أو ابن إله.

...

القول الثامن: في الآية (٢٨) من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام «**إن أبي أعظم مني**» ففيه أيضـًا نفي لألوهيته؛ لأن الله ليس كمثله شيء فضلًا عن أن يكون أعظم منه.

...

القول التاسع: في الآية (٢٤) من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام هكذا: «**الْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي**» ففيه أيضـًا تصريح بالرسالة، وبأن هذا الكلام وحي من الله.

...

القول العاشر: في الباب (٢٣) من إنجيل متى قول المسيح عليه السلام في خطاب تلاميذه في الآية (٩و١٠): «**وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ**».

فهنا أيضًا صرح بأن الله واحد، ومعلمهم المسيح.

...

القول الحادي عشر: في الباب (٢٦) من إنجيل متى «**حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَهَا جَثْسَيْمَانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ ٣٧ ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ. ٣٨ فَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. اُمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي» ٣٩ ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» ٤٠ ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: «أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ ٤١ اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ» ٤٢ فَمَضَى أَيْضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ**» فأقواله وأحواله في هذه العبارات تدل على عبوديته ونفي ألوهيته. أيحزن الإله، ويكتئب ويموت ويصلي لإله آخر ويدعو بغاية التضرع؟ لا والله.

...

القول الثاني عشر: كان من عادته أنه إذا عبر عن نفسه يعبر بابن الإنسان غالبًا

كما في الإنجيل المروج، مثلًا في الآية (٢٠) باب (٨) و(٦) باب (٩) و(١٣) و(٢٧) باب (١٦) و(٩) و(١٢) و(٢٢) باب (١٧) و(١١) باب (١٨) و(٢٨) باب (١٩) و(١٨) و(٢٨) باب (٢٠) و (٢٧) باب (٢٤) و(٢٤) و(٤٥) و(٦٤) باب (٢٦) من إنجيل متى وفي غيره، وابن الإنسان لا يكون إلا إنسانًا.

* * *

هل المسيح إله؟ 12

حين يكونُ السؤالُ جوابًا، يغرقُ العقلُ بالهدوء، ويحبسُ فكرتَه الحبلى باحتمالاتٍ مسبقةِ الصنعِ في زنزانةِ حزنِهِ على وقته المهدور.

إنَّ أقصرَ مسافةٍ بين (هل) و (لا) قراءةُ الكونِ الكامل بعينٍ ناقصةٍ.

أضاف الشيخ رحمت الله إلى ما سلف من إثباتات بطلان التثليث، أنَّ الأقوال التي يتمسك بها المسيحيون غالبًا منقولة من إنجيل يوحنا، وعلى ثلاثة أقسام:

-بعضها لا يدل بحسب معانيها الحقيقية على مقصودهم، فاستنباط الألوهية منها مجرد زعم، وهذا الاستنباط والزعم ليسا بمعتدَّين ولا جائزين في مقابلة البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية.

-وبعضها أقوال يفهم تفسيرها من الأقوال المسيحية الأخرى ومن بعض مواضع الإنجيل، ففيها أيضًا لا اعتبار لرأيهم.

-وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم أيضًا، فإذا وجب التأويل فلا بد أن

يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص، وأنى لهم ذلك؟! فلا حاجة إلى نقل الكل، بل الأكثر ليتضح للناظر حال استدلالهم، ويقيس الباقي عليه.

الأول: من إطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام، وهذا الدليل في غاية الضعف بوجهين:

١ - لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان، وبإطلاق ابن داود، فلا بد من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية، ولا يلزم منه محال.

٢ - لأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي؛ لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم مَن تولَّدَ مِن نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح، وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح. ففي إنجيل مرقس لفظ ابن الله، وفي إنجيل لوقا بدله لفظ البار، واستعمل مثل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح أيضًا، كما استعمل مثل ابن إبليس في حق الصالح في الباب الخامس من إنجيل متى، فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصلح على العاملين بالأعمال المذكورة لفظ أبناء الله، وعلى الله لفظ الأب بالنسبة إليهم. والآية الرابعة عشرة من الباب الثامن من الرسالة الرومية «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله»، وجاء إطلاق أبناء الله وأبناء القيامة على أهل الجنة، في قول المسيح عليه السلام في الباب العشرين من لوقا.

الثاني: في الآية الثالثة والعشرين من الباب الثامن من إنجيل يوحنا «فَقَالَ لَهُمْ:

أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هذَا الْعَالَمِ» يعني أني إله نزلت من السماء وتجسمت.

ولما كان هذا القول مخالفاً للظاهر؛ لأن عيسى عليه السلام كان من هذا العالم فأولوا بهذا التأويل، وهو غير صحيح بوجهين: (الأول): أنه مخالف للبراهين العقلية والنصوص. (والثاني): أن عيسى عليه السلام قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضاً في الآية التاسعة عشرة من الباب الخامس عشر من إنجيل يوحنا «**لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ**». فقال في حق تلاميذه: إنهم ليسوا من العالم، وسوَّى بينه وبينهم في عدم الكون من هذا العالم، فلو كان هذا مستلزماً للألوهية كما زعموا، لزم أن يكونوا كلهم آلهة، بل التأويل الصحيح: أنتم طالبو الدنيا الدنية، وأنا لست كذلك، بل طالب الآخرة ورضاء الله، وهذا المجاز شائع في الألسنة.

الثالث: في الآية الثلاثين من الباب العاشر من إنجيل يوحنا هكذا: «**أنا والأب واحد**» فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله.

هذا الاستدلال غير صحيح بوجهين: (الأول): أن المسيح عليه السلام عندهم أيضاً إنسان ذو نفس ناطقة، وليس بمتحد بهذا الاعتبار. فيحتاجون إلى التأويل فيقولون: كما أنه إنسان كامل فكذلك إله كامل، فبالاعتبار الأول مغاير، وبالاعتبار الثاني متحد. وهذا التأويل باطل. (والثاني): أن مثل هذا وقع في حق الحواريين في الباب السابع عشر من إنجيل يوحنا «**لِيَكُونَ الْجَمِيعُ**

وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي ٢٢. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ ٢٣. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ». فسوَّى بين اتحاده بالله وبين اتحاده فيما بينهم. وظاهر أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقيًّا، فكذا اتحاده بالله، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة، وفي نفس هذا الاتحاد المسيح والحواريون وجميع أهل الإيمان متساوية الأقدام، وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف، فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره. والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى قول يوحنا في الباب الأول من رسالته الأولى، إذ وقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتحاد.

الرابع: في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا «الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ ١٠ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ». هذا الاستدلال على اتحاد المسيح بالله ضعيف بوجهين: (الأول): لأن رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم فيؤولونها بالمعرفة، ومعرفة المسيح باعتبار الجسمية أيضًا لا تفيد الاتحاد، فيقولون إن المراد بالمعرفة باعتبار الألوهية، والحلول الذي وقع في القول الثاني والثالث واجب التأويل عند جمهور أهل التثليث، فيقولون إن المراد به الاتحاد الباطني. فبعد هذه التأويلات يقولون إنه لما كان إنسانًا كاملًا، وإلهًا عاملًا. صحت أقواله الثلاثة

بالاعتبار الثاني، وهذا باطل؛ لأن التأويل يجب ألا يخالف البراهين والنصوص. (والثاني): لأن الآية العشرين من الباب المذكور «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ»، والمسيح قال في حق الحواريين: «أنا فيهم وأنت فيَّ»، وبديهي أن حال الحال، حال في محل الحال. فلو كان الحلول مشعراً بالاتحاد ومثبتًا للألوهية لزم أن يكون الحواريون آلهة، وأما حلول الغير في الله أو حلول الله فيه، وكذا حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه، فعبارة عن إطاعة أمرهما.

وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جدًّا؛ لأن العالم حادث بأسره، وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم. وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم، خلق عندهم في أسبوع واحد فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم، فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقـًا بلا أب، ويفوق عليه في كونه بلا أم، وتتولد أصناف من الحشرات في كل سنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم، فكيف يكون هذا الأمر سببًا للألوهية.

ولو نظرنا إلى نوع الإنسان، فآدم عليه السلام يفوق عليه في كونه بلا أم وفي كونه لا بداية له.

ويستدلون تارة بمعجزاته، وهذا أيضًا ضعيف؛ لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى، لكن عيسى عليه السلام بحسب هذا الإنجيل ما أحيا إلى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص، وأحيا حزقيال عليه السلام ألوفًا كما هو مصرح في

الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون إلهـاً، وأحيا إيليا عليه السلام ميتاً كما هو مصرح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، وأحيا اليسع عليه السلام أيضاً ميتاً كما هو مصرح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته، وأبرأ الأبرص من برصه، كما هو مصرح في الباب الخامس من السفر المذكور.

وفي عقيدة الإسلام المسيح والحواريون كانوا برآء من هذه العقيدة الكفرية يقيناً.

ووقعت بين الإمام الفخر الرازي عليه الرحمة وبين بعض القسيسين مناظرة بخوارزم، قال في سورة آل عمران تحت تفسير قوله تعالى: ﴿فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءَكَ من العِلم﴾ [آل عمران: ٦١].

اتفق أني حين كنت بخوارزم أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم، فذهبت إليه، وشرعنا في الحديث، فقال لي: ما الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟

فقلت له: كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد صلى الله عليه وسلم فإن رددنا التواتر أو قبلناه، لكن قلنا إن المعجزة لا تدل على الصدق فحينئذ بطلت نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام، وإن اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق ثم إنهما حاصلان في حق محمد صلى الله عليه وسلم، وجب الاعتراف قطعاً بنبوة محمد عليه السلام ضرورة. إذ

عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول.

فقال النصراني: لا أقول في عيسى عليه السلام إنه كان نبيًا، بل أقول إنه كان إلهًا.

فقلت له الكلام في النبوة لا بد وأن يكون مسبوقًا بمعرفة الإله، وهذا الكلام الذي تقوله باطل، ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب ألا يكون جسمًا ولا متحيزًا ولا عرضًا، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدومًا، وقتل بعد أن كان حيًّا على قولكم، وكان طفلًا أولًا، ثم صار مترعرعًا، ثم صار شابًّا. وكان يأكل ويشرب وَيُحْدِث وينام ويستيقظ. وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديمًا، والمحتاج لا يكون غنيًّا، والممكن لا يكون واجبًا، والمتغير لا يكون دائمًا. والوجه الثاني في إبطال هذه المقالة أنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه وتركوه حيًّا على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملات أظهر الجزع الشديد. فإن كان إلهًا أو كان الإله حالًّا فيه أو كان جزءٌ من الإله حالًّا فيه فَلِمَ لَمْ يدفعهم عن نفسه؟ ولِمَ لَمْ يهلكهم بالكلية؟ وأية حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاحتيال في الفرار منهم؟. والوجه الثالث أنه إما أن يقال بأن الإله هو هذا الشخص الجسماني المشاهد، أو يقال حل الإله بكليته. أو حل بعض الإله، وجزأ منه فيه والأقسام الثلاثة باطلة: أما الأول، فلأن إله العالم لو كان هو ذلك الجسم فحين قتله اليهود كان ذلك قولًا بأن اليهود قتلوا إله العالم

فكيف بقي العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشد الناس ذلًّا ودناءة اليهود فالإله الذي تقتله اليهود إله في غاية العجز. وأما الثاني وهو أن الإله بكليته حل في هذا الجسم، فهو أيضاً فاسد؛ لأنَّ الإله إن لم يكن جسماً ولا عرضاً امتنع حلوله في الجسم، وإن كان جسماً فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الإله. وإن كان عرضاً كان محتاجاً إلى المحل، وكان الإله محتاجاً إلى غيره. وكل ذلك سخيف. وأما الثالث وهو أنه حل فيه بعض من أبعاض الإله وجزء من أجزائه فذلك أيضاً محال؛ لأنَّ ذلك الجزء إن كان معتبراً في الإلهية فعند انفصاله عن الإله وجب ألا يبقى الإله إلهاً، وإن لم يكن معتبراً في تحقيق الإلهية لم يكن جزءاً من الإله، فثبت فساد هذه الأقسام، فكان قول النصارى باطلاً. والوجه الرابع في بطلان قول النصارى ما ثبت بالتواتر من أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة، ولو كان إلهاً لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبد نفسه. فهذه وجوه في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم.

ثم قلت للنصراني: وما الذي دلك على كونه إلهاً؟ فقال: الذي دل عليه ظهور العجائب عليه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكن حصوله إلا بقدرة الإله تعالى. فقلت له هل تسلم أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإن لم تسلم لزمك من نفي العالم في الأزل نفي الصانع، وإن سلمت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فأقول لما جوزت حلول

الإله في بدن عيسى عليه السلام فكيف عرفت أن الإله ما حل بدني وبدنك ومن بدن كل حيوان ونبات وجماد؟ فقال: الفرق ظاهر وذلك لأني إنما حكمت بذلك الحلول؛ لأنه ظهرت تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعال العجيبة ما ظهرت على يدي، ولا على يدك، فعلمنا أن ذلك الحلول مفقود ههنا. فقلت له: تبين الآن أنك ما عرفت معنى قولي إنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول؛ لأنَّ ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الإله في بدن عيسى عليه السلام، فعدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك ليس فيه إلا أنه لم يوجد ذلك الدليل، فإذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق مني ومنك عدم الحلول في حقي وفي حقك، بل وفي حق الكلب والسنور والفأر، ثم قلت: إن مذهبًا يؤدي القول به إلى تجويز حلول ذات الله في بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسة والركاكة. ثم إنَّ قلب العصا حية أبعد في العقل من إعادة الميت حيًّا؛ لأن المشاكلة بين بدن الحي وبدن الميت أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان، فإذا لم يوجب قلب العصا حية كون موسى عليه السلام إلهًا وابنًا للإله فبألَّا يدل إحياء الموتى على الإلهية كان ذلك أولى.

وعند هذا انقطع النصراني ولم يبق له كلام.

***

هل القرآن الكريم كلام الله؟ 13

لا أضرَّ بـالحقِّ ممـنْ يـدافعُ عنـه، بحجـجٍ
مثقوبةٍ برصاصٍ مسمومٍ.
ولا أفيـدَ مـن كلمـةٍ وقفـت علـى مفـرقِ
قصَّتينِ، فاختارت مَن انتخبتْها بطلةً لها.

اكتفى الشيخ رحمت الله بسرد اثني عشر أمرًا على عدد حواري المسيح تثبت أن القرآن كلام الله.

الأول:

أن درجته عالية في البلاغة التي لم يعهد مثلها في تراكيبهم، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم، وهي عبارة عن التعبير باللفظ المعجب عن المعنى المناسب للمقام، بلا زيادة ولا نقصان، فكلما ازداد شرف الألفاظ ورونق المعاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ، ويدل على هذه الدرجة وجوه:

١ - أن فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات مثل وصف بعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب أو وصف غارة. وكذا

فصاحة العجم. ودائرة الفصاحة والبلاغة فيها متسعة جدًّا؛ لأن طبائع أكثر الناس تكون مائلة إليها. وظهر من الزمان القديم مضمون جديد ونكتة لطيفة في بيان لشيء من هذه الأشياء المذكورة من شاعر أو كاتب، يقف عليها المتأخر، ويحصلها بعد الممارسة والاشتغال، وليس القرآن في بيان خصوص هذه الأشياء فكان يجب ألا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفقت عليها العرب في كلامهم.

٢- أنه تعالى راعى فيه طريقة الصدق وتنزه عن الكذب، وكل شاعر ترك الكذب والتزم الصدق نزل شعره ولم يكن جيدًا، ولذلك قيل أحسن الشعر أكذبه. فلبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت رضي الله عنهما لما أسلما نزل شعرهما، ولم يكن شعرهما الإسلامي كشعرهما الجاهلي.

٣- أن الكلام الفصيح يتفق في القصيدة في البيت والبيتين، بخلاف القرآن فإنه مع طوله فصيح كله، بحيث يعجز الخلق عنه. ومن تأمل في قصة يوسف عليه السلام عرف أنها مع طولها وقعت على الدرجة العالية من البلاغة.

٤- أن الشاعر أو الكاتب إذا كرر مضمونًا أو قصة لا يكون كلامه الثاني مثل الأول، وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد والأحكام والصفات الإلهية، واختلفت العبارات إيجازًا وإطنابًا وتفننًا في بيانها غيبة وخطابًا، ومع ذلك كل واحد منها في نهاية الفصاحة، دون تفاوت.

٥- أنه اقتصر على إيجاب العبادات وتحريم القبائح والحث على مكارم الأخلاق وترك الدنيا واختيار الآخرة، وأمثال هذه الأمور توجب تقليل

الفصاحة. وإذا قيل لشاعر أن يكتب بعض الأبيات في مسائل الفقه أو العقائد مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة يعجز.

٦- أن كل شاعر يحسن كلامه في فن، ويضعف في غيره، كما قالوا في شعراء العرب: إن شعر امرئ القيس يحسن عند الطرب وذكر النساء وصفة الخيل، وشعر النابغة عند الخوف، وشعر الأعشى عند الطلب ووصف الخمر، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء. وقالوا في شعراء فارس إن النظامي والفردوسي وحيدان في بيان الحرب، والسعدي فريد في الغزل.

والقرآن جاء فصيحاً على غاية الفصاحة في كل فن ترغيباً كان أو ترهيباً، زجرًا كان أو وعظاً أو غيرهما. والأمثلة على ذلك كثيرة.

٧- الأغلب أنه إذا انتقل الكلام من مضمون إلى مضمون آخر، واشتمل على بيان أشياء مختلفة لا يبقى حسن ربط الكلام، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة. والقرآن يوجد فيه الانتقال من قصة إلى قصة إلى قصة أخرى، والخروج من باب إلى باب، والاشتمال على أمر ونهي، وخبر واستخبار، ووعد وعيد، وإثبات النبوة، وتوحيد الذات، وتفريد الصفات، وترغيب وترهيب، وضرب مثال، وبيان حال. ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط والدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن العادة، فتحير فيها عقول بلغاء العرب.

٨- أن القرآن في أغلب المواضع يأتي بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير، ويكون اللفظ أعذب، ومن تأمل في سورة (ص) علم كيف صدرها، وجمع فيها من أخبار الكفار وخلافهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم، ومن تكذيبهم

لمحمد صلى الله عليه وسلم، وتعجبهم مما أتى به، والخبر عن إجماع ملئهم على الكفر، وظهور الحسد في كلامهم، وتعجيزهم وتحقيرهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة، وتكذيب الأمم قبلهم، وإهلاك الله لهم، ووعيد قريش وأمثالهم مثل مصابهم. وحمل النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر على أذاهم، وتسليته في قصص الأنبياء، مثل داود وسليمان وأيوب وإبراهيم ويعقوب وغيرهم عليهم السلام. وكل هذا الذي ذكر من أولها إلى آخرها في ألفاظ يسيرة متضمنة لمعان كثيرة.

وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]. فإن هذا القول لفظه يسير ومعناه كثير. ومع كونه بليغاً مشتملًا على المطابقة بين المعنيين المتقابلين، وهما: القصاص والحياة. وعلى الغرابة، بجعل القتل الذي هو مفوت للحياة ظرفاً لها، وأولى من جميع الأقوال المشهورة عند العرب في هذا الباب؛ لأنَّهم عبروا عن هذا المعنى بقولهم: (القتل أنفى للقتل). ولفظ القرآن أفصح، وللرافعي رحمه الله مقال بعنوان «كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة» يفصل فيه وجوه الفرق والتميز.

وحُكي أنَّ طبيباً نصرانيًّا حاذقاً سأل الحسين بن علي الواقدي: لماذا لم ينقل شيء في كتابكم عن علم الطب؟ والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان. فقال الحسين: إن الله بين علم الطب كله في نصف آية، فسأل الطبيب النصراني عن هذه الآية. فقال: هي قوله: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا﴾ ما أحل الله لكم من المطعومات والمشروبات، ﴿ولا تُسْرِفُوا﴾ أي لا تتعدوا إلى الحرام، ولا

تكثروا الإنفاق المستقبح، ولا تناولوا مقدارًا كثيرًا يضركم، ولا تحتاجون إليه.
ثم سأل الطبيب: أقال نبيكم أيضـًا شيئـًا في هذا الأمر؟ فقال الحسين: إن نبينا أيضـًا جمع الطب في ألفاظ يسيرة، فسأل الطبيب عنها، فقال الحسين: هي هذه: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، وأعط كل بدن ما عودته».
فقال الطبيب: الإنصاف أن كتابكم ونبيكم ما تركا حاجة إلى جالينوس، يعني بينا الأمر الذي هو رأس حفظ الصحة، وإزالة المرض وأصلهما ومضارهما.

٩- أنَّ الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادتين، واجتماعهما على ما هو ينبغي في كل جزء من الكلام الطويل، خلاف العادة المعتادة للبلغاء، فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن كله دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتين عن العادة.

١٠- أنه مشتمل على جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد، وأنواع التشبيه والتمثيل، وأصناف الاستعارة، وحسن المطالع والمقاطع، وحسن الفواصل، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل اللائق بالمقام، وخلوه عن اللفظ الركيك والشاذ الخارج عن القياس النافر عن الاستعمال، وغير ذلك من أنواع البلاغات. ولا يقدر أحد من البلغاء من العرب إلا على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة، ولو رام غيره في كلامه لم يتأت له، وكان مقصرًا. والقرآن محتوٍ عليها كلها.

هذه الوجوه العشرة تدل على أن القرآن في الدرجة العالية من البلاغة الخارجة عن العادة، يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم، وعلماء الفرق بمهارتهم في فن

البيان وإحاطتهم بأساليب الكلام، ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف بإعجاز القرآن.

...

الثاني:

تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل، مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان، وحسن العبارة، ولطف الإشارة، وسلامة التركيب، وسلامة الترتيب، فتحيرت فيه عقول العرب، وفهوم الفصحاء.

والحكمة في هذه المخالفة ألا يبقى لمتعسف عنيد مظنة السرقة، ويمتاز هذا الكلام من كلامهم ويظهر تفوقه؛ لأنَّ البليغ ناظمًا كان أو ناثرًا يجتهد في هذه المواضع اجتهادًا كاملًا، ويمدح، ويعاب عليه غالبًا في هذه المواضع كما عيب على مطلع امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللِّوى بين الدَّخول فحومَلِ

بأنَّ صدْرَ البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني، فوقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل، ولكن الشطر الثاني لا يوجد فيه شيء من ذلك.

وعيب على غيره كذلك أشياء أخرى في فن القول والخطاب، وخطِّئ أكثر الشعراء المشهورين في مواضع كثيرة، وأشراف العرب، مع كمال حذاقتهم في أسرار الكلام، وشدة عداوتهم للإسلام، لم يجدوا في بلاغة القرآن وحسن نظمه وأسلوبه مجالًا لم يوردوا في القدح مقالًا، بل اعترفوا أنه ليس من جنس

خطب الخطباء وشعر الشعراء، ونسبوه تارةً إلى السحر تعجباً من فصاحته وحسن نظمه، وقالوا تارةً إنه إفك افتراه وأساطير الأولين، وقالوا تارةً لأصحابهم وأحبابهم لا تسمعوا لهذا القرآن، والغوا فيه لعلكم تغلبون. وهذه كلها دأب المحجوج المبهوت. فثبت أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه. وكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب كثيرين كثرة رمال الصحراء، ومشهورين بغاية العصبية والحمية الجاهلية، وتهالكهم على المباراة والمباهاة، والدفاع عن الأحساب. فيتركون الأمر الأسهل الذي هو الإتيان بمقدار أقصر سورة، ويختارون الأشد الأصعب مثل الجلاء وبذل المهج والأرواح، ويبتلون بسبي الذراري ونهب الأموال، ومخالفهم المتحدي يقرعهم على رؤوس الملأ بأمثال هذه الأقوال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]. ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولو كانوا يظنون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم استعان بغيره، لأمكنهم أيضاً أن يستعينوا بغيرهم؛ لأنه كأولئك المنكرين في معرفة اللغة؛ وفي المكنة من الاستعانة، فلما لم يفعلوا ذلك؛ وآثروا المقارعة على المعارضة؛ والمقاتلة على المقاولة، ثبت أن بلاغة القرآن كانت مسلمة عندهم؛ وكانوا عاجزين عن المعارضة، غاية الأمر أنهم صاروا مفترقين بين مصدق به وبمن أنزل عليه،

ومتحير في بديع بلاغته.

والروايات الدالة على غلبة القرآن على فصاحة البلغاء كثيرة، منها ما روي عن الوليد بن المغيرة أنه قال حين سمع القرآن: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر.

وذكر أبو عبيدة أنَّ أعرابيًّا سمع من يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]. فسجد، وقال سجدت لفصاحته.

وقد حكي أن ابن المقفع طلب معارضة القرآن وشرع فيه فمر بصبي يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: ٤٤]. فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر.

...

الثالث:

كون القرآن منطويـًا على الإخبار عن الحوادث الآتية، فوجدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر. ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧].

- وقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

- وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

- وقوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)﴾ [الروم: ٢-٧].

ادعى صاحب «ميزان الحق» كارل فاندر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلوب أصحابه، وقد سمع مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأي في كل زمان، . يدعي هذا على الرغم من تحقق مضمون الآية مع ما فيها من تأكيدات وتحديدات للزمن والأمم، فكيف لمدعٍ للنبوة أن يدعي ادعاء قطعيًّا أن الأمر الفلاني يكون في المدة القليلة، ويأمر معتقديه بالرهان على هذا، ولا سيما في مقابلة المنكرين الطالبين لمذلته، المتفحصين لمزلة أقدامه في أمر لا يكون وقوعه مفيدًا فائدة يعتد بها، ويكون عدم وقوعه سببًا لمذلته وكذبه عندهم، ويحصل لهم سند عظيم لتكذيبه؟!

- وقوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. وكان في بدر.

- وقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقد وقع يوم أحد.

- وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد وقع كما أخبر بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما.

- وقوله كذلك عن القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

...

الرابع:

ما أخبر من أخبار القرون السالفة والأمم الهالكة، وقد علم أنه كان أميًّا ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدارسة مع العلماء ولا مجالسة مع الفضلاء، بل تربى بين قوم كانوا يعبدون الأصنام، ولا يعرفون الكتاب، وكانوا عارين عن العلوم العقلية أيضًا، ولم يغب عن قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم، والمواضع التي خالف القرآن فيها في بيان القصص المذكورة في كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسيح عليه السلام وغيرها فهذه لمخالفة قصدية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

...

الخامس:

ما فيه من كشف أسرار المنافقين حيث كانوا يتواطئون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد، وكان الله يطلع رسوله على تلك الأحوال حالًا فحالًا، ويخبره عنها على سبيل التفصيل، فما كانوا يجدون في كل ذلك إلا الصدق، وكذا ما فيه من كشف حال اليهود وضمائرهم.

...

السادس:

جمعه لمعارف جزئية وعلوم كلية لم تعهد العرب عامة، ولا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة من علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والسير والمواعظ والحكم، وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم. وتحقيق الكلام في هذا الباب أن العلوم إما دينية أو غيرها، ولا شك أن الأولى أعظمها شأنًا وأرفعها مكانًا، فهي إما علم العقائد والأديان، وإما علم الأعمال. أما علم العقائد والأديان فهو عبارة عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأما معرفة الله تعالى فهي عبارة عن معرفة ذاته ومعرفة صفات جلاله ومعرفة صفات إكرامه وأفعاله ومعرفة أحكامه ومعرفة أسمائه، والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يساويه شيء من الكتب، بل لا يقرب منه، وأما علم الأعمال فهو إما أن يكون عبارة عن علم التكاليف المتعلقة بالظواهر، وهو علم الفقه. ومعلوم أن جميع الفقهاء إنما استنبطوا مباحثهم من القرآن، وإما أن يكون علم التصوف المتعلق بتصفية الباطن ورياضة القلوب، وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لا يوجد في غيره، كقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

فثبت أنه جامع لجميع العلوم النقلية أصولها وفروعها، ويوجد فيه التنبيه على أنواع الدلالات العقلية والرد على أرباب الضلال ببراهين قاهرة وأدلة باهرة سهلة المباني مختصرة المعاني، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١]. وكقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

...

السابع:

كونه بريئًا عن الاختلاف والتفاوت مع أنه كتاب كبير مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم، فلو كان ذلك من عند غير الله لوقعت فيه أنواع من الكلمات المتناقضة؛ لأنَّ الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك. ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وإلى هذه الأمور السبعة المذكورة في البيان أشار الله تعالى بقوله: ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]. لأنَّ مثل هذه البلاغة والأسلوب العجيب والإخبار عن الغيوب والاشتمال على أنواع العلوم والبراءة من الاختلاف والتفاوت، مع كون الكتاب كبيرًا مشتملًا على أنواع العلوم لا يأتي إلا من العالم الذي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة ممَّا في السماوات والأرض.

...

الثامن:

كونه معجزة باقية متلوَّة في كل مكـان مـع تكفـل الله بحفظـه، بخـلاف معجـزات الأنبياء، فإنها انقضت بانقضاء أوقاتها، وهذه المعجزة باقية على ما كانـت عليـه من وقت النزول إلى زماننا هذا.

وقد مضـت مـدة ألـف وأربعمئـة وأزيـد إلـى الآن، وحجتهـا قـاهرة، ومعارضـته ممتنعة، وفي الأزمان كلها القرى والأمصار مملوءة بأهل اللسان وأئمة البلاغة، والملحد فيهم كثير والمخالف العنيد حاضر ومهيَّأ، وتبقـى إن شـاء الله هكـذا، ما بقيت الدنيا وأهلها. ولما كان المعجز منه بمقدار أقصر سورة، فكل جزء منه بهـذا المقـدار معجـزة، فعلـى هـذا يكـون القـرآن مشـتملًا علـى أكثـر مـن ألفـي معجزة.

...

التاسع:

أنَّ قارئه لا يسأمُهُ، وسامعه لا يمجُّه، بل تكراره يوجب زيادة محبته، وغيره مـن الكلام، ولو كان بليغـًا في الغايـة يمَلُّ مع الترديـد في السـمع، ويكـره في الطبـع، ولكن هذا الأمر بالنسبة إلى من له قلب سليم لا إلى من له طبع سقيم.

...

العاشر:

كونه جامعـًا بينَ الدَّليل ومدلولـه، فالتـالي لـه إذا كـان ممَّـن يـدرك معانيه يفهـم مواضع الحجة والتكليف معـًا في كـلام واحـد باعتبـار منطوقـه ومفهومـه؛ لأنَّـه

ببلاغة الكلام يستدل على الإعجاز، وبالمعاني يقف على أمر الله ونهيه ووعده ووعيده.

...

الحادي عشر:

حفظه لمتعلميه ولو كانوا صغارًا بالسهولة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧].

ويوجد في هذه الأمة في هذا الزمان أيضـًا مع ضعف الإسلام في أكثر الأقطار مئات الآلاف من حفاظ القرآن، بحيث يمكن أن يكتب القرآن من حفظ كل منهم من الأول إلى الآخر، بحيث لا يقع الغلط في الإعراب فضلًا عن الألفاظ، ولا يخرج في جميع ديار أوروبا عدد حفاظ الإنجيل بحيث يساوي الحفاظ في قرية من قرى مصر مع فراغ بال المسيحيين وتوجههم إلى العلوم والصنائع منذ ثلاثمئة سنة، وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولكتابهم.

...

الثاني عشر:

الخشية التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماع القرآن، والهيبة التي تعتري تاليه، وهذه الخشية قد تعتري من لا يفهم معانيه، ولا يعلم تفسيره، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة، ومنهم من استمر على كفره، ومنهم من كفر حينئذ، ثم رجع بعده إلى ربه.

روي أن نصرانيًّا مرَّ بقارئ، فوقف يبكي، فسُئل عن سبب البكاء، فقال: الخشية التي حصلت له من أثر كلام الرب، وأن جعفر الطيار رضي الله عنه لما قرأ القرآن على النجاشي وأصحابه ما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر رضي الله عنه من القراءة، وأن النجاشي أرسل سبعين عالمـًا من العلماء المسيحية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليهم سورة (يس) فبكوا، وآمنوا، فنزل في حق الفريقين أو أحدهما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

فثبت من الأمور المذكورة أن القرآن معجز وكلام الله، كيف لا وحسن الكلام يكون لأجل ثلاثة أشياء: أن تكون ألفاظه فصيحة، وأن يكون نظمه مرغوبـًا، وأن يكون مضمونه حسنـًا. وهذه الأمور الثلاثة متحققة في القرآن بلا ريب.

...

ثمَّ ختم الشيخ رحمت الله حديثه عن إعجاز القرآن بثلاث فوائد:

(الفائدة الأولى): سبب كون معجزة نبينا من جنس البلاغة أيضـًا أن بعض المعجزات تظهر في كل زمان من جنس ما يغلب على أهله أيضـًا؛ لأنَّهم يبلغون فيه الدرجة العليا، فيقفون فيه على الحد الذي يمكن للبشر الوصول إليه، فإذا شاهدوا ما هو خارج عن الحد المذكور علموا أنه من عند الله، وذلك كالسحر في زمن موسى عليه السلام، فإنه كان غالبـًا على أهله وكاملين فيه، ولما علم السحرة أن حد السحر تخييل لما لا ثبوتَ له حقيقة، ثم رأوا عصاه

انقلبت ثعباناً يتلقف سحرهم الذي كانوا يقلبونه من الحق الثابت إلى المتخيل الباطل من غير أن يزداد حجمها، علموا أنه خارج عن السحر ومعجزة من عند الله فآمنوا به. وأما فرعون فلما كان قاصرًا في هذه الصناعة ظن أنه سحر أيضاً، وإن كان أعظم من سحر سحرته. وكذا الطب لما كان غالباً على أهل زمن عيسى عليه السلام، وكانوا كاملين فيه، فلما رأوا إحياء الميت وإبراء الأكمه علموا بعلمهم الكامل أنهما ليسا من حد الصناعة الطبية، بل هو من عند الله. والبلاغة قد بلغت في عهد الرسول عليه السلام إلى الدرجة العليا، وكان بها فخارهم حتى علقوا القصائد السبع على جدار الكعبة تحدياً لمعارضتها كما تشهد به كتب السير، فلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بما عجز عن مثله جميع البلغاء عُلم أن ذلك من عند الله قطعاً.

...

(الفائدة الثانية): نزول القرآن منجَّماً ومفرقاً، ولم ينزل دفعة واحدة بوجوه:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من أهل القراءة، فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه، ولجاز عليه السهو.
- أنه لو أنزل عليه الكتاب دفعة فربما اعتمد على الكتاب، وتساهل في الحفظ، فلما أنزل الله منجماً حفظه وبقي سنة الحفظ في أمته.
- لو كان نزول جميع الأحكام دفعة واحدة على الخلق لكان يثقل عليهم ذلك، ولمَّا نزل مفرقاً لا جرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً، فكان تحملها أسهل.

- أنه إذا شاهد جبريل حالًا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته، فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة، وعلى احتمال أذية القوم.

- أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجمًا ثبت كونه معجزًا، فإنهم لو قدروا لوجب أن يأتوا بمثله منجمًا مفرقًا.

- كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم، فكانوا يزدادون بصيرة؛ لأنَّ الإخبار عن العيوب كان ينضم بسبب ذلك إلى الفصاحة.

- أن القرآن لما نزل منجمًا مفرقًا وتحداهم النبي صلى الله عليه وسلم من أول الأمر، فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن، فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى فثبت بهذا الطريق أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة.

- أن السفارة بين الله وأنبيائه وتبليغ كلامه إليهم منصب عظيم، فلو نزل القرآن دفعة واحدة كان زوال هذا المنصب عن جبريل عليه السلام محتملًا. فلما نزل مفرقًا منجمًا بقي ذلك المنصب العظيم عليه.

...

(الفائدة الثالثة): سبب تكرار بيان التوحيد وحال القيامة وقصص الأنبياء في مواضع أنَّ العرب كانوا مشركين وثنيين ينكرون هذه الأشياء، وغير العرب بعضهم مثل أهل الهند والصين والمجوس كانوا مثل العرب في الإنكار، وبعضهم كأهل التثليث كانوا في الإفراط والتفريط في اعتقاد هذه الأشياء، فلأجل التقرير والتأكيد كرَّر بيان هذه الأشياء.

ولتكرار القصص أسباب أُخر أيضـاً، منهـا: أنَّ إعجاز القرآن لما كـان باعتبار البلاغة أيضـاً، وكان التحدي بهذا الاعتبار فكـررت القصـص بعبـارات مختلفـة إيجازاً وإطناباً مع حفـظ الدرجة العليـا للبلاغـة في كـل مرتبـة ليعلم أنَّ القـرآن ليس كلام البشر، لأنَّ هذا الأمر عند البلغاء خارج عن القدرة البشرية.

ومنهـا أنـه كـان لهـم أن يقولـوا إن الألفـاظ الفصـيحة التـي كانـت مناسبة لهـذه القصـص استعملتها، ومـا بقيـت الألفـاظ الأخـرى مناسبة لهـا، وأن يقولـوا إن طريق كـل بليـغ يخـالف طريـق الآخـر، فبعضـهم يقـدر على الطريـق المطنـب، وبعضهم يقدر على الموجز، فلا يلـزم مـن عـدم القـدرة على نـوع عـدم القـدرة مطلقـاً. أو أن يقولوا إن دائرة البلاغة ضيقة في بيـان القصـص، ومـا صـدر عنك بيانها مرة محمول على البخت والاتفاق، فلما كررت القصص إيجـازًا وإطنابـاً لم يبق عذر من هذه الأعذار الثلاثة.

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يضيق صدره بإيذاء القوم وشرهم كما أخبر الله تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ نَعْلَـمُ أَنَّـكَ يَضِيـقُ صَـدْرُكَ بِمَـا يَقُولُـونَ﴾ [الحجـر: ٩٧]. فيقص الله قصة من قصص الأنبياء مناسـبة لحالـه في ذلـك الوقـت لتثبيـت قلبـه، كما أخبر الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُـصُّ عَلَيْـكَ مِـنْ أَنْبَـاءِ الرُّسُـلِ مَـا نُثَبِّـتُ بِـهِ فُـؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَـقُّ وَمَوْعِظَـةٌ وَذِكْـرَى لِلْمُـؤْمِنِينَ﴾ [هـود: ١٢٠]. ومنهـا أن المسلمين كان يحصل لهم الإيذاء من أيدي الكفار، أو أن قومـاً كانوا يسلمون، أو أن الكفـار كـان المقصـود تنبيههم، فكـان الله ينـزل في كـل موضـع مـن هـذه القصـص مـا يناسـبه؛ لأنَّ حـال السـلف تكـون عـبرة للخلـف. ومنهـا أن القصـة

الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة، فتذكر تارةً، وتقصد بها بعض الأمور قصداً، وبعضها تبعًا، وتعكس مرة أخرى.

***

---- شبهات القسيسين على القرآن الكريم ----

الشبهة الأولى:

قالوا: لا نسلم بأن عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة، ولو سلمنا بذلك فهو يكون دليلًا ناقصًا على الإعجاز، لأنَّه لا يظهر إلا لمن كانت له معرفة تامة بلسان العرب، ويلزم أن تكون جميع الكتب التي توجد في الألسن الأخرى مثل اليوناني واللاتيني وغيرهما في الدرجة العالية من بلاغة كلام الله، على أنه يمكن أن تؤدي المطالب الباطلة والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى.

والجواب: عدم تسليم كون عبارة القرآن في الدرجة العليا مكابرة محضة، لما عرف سابقًا، وقولهم لأنَّه لا يظهر إلا لمن كانت له معرفة تامة حقة بلسان العرب، لكن التقريب غير تام، لأنَّ هذه المعجزة لما كانت لتعجيز البلغاء والفصحاء، وقد ثبت عجزهم، ولم يعارضوا، واعترفوا بها، وعرفها أهل اللسان بسليقتهم، وغيرهم من العلماء بمهارتهم في فن البيان وإحاطتهم

بأساليب الكلام وعرفها العوام من الفرق بشهادة ألوف ألوف من أهل اللسان والعلماء، فظهر أنها معجزة يقينًا، ودليل كامل لا ناقص كما زعموا، وصارت سببًا من الأسباب الكثيرة التي يعلم بها أن القرآن كلام الله، ولا يدعي أهل الإسلام أن سبب كون القرآن كلام الله منحصر في كونه بليغًا فقط، وكذا لا يدعون أن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم منحصرة في بلاغة القرآن فقط، بل يدعون أن هذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة لكون القرآن كلام الله، وأن القرآن بهذا الاعتبار أيضًا معجزة من المعجزات الكثيرة. وهذه المعجزة ظاهرة في هذا الزمان أيضًا لألوف ألوف من أهل اللسان وماهري علم البيان، وعجز المخالفين ثابتٌ من ظهورها إلى هذا الحين، وقد مضت ألف وأربعمئة وأزيد، ولم يتحقق التحدي، لو ضربنا صفحًا عن المحاولات اليائسة الفاشلة التي تثبت إعجاز القرآن أكثر.

ولا يوجد في القرآن المنكرات التي تم ذكرها في الأناجيل، وهي مخجلة بحق العقل والمنطق السليم قبل أن تكون مخجلة بحق نبي أو إله.

...

الشبهة الثانية:

أنَّ القرآن مخالفٌ لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع، فلا يكون كلام الله.

والجواب:

- أن هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدها المتصلة إلى مصنفيها، وكذا لم يثبت أن كل كتاب منها إلهامي قد ثبت أنها مختلفة اختلافًا معنويًا في مواضع كثيرة

ومملوءة بالأغلاط الكثيرة يقينًا، وقد ثبت التحريف فيها أيضـًا فلا تضر مخالفتها القرآن في المواضع المذكورة، بل تكون دليلًا على كون المواضع المذكورة غلطًا أو محرفة في الكتب المذكورة كسائر الأغلاط والتحريفات، وقد عُرف أن هذه المخالفة قصدية، لأجل التنبيه على أن ما خالف القرآن غلط أو محرف لا أنها سهوية.

- أنَّ المخالفة التي بينَ القرآن وكتب العهدين في ذم القسيسين على ثلاثة أنواع:

الأول: باعتبار الأحكام المنسوخة. وقد عُرف أنَّ النسخ لا يختص بالقرآن، بل وجد في الشرائع السابقة بالكثرة، وأنه لا استحالة فيه، وأن الشريعة العيسوية نسخت جميع أحكام التوراة إلا تسعة أحكام من الأحكام العشرة المشهورة، وقد وقع فيها التكميل أيضًا على زعمهم، والتكميل أيضًا نوع من أنواع النسخ، فصارت هذه الأحكام أيضًا منسوخة بهذا الوجه فبعد ذلك ليس من شأن المسيحي العاقل أن يطعن على القرآن باعتبار هذا النوع.

والثاني: باعتبار بعض الحالات التي جاء ذكرها في القرآن لا يوجد ذكرها في العهدين. وشواهده كثيرة منها:

- الآية التاسعة من رسالة يهودا «وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجًا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء، بل قال لينتهرك الرب» فمخاصمة ميخائيل إبليس عن جسد موسى لم تذكر في كتاب من كتب العهد العتيق.

- الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني عشر من الرسالة العبرانية «وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد»، وهذا الحال مذكور في الباب التاسع عشر من سفر الخروج، لكن لا توجد فيه ولا في كتاب من كتب العهد العتيق هذه الفقرة: «حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد».

- الآية السادسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى أهل قورنيثوس «وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا» ولا يوجد لهذا أثر في إنجيل من الأناجيل الأربعة، ولا في كتاب أعمال الحواريين مع أن لوقا أحرص الناس على تحرير أمثال هذه الأحوال.

- في الآية الخامسة والثلاثين من الباب العشرين من كتاب الأعمال «متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ»، وهذا القول لا يوجد له أثر في إنجيل من الأناجيل الأربعة.

- في الآية الرابعة من الباب الثاني من الرسالة الثانية لبطرس: «الله لم يشفق على ملائكة قد أخطئوا، بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء» وهذا الحال الذي نقله بطرس ويهودا الحواريان لا يوجد في كتاب من كتب العهد العتيق، بل الظاهر أنه كاذب لأن المراد بهؤلاء الملائكة المحبوسين الشياطين، والشياطين ليسوا بمحبوسين بقيود أبدية كما يشهد عليه الباب الأول من كتاب أيوب والآية الثانية عشرة من الباب الأول من إنجيل مرقس، والآية الثامنة من الباب الخامس من الرسالة الأولى لبطرس

وغيرها من الآيات.

وهكذا توجد مواضع كثيرة. فظهر أنه إذا ذكر بعض الأحوال في كتاب ولا يوجد ذكره في الكتاب المتقدم لا يلزم منه تكذيب الكتاب المتأخر، وإلا يلزم أن يكون الإنجيل كاذباً لاشتماله على الحالات التي لم تذكر في التوراة ولا في كتاب آخر من كتب العهد العتيق. فالحق أن الكتاب المتقدم لا يلزم أن يكون مشتملًا على الحالات كلها. فالطاعن باعتبار النوع الثاني على القرآن حاله كحال الطاعن باعتبار النوع الأول بلا تفاوت.

والثالث باعتبار أن بيان بعض الحالات في القرآن يخالف بيان هذه الكتب، ولا مجال لهم أن يطعنوا على القرآن به؛ لأن مثل هذه الاختلافات توجد بين كتب العهد العتيق بعضها مع بعض وبين الأناجيل بعضها مع بعض وبين الإنجيل والعهد العتيق. وتوجد في النسخ الثلاث للتوراة: العبرانية واليونانية والسامرية، لكن القسيسين من عادتهم أنهم يغلطون عوام المسلمين في كثير من الأوقات بهذه الشبهة، ومن هذه الاختلافات:

- أن الزمان من خلق آدم إلى زمن الطوفان باعتبار العبرانية [١٦٥٦] سنة، وباعتبار اليونانية [٢٢٦٢] سنة، وعلى وفق السامرية [١٣٠٧] سنة.

- أن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام باعتبار العبرانية [٢٩٢] سنة، وباعتبار اليونانية [١٠٧٢] سنة، وباعتبار السامرية [٩٤٢] سنة.

- أن موضع بناء الهيكل باعتبار العبرانية جبل عيبال، وباعتبار السامرية جبل جرزيم.

- أن الزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح باعتبار العبرانية [٤٠٠٤] سنة، وباعتبار اليونانية [٥٨٧٢] سنة، وباعتبار السامرية [٤٧٠٠] سنة.

والأعجب أن «جارلس روجر» في كتابه الذي قابل فيه التراجم الإنجليزية نقل خمسة وعشرين قولًا من أقوال المؤرخين في بيان المدة التي من خلق العالم إلى ميلاد المسيح وإلى سنة ألف وثمانمئة وسبع وأربعين، ثم اعترف أنه لا يتطابق قولان منها أو أن تمييز الصحيح عن الغلط محال.

- الآية الأربعون من الباب الثاني عشر من سفر الخروج في العبرانية «فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل في أرض مصر أربعمئة وثلاثين سنة»، وفي السامرية واليونانية «فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر أربعمئة وثلاثين سنة» والصحيح ما فيهما وما في العبرانية غلط يقينًا.

- في الآية السابعة عشرة من الباب السابع من سفر التكوين في العبرانية «وصار الطوفان أربعين يومًا على الأرض»، وفي اليونانية «وصار الطوفان أربعين يومًا وليلة على الأرض»، والصحيح ما في اليونانية.

- في الآية العشرين من الباب السادس من سفر الخروج في العبرانية «فولدت له هارون وموسى»، وفي السامرية واليونانية «فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما»، والصحيح ما فيهما. وقد بلغت الاختلافات اثنين وثمانين شاهدًا بين النسخ الثلاث للتوراة، فظهر أن قول الطاعن باعتبار النوع الثالث أيضًا ساقط عن الاعتبار بمثل سقوطه باعتبار النوعين الأولين.

الشبهة الثالثة:

يوجد في القرآن أن الهداية والضلال من جانب الله تعالى، وأن الجنة مشتملة على الأنهار والحور والقصور، وأن الجهاد على الكفار مأمور به، وهذه المضامين قبيحة تدل على أن القرآن ليس كلام الله، وهذه الشبهة أيضًا من أقوى شبههم قلما تخلو رسالة من رسائلهم تكون في رد أهل الإسلام ولا توجد فيها هذه الشبهة.

والجواب: أنه قد وقع في مواضع من كتبهم المقدسة أمثال هذا المضمون فيلزم عليهم أن يقولوا إن كتبهم المقدسة ليست من جانب الله يقينًا.

ثم إنه لا قبح في كون الجنة مشتملة على الحور والقصور وسائر النعيم عند العقل، ولا يقول أهل الإسلام إن لذات الجنة مقصورة على اللذات الجسمانية فقط، كما يقول علماء بروتستانت غلطًا أو تغليطًا للعوام، بل يعتقدون بنص القرآن أن الجنة تشتمل على اللذات الروحانية والجسمانية، والأولى أفضل من الثانية، ويحصل كلا النوعين للمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. يعني أن رضوانًا من الله أكبر منزلة من كل ما سلف ذكره من الجنات والأنهار والمساكن الطيبة، وهذا القول يدل على أن أفضل ما يعطي الله في الجنة هي اللذات الروحانية، وإن كان يعطي اللذات الجسمانية أيضًا.

وكون أهل الجنة كالملائكة في زعمهم لا ينافي الأكل والشرب على حكم كتبهم، ألا يرون أن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لإبراهيم وأحضر لهم إبراهيم عليه السلام عجلًا حنيذًا وسمنًا ولبنًا أكلوا هذه الأشياء، كما صرح به في الباب الثامن عشر من سفر التكوين، وأن الملكين اللذين جاءا إلى لوط عليه السلام وصنع لهما وليمة وخبزًا فطيرًا أكلا، كما صرح به في الباب التاسع عشر من سفر التكوين، والعجب أنهم لما اعترفوا بالحشر الجسماني فأي استبعاد في اللذات الجسمانية، نعم لو كانوا منكرين للحشر مطلقًا كمشركي العرب، أو كانوا منكرين للحشر الجسماني ومعترفين بالحشر الروحاني كأتباع أرسطو لكان لاستبعادهم وجه بحسب الظاهر. وعندهم تجسد الله وما انفك عنه الأكل والشرب وسائر اللوازم الجسدانية باعتبار أنه إنسان، ولما لم يكن عيسى عليه السلام مرتاضًا مثل يحيى في الاجتناب عن الأطعمة النفسية، وشرب الخمر كان المنكرون يطعنون عليه بأنه أكول وشريب، كما هو مصرح به في الباب الحادي عشر من إنجيل متى.

وهذا الطعن مردود فلا شك أن عيسى عليه السلام باعتبار الجسمية كان إنسانًا فقط، فكما أن الأطعمة النفيسة وشرب الخمر ما كانا مانعين في حقه عليه السلام عن اللذات الروحانية مع كونه في هذه الدار الدنيا، بل كان على حضرته غلبة الأحكام الروحانية، فكذلك اللذات الجسمانية لا تكون مانعة عن اللذات الروحانية لأهل الجنة مع كونهم في النشأة الأخرى.

...

الشبهة الرابعة:

أن القرآن لا يوجد فيه ما يقتضيه الروح ويتمناه.

والجواب: أن ما يقتضيه الروح ويمتناه أمران: الاعتقادات الكاملة والأعمال الصالحة، والقرآن مشتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه، ولا يلزم من عدم بعض الأمور التي هي مقتضيات الروح على زعم علماء بروتستانت نقصان القرآن كما لا يلزم نقصان التوراة والإنجيل والقرآن من عدم الأمر الذي هو مقتضى الروح على زعم علماء مشركي الهند من البراهمة، فهم يقولون إن ذبح الحيوان لأجل الأكل والتلذذ خلاف مقتضى الروح وغير مستحسن عند العقل جدًّا، ولا يتصور أن يحصل له الإجازة فيه من جانب الله، فالكتاب المشتمل عليه لا يكون من جانب الله.

...

الشبهة الخامسة:

يوجد في القرآن الاختلافات المعنوية مثلًا:

- قوله في سورة البقرة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

- وقوله في سورة الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢].

- وقوله في سورة النور: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وهذه الآيات تخالف الآيات التي فيها أمر الجهاد.

ووقع في أكثر الآيات أن المسيح إنسان ورسول فقط، ووقع في موضع بضدها أنه ليس من جنس البشر بل منزلته أعلى منه.

الأول قوله في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

والثاني قوله في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

وهذان الاختلافان من أعظم الاختلافات في زعم القسيسين، ولذا اكتفى عليهما صاحب «ميزان الحق» في الفصل الثالث من الباب الثالث منه.

والجواب عن الاختلاف الأول أن هذا ليس باختلاف، بل هذا الحكم كان قبل الجهاد فلما نزل حكم الجهاد نسخ هذا الحكم، والنسخ ليس باختلاف معنوي وإلا يلزم أن يكون بين الإنجيل والتوراة في جميع الأحكام المنسوخة اختلاف معنوي، وكذا في نفس أحكام التوراة وكذا في نفس أحكام الإنجيل، على أن قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ليس بمنسوخ.

والجواب عن الاختلاف الثاني أن القولين المذكورين لا يدلان على أن عيسى بن مريم ليس من جنس البشر، وفهم هذا المعنى وهم صرف وظن فاسد، والعجب من هؤلاء العقلاء أنهم لا يرون الاختلافات والأغلاط التي وقعت في كتبهم!.

* * *

هل الأحاديث النبوية صحيحة؟ 14

التصديقُ فرعٌ، والتصور أصل، والأصل لا
يتجزأ الإيمان به، فإذا حضر في النفس
حضورًا كاملًا حضرت فروعه كلها بكامل
إيمانها.

فمن عرف السماء شكلها ومضمونها،
صدق بروقها ورعودها وصفوها
وصحوها وغيومها وألوانها وفصولها،
حتى صدقته فاحتضنت بدايته ونهايته.

لإثبات صحَّة الأحاديث النبوية في كتب الصحاح من كتب أهل السنة والجماعة، بدأ الشيخ رحمت الله بثلاث فوائد:

الأولى: أن جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كانوا يعتبرون سلفًا وخلفًا الروايات اللسانية كالمكتوب، بل جمهور اليهود يعتبرونها اعتبارًا أزيد من المكتوب، وفرقة كتلك تعتبرها مساوية له وتعتقد أن كليهما واجبا التسليم وأصلان للإيمان وجمهور بروتستانت من المسيحيين أنكروها كما أنكرها

الصادوقيون من فرقة اليهود، وهؤلاء المنكرون من بروتستانت كانوا مضطرين في إنكارها، لأنهم لو لم ينكروها لما أمكن لهم بيان أصول ملتهم وعقائدهم الجديدة، لكنهم مع ذلك يحتاجون إليها في مواضع كثيرة ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة، كما سيظهر لك جميع هذه الأمور إن شاء الله تعالى.

واليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة، بل كثيرًا ما يعظمونها تعظيمًا زائدًا عليه، ويفهمون أنها بمنزلة الروح، والتوراة بمنزلة الجسد، وإذا كان حال التوراة هكذا فكيف حال الكتب الأخر؟.

ثم إن هذه الروايات جمعها يهودا حق دوش في آخر القرن الثاني، وكانت محفوظة بالحفظ اللساني إلى ألف وسبعمئة سنة، ووقع على اليهود في أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهي جسيمة مثل حادثة بخت نصر وأنيتوكس وطيطوس وغيرها، بحيث انقطع التواتر في هذه الحوادث وضاعت الكتب، ومع ذلك عندهم اعتبارها أزيد من التوراة.

ثم إن هذه الروايات في أكثر الطبقات مروية برواية واحد واحد، مثل كلمثيل الأول والثاني، وشمعون الثاني والثالث، وهؤلاء ما كانوا من الأنبياء عند اليهود وكانوا عند المسيحيين من أشد الكفار المنكرين للمسيح، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود مبنى الإيمان وأصل العقائد، وعندنا الحديث الصحيح المروي برواية الآحاد لا يكون مبنى العقائد.

ثم إن كمرا بابل لما كتب في القرن السادس فحكاياته الواهية على قول هورن كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط إلى مدة هي أزيد من ألفين، فإذا عرفت

حال اليهود باعتراف محققي فرقة بروتستانت فاعلم الآن حال جمهور القدماء المسيحية.

والقدماء المسيحية كانوا يعتبرون الرواية اعتبارًا عظيمًا، وقال جان ملتر كاتلك في كتابه الذي طبع سنة (١٨٤٣م) في رسالته العاشرة التي أرسلها إلى جيمس برون: «إني كتبت فيما قبل أيضًا أن مبنى إيمان كاتلك ليس كلام الله الذي هو مكتوب فقط، بل أعم مكتوبًا كان أو غير مكتوب، يعني الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة كاتلك به».

وإذا ثبت شيء بالرواية اللسانية فلا نطلب زائدًا عليه، وإكستائن صرح أن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحواريين قرروها، وأنها ليست بمكتوبة، ويكذب هذا الأمر إنجيلهم أيضًا في كثير من الآيات.

وقال القسيس طامس أنكلس كاتلك في الصفحة (١٨٠ و ١٨١) من كتابه المسمى بـ «مرآة الصدق» المطبوع سنة (١٨٥١م): «يشهد أسقف ماني سيك من علماء بروتستانت أن ستمئة أمر قررها الله في الدين، وتؤمر الكنيسة بها ويقبل في حقها أن الكتاب المقدس ما بينها في موضع وما عملها». فعلى اعتراف هذا الفاضل ستمئة أمر ثبتت بالرواية اللسانية وواجبه التسليم عند فرقة بروتستانت.

...

الثانية: هذا الأمر ظاهر بالتجربة الصحيحة، أن الأمر العجيب أو المهتم بشأنه يكون محفوظًا لأكثر الناس، وخلافه لا يبقى محفوظًا غالبًا لعدم الاهتمام،

ولذلك إذا سألت الناس الذين لا يكونون متعودين على أكل طعام واحد مخصوص أو أطعمة مخصوصة: ماذا أكلتم أمس أو قبل أمس؟ لا يكون محفوظًا لأكثرهم غالبًا لعدم الاهتمام بهذا الأمر وعدم كونه عجيبًا أو عظيمًا، وهكذا الحال في أكثر الأفعال العامة، والأقوال العامة، وإذا سألت عن حال الكوكب الذي كان من ذوات الأذناب وظهر في شهر صفر سنة (١٢٥٩هـ) وشهر مارس سنة (١٨٤٣م)، وكان ظاهرًا في الجو إلى شهر، وكان في غاية الطول يكون محفوظًا للكثيرين من ناظريه، وإن لم يكن شهر ظهوره، وعامه محفوظين لهم وقد مضت عليه مدة أزيد من إحدى وعشرين سنة، وكذلك حال الزلازل العظيمة والمحاربات الشديدة والأمور النادرة، ولما كان اهتمام المسلمين بحفظ القرآن في كل قرن، يوجد فيهم من حفاظ القرآن في هذا العصر أيضًا أزيد من مئة ألف في الديار الإسلامية كلها، وإن زالت سلطنة أهل الإسلام من أكثر أقطار الممالك ووقع الفتور في الأمور الدينية في أكبر أقطارهم، ومن كان شاكًّا في هذا الأمر من المسيحيين فليجرب، وليدخل في الجامع الأزهر فقط فيجد في كل وقت أكثر من ألف حافظ من حفاظ القرآن الذين حفظوه بالتجويد التام، ولو تتبع قرى مصر لا يجد قرية من قرى أهل الإسلام تكون خالية من حفاظ القرآن، ووجد كثيرًا من البغَّالين والحمَّارين من أهل مصر أيضًا حافظين للقرآن، فإن أنصف اعترف أن هؤلاء الحمَّارين والبغَّالين فائقون في هذا الباب على البابا والأساقفة والقسوس الذين يوجدون شرقًا وغربًا في هذا الزمان الذي هو زمان شيوع العلم في المسيحيين، فضلًا

عن القرون السالفة المسيحية من الجيل السابع إلى الجيل الخامس عشر التي كان الجهل فيها بمنزلة شعار العلماء في تلك القرون على اعتراف علماء بروتستانت، ولا يوجد في جميع ديار أوروبا كلها عشرة من حفاظ الإنجيل أو التوراة أو كليهما بحيث يساوي حفظهم لأحدهما أو لكليهما حفظ هؤلاء البغَّالين والحمَّارين للقرآن، فعُلم أن الأمر الذي يكون مهتمًّا بشأنه يكون محفوظًا، ولا يتطرق فيه خلل بمرور مدة طويلة، وهذا الأمر ظاهر في القرآن، وقد مضت مدة ألف ومئتين وثمانين سنة، وهو كما أنه محفوظ بواسطة الكتابة في كل قرن فكذلك محفوظ في كل قرن أيضًا بواسطة صدور ألوف من الرجال، وأكثر فرق المسيحيين في هذا الزمان أيضًا بحيث لو لاحظنا حال كبار علمائهم وخواصهم فضلًا عن عوامهم، وجدنا أنه لا يحصل لهم تلاوة كتبهم المقدسة. قال المعلم ميخائيل مشاقة من علماء بروتستانت في خاتمة كتابه المسمى بـ «الدليل إلى طاعة الإنجيل» المطبوع سنة (١٨٤٩م) في الصفحة (٣١٦): «ذات يوم سألت كاهنًا من كهنة كاتلك أن يجيبني بالصدق عن مطالعة الكتاب المقدس، وكم مرة قرأه في مدة حياته، فقال: إنه كان يقرأ أحيانًا، وربما جملة أسفار لم يقرأها، ولكن منذ اثنتي عشرة سنة لأجل انهماكه في خدمة الرعية لم يبق له فرصة المطالعة فيه، ولا يخلو أن كثيرين من الشعب يعرفون جهالة هؤلاء، ولكنهم مع ذلك ينقادون إلى إرشادهم في المنع عن مطالعة الكتب المفيدة التي ترشدهم إليها».

...

الثالثة: الحديث الصحيح أيضاً معتبر عند أهل الإسلام، ولما كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، متواترًا، رواه اثنان وستون صحابيًّا منهم العشرة المبشرون، كان أهل الإسلام مهتمين بالأحاديث النبوية من القرن الأول، وكان اهتمامهم في حفظ الأحاديث أزيد من اهتمام المسيحيين كما أن اهتمامهم في حفظ القرآن في كل قرن أشد من اهتمام المسيحيين في حفظ كتبهم المقدسة، لكن الصحابة لم يدونوها في الكتب في عهدهم لبعض الأعذار، منها الاحتياط التام لأجل ألا يختلط كلام الرسول بكلام الله، وتابعو الصحابة كالزهري والربيع بن صبيح وسعيد وغيرهم رحمهم الله، شرعوا في تدوينها، لكنهم ما كتبوها مرتبة على ترتيب أبواب الفقه، ولما كان هذا الترتيب حسناً ضبط تبع التابعين على هذا الترتيب، فالإمام مالك رحمه الله الذي ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة صنف الموطأ في المدينة، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج في مكة، وعبد الرحمن بن الأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة، ثم صنف البخاري ومسلم صحيحيهما، واقتصرا فيهما على ذكر الأحاديث الصحيحة، وترك غيرها من الضعاف، واجتهد الأئمة المحدثون في أمر الأحاديث اجتهادًا عظيماً، وقد صنف فن عظيم الشأن في أسماء الرجال يعلم به حال كل راوٍ من رواة الحديث بأنه كيف كان حاله في الديانة والحفظ، وروى كل من أصحاب الصحاح الأحاديث بالإسناد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض

أحاديث البخاري ثلاثيات تصل بثلاث وسائط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينقسم الحديث الصحيح إلى ثلاثة أقسام:

[١] متواتر. [٢] مشهور. [٣] خبر الواحد.

فالمتواتر ما نقله جماعة عن جماعة، لا يجوز العقل توافقهم على الكذب، كنقل أعداد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة ونحوهما، والمشهور ما كان في عصر الصحابة كأخبار الآحاد، ثم اشتهر في عصر التابعين أو عصر تبع التابعين، وتلقته الأمة بالقبول في أحد العصرين الأخيرين، فصار كالمتواتر، كالرجم في باب الزنا، وخبر الواحد ما نقله واحد عن واحد أو واحد عن جماعة أو جماعة عن واحد، والمتواتر منها يوجب العلم القطعي ويكون إنكاره كفرًا، والمشهور يوجب علم الطمأنينة، ويكون إنكاره بدعة وفسقًا، وخبر الواحد لا يوجب أحد العلمين المذكورين، ويعتبر في العمل لا في إثبات العقائد وأصول الدين، وإذا خالف الدليل القطعي عقليًّا كان أو نقليًّا يؤول إن أمكن التأويل، وإلا يترك، ولا يعمل بالدليل العقلي.

والفرق بين الحديث الصحيح والقرآن بثلاثة أوجه:

- الأول أن القرآن كله منقول بالتواتر كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما بدل ناقلوه لفظًا بلفظ آخر مرادف له، بخلاف الحديث الصحيح، لأن نقله بالمعنى أيضًا كان جائزًا للناقل الثقة الماهر بلغة العرب وأسلوب كلامهم.

- والثاني أن القرآن لما كان كله متواترًا يلزم الكفر بإنكار جملة منه أيضًا،

بخلاف الحديث الصحيح، فإنه لا يلزم الكفر إلا بإنكار قسم منه، وهو المتواتر دون المشهور وخبر الواحد.

- والثالث أن الأحكام تتعلق بألفاظ القرآن ونظمه أيضاً، كصحة الصلاة وكون عبارته معجزة، بخلاف الحديث، فإنه لا تتعلق الأحكام بألفاظه، وإذا عرفتْ هذه الفوائد فلا يلزم من اعتبارنا الحديث الصحيح بالطريق المذكور شيء من القبائح والاستبعادات.

***

---- شبهات القسيسين على الأحاديث النبوية ----

الشبهة الأولى: أن رواة الحديث أزواج محمد صلى الله عليه وسلم وأقرباؤه وأصحابه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه.

والجواب: أن هذه الشبهة ترد عليهم بأن رواة الحالات المسيحية وأقواله المندرجة في هذه الأناجيل أم عيسى عليهما السلام وأبوه الجعلي يوسف النجاري وتلاميذه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه، وإن قالوا إنه يحتمل أن إيمان أقارب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه كان لأجل الرياسة الدنيوية، فإن هذا الاحتمال ساقط، لأنه صلى الله عليه وسلم إلى ثلاث عشرة سنة كان في غاية الألم من إيذاء الكفار وأصحابه رضي الله عنهم كانوا أيضاً مبتلين بغاية

إيذائهم إلى المدة المذكورة، حتى تركوا الأوطان وهاجروا إلى الحبشة والمدينة، ولا يتصور أن يتخيل أحد منهم إلى هذه المدة طمع الدنيا، على أن هذا الاحتمال قائم في الحواريين أيضاً؛ لأنهم كانوا مساكين صيادين، وكانوا سمعوا من اليهود أن المسيح يكون سلطاناً عظيم الشأن، فلما ادعى عيسى بن مريم عليهما السلام أنه هو المسيح الموعود آمنوا به، وفهموا أنه يحصل لهم باتباعه المناصب الجليلة، وينجون عن مشقة الشبكة والاصطياد، ولما وعدهم عيسى عليه السلام: «بأني إذا جلست على السرير تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر سريراً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» كما هو مصرح به في الباب التاسع عشر من إنجيل متى، وكذا وعد بأشياء أخر، تيقنوا أنهم يصيرون سلاطين يحكم كل منهم على سبط من أسباط إسرائيل وإن فات منهم شيء لأجل اتباعه يحصل لهم في هذه الدنيا بدله مئة ضعف هذا الشيء، ورسخ في أذهانهم هذا الأمر حتى طلبت أم يعقوب ويوحنا منصب الوزارة العظمى بأن يجلس أحدهما على يمين عيسى عليه السلام والآخر على يساره في ملكوته كما هو مصرح به في الباب العشرين من إنجيل متى، والباب العاشر من إنجيل مرقس، لكنهم لما رأوا أنه لم تحصل لهم السلطنة الخيالية، ولا مئة ضعف في هذه الدنيا، بل لم يحصل له أيضاً شيء من الدولة الدنياوية، وهو مسكين كما كان يخاف من اليهود، ويفر من موضع إلى موضع، ورأوا أن اليهود في صدد أن يأخذوه، ويقتلوه تنبهوا أن فهمهم كان خطأ، والمواعيد المذكورة كسراب يحسبه الظمآن ماءً، فرضي واحد منهم بدل هذه السلطنة الخيالية وهذه

الأضعاف الموهومة بثلاثين درهماً أخذها من اليهود على شرط تسليمه لهم، وتركه سائرهم حين ما أخذه اليهود، وفروا، وأنكروه ثلاث مرات، ولعنه أرشد الحواريين وأعظمهم الذي كان مبنى كنيسة وراعي خرافه وخليفته حضرة بطرس، وحلف أنه لا يعرفه، وصاروا آيسين مطلقاً من متخيلاتهم بعد ما صلب على زعمهم ثم لما رأوه مرة أخرى بعد القيام رجع رجاؤهم مرة أخرى وظنوا أنهم يصيرون سلاطين في هذه المرة فسألوه مجتمعين في وقت صعوده قائلين: هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ كما هو مصرح به في الباب الأول من كتاب الأعمال، وبعد الصعود وقعوا في خيال آخر هو أعظم من السلطنة الدنيوية التي لم تحصل لهم إلى زمان الصعود، وهو أن المسيح ينزل في عهدهم من السماء، وأن القيامة قريبة، وأنه بعد نزوله يقتل الدجال، ويحبس الشيطان إلى ألف سنة، وأنهم يجلسون على الأسرة بعد نزوله، ويعيشون عيشة مرضية إلى المدة المذكورة في هذه الدنيا، كما يفهم من الباب التاسع عشر والعشرين من كتاب المشاهدات، والآية الثانية من الباب السادس من الرسالة الأولى إلى أهل قورنيثوس، ثم يحصل لهم السرور الدائم في الجنة إلى الأبد عند القيامة الثانية، فلأجل هذه الأمور بالغوا في مدحه وتقرير حالاته كما قال الإنجيلي الرابع في آخر إنجيله: «إن أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب»، ولا شك أنه كذب محض ومبالغة شاعرية قبيحة، فكانوا يبالغون بأمثال هذه الأقوال ليوقعوا السفهاء في شبكاتهم، حتى ماتوا غير واصلين إلى مرادهم، فلا اعتبار لشهادتهم

في حقه، وهذا التقرير على سبيل الإلزام لا الاعتقاد. فكما أن هذا الاحتمال في حق عيسى وحواريه عليهم السلام ساقط، فكذلك احتمالهم في حق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ساقط.

ثم إن القرآن ناطق بأن الصحابة الكبار رضي الله عنهم لم يصدر عنهم شيء يوجب الكفر ويخرجهم عن الإيمان:

(١) قال تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ولا شك أن أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين وعليًّا رضي الله عنهم من السابقين الأولين من المهاجرين، فثبت لهم هذه الأمور، وثبتت صحة خلافتهم، فقول الطاعن فيهم رضي الله عنهم مردود.

(٢) قال الله تعالى في سورة التوبة أيضًا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]. ولا شك أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم من المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

(٣) قال الله تعالى في سورة التوبة أيضًا: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)

أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

(٤) قال الله تعالى في سورة التوبة أيضـًا: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١١-١١٢]. فوعد الله الجنة للمؤمنين المجاهدين وعداً موثقـًا، وذكر تسعة أوصاف لهم فثبت أنهم كانوا كذلك ويفوزون بالجنة.

(٥) قال الله تعالى في سورة الحج توصيفًا: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. المراد المهاجرون لا الأنصار؛ لأنهم ما أخرجوا من ديارهم فوصف الله المهاجرين بأنه إن مكنهم في الأرض وأعطاهم السلطنة أتوا بالأمور الأربعة وهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن قد ثبت أن الله مكن الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم في الأرض، فوجب كونهم آتين بالأمور الأربعة، وإذا كانوا كذلك ثبت كونهم على الحق، وفي قوله: لله عاقبة الأمور، دلالة على أن الذي تقدم ذكره من تمكينهم في الأرض كائن لا محالة، ثم إن الأمور ترجع إلى الله تعالى بالعاقبة فإنه هو

الذي لا يزول ملكه.

(٦) قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]. فسمى الله في هذه الآية الصحابة بالمسلمين.

(٧) قال الله تعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ولفظ الاستخلاف يدل على أن حصول ذلك الوعد يكون بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعلوم أنه لا نبي بعده؛ لأنه خاتم الأنبياء، فالمراد بهذا الاستخلاف طريقة الإمامة، وتدل الآية على أن هؤلاء الأئمة الموعود لهم لا يكونون أقل من ثلاثة ووعد لهم بحصول القوة والشوكة والنفاذ في العالم، وتدل على أن الدين الذي يظهر في عهدهم هو الدين المرضي لله، وتدل على أنهم في عهد خلافتهم يكونون آمنين غير خائفين، وتدل على أنهم في عهد خلافتهم أيضاً يكونون مؤمنين لا مشركين. فدلت على صحة إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، لأن الفتوحات العظيمة والتمكين التام وظهور الدين والأمن الذي كان في عهدهم.

(٨) قال الله تعالى في سورة الفتح في حق المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة صلح الحديبية: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، ولا شك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في هؤلاء المهاجرين فثبت لهما ولسائرهم هذه الأمور الأربعة، ومن اعتقد في حقهم غير هذه فعقيدته باطلة مخالفة للقرآن.

(٩) قال الله تعالى أيضًا في سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. فمن اعتقد من مدعي الإسلام في حقهم غير هذا فهو مخطئ.

(١٠) قال الله تعالى في سورة الحجرات وصفًا: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. فعلم أن الصحابة كانوا محبي الإيمان كارهي الكفر والفسق والعصيان وكانوا راشدين، فاعتقاد ضد هذه الأشياء في حقهم خطأ.

(١١) قال تعالى في سورة الحشر بلفظ صريح لصفتهم التي عرفوا بها: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: ٨-٩]. وهذه الأوصاف الستة تدل على كمال الإيمان، ومن اعتقد في حقهم غير هذا فهو مخطئ، وهؤلاء الفقراء من المهاجرين كانوا يقولون لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله، والله يشهد على كونهم صادقين، فوجب أن يكونوا صادقين في هذا القول أيضًا، ومتى كان الأمر كذلك وجب الجزم بصحة إمامته.

(١٢) قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

...

الشبهة الثانية: أن مؤلفي كتب الحديث ما رأوا الحالات المحمدية والمعجزات الأحمدية بأعينهم، وما سمعوا أقوال محمد صلى الله عليه وسلم منه بلا واسطة، بل سمعوها بالتواتر بعد مئة سنة أو مئتي سنة من وفاة محمد صلى الله عليه وسلم، وجمعوها، وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار.

والجواب: أن الرواية اللسانية معتبرة عند جمهور أهل الكتاب، واعتبارها ثابت من هذا الإنجيل المتداول، وأن فرقة بروتستانت تحتاج إلى اعتبارها في أمور كثيرة هي على إقرار «ماني سيك» الأسقف بمقدار ستمئة، وأن خمسة أبواب من سفر الأمثال جمعت من الروايات اللسانية، في عهد حزقيا بعد مدة مئتين وسبعين سنة من موت سليمان عليه السلام، وأن إنجيل مرقس ولوقا

وتسعة عشر بابـًا من كتاب الأعمال كتبت بالرواية اللسانية، وأن الأمر المهتم بشأنه يكـون محفوظـًا، ولا يتطرق فيه خلل بمرور مدة، وأن التابعين كانوا شرعوا في تدوين الأحاديث في الكتب، لكنهم دونوها على غير ترتيب أبواب الفقه، وأن طبقة تبع التابعين دونوها على ترتيبها، ثم إن البخاري وباقي مؤلفي الكتب الصحاح اقتصروا على ذكر الأحاديث الصحيحة، وتركوا الضعاف وروى كل من أصحاب الصحاح الأحاديث بالإسناد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد صُنف في أسماء الرجال فن عظيم الشأن يعلم به حال كل راوٍ من رواة الحديث، وكذا قد عرفت أن أهل الإسلام كيف يعتبرون الحديث الصحيح، فلا يرد عليهم شيء، وقولهم: سمعوها بالتواتر، وأسقطوا مقدار النصف لعدم الاعتبار غلط؛ لأنهم ما أسقطوا لعدم الاعتبار حديثًا من الأحاديث التي سمعوها بالتواتر، لأن الحديث المتواتر عندهم واجب الاعتبار، نعم تركوا الضعاف التي لم تكن أسانيدها كاملة، وتركها لا يضر.

في الباب الثاني من قول آدم كلارك: «إن هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون المسيحية وكثرة هذه الأحوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل، ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية وكان (ثابري سيوس جمع) هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاث مجلدات».

...

الشبهة الثالثة: إن كل عاقل إذا ترك التعصب علم أن أكثر الأحاديث لا يمكن أن يكون معانيها صادقة مطابقة لما في نفس الأمر.

والجواب: لا يوجد في الأحاديث الصحيحة شيء يكون مضمونه ممتنعاً عند العقل، وأما بعض المعجزات التي هي خلاف العادة، وبعض أحوال الجنة والجحيم والملائكة التي لا يوجد لها نظائر في هذه الدنيا فإن كان استبعادهم لها لأجل أنها ممتنعة بالبرهان فعليهم ذكر هذا البرهان ليجاب عنه، وإن كان لأجل أنها خلاف العادة أو لا يوجد لها نظائر في هذا العالم فلا يضر؛ لأنَّ المعجزة لو كانت على مجرى العادة لا تكون معجزة، أليس صيرورة العصا ثعباناً وابتلاعها جميع تنانين السحرة، ثم صيرورتها كما كانت بلا زيادة حجم، وهكذا جميع معجزات موسى عليه السلام على خلاف مجرى العادة، وقياس العالم الآخر على هذا العالم قياس مع الفارق؟ نعم لو قام البرهان القطعي على امتناع شيء يقطع بامتناعه في العالم الآخر أيضاً، وبدون قيام البرهان، لا يتجاسر على إنكاره في العالم الآخر، ألا يرون إلى اختلاف أحوال الأقاليم فإن بعض الأشياء توجد في بعض دون بعض؟ فمن كان من إقليم وسمع حال بعض الأشياء العجيبة المختصة بإقليم آخر يستبعد، بل كثيرًا ما ينكر بشرط أن لا يكون سماعه بالتواتر.

وقد يكون بعض الأمور مستبعدة في بعض الأحيان دون بعض كما أن قطع هذه المسافة البحرية بهذه السرعة التي تقطع بالمراكب الدخانية، أو البرية التي تقطع بالعربيات الدخانية كان من المستبعدات عند الناس قبل إيجاد المراكب

الدخانية، والعربيات الدخانية، وكذا وصول الخبر في دقيقة أو دقيقتين إلى مسافة بعيدة بواسطة السلك المعروف كان من المستبعدات قبل إيجاده، وما بقيت مستبعدة بعد اختراع هذه الأشياء وامتحانها.

لكن الإنصاف أن عادة المنكرين أنهم يغمضون عين الإنصاف، ويحكمون على كل شيء يرى مستبعدًا في آرائهم أنه محال، وتعلم علماء بروتستانت هذه العادة من أبناء صنفهم الذين يسمونهم الملاحدة، لكن العجيب من هؤلاء العلماء أنهم لا يرون أن كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة، وأنهم ما تنبهوا باستبعادات أبناء صنفهم وعاملوا المسلمين بما عاملتهم أبناء صنفهم، وقد كانت استبعادات أبناء صنفهم غالبًا أقوى من استبعاداتهم الناقصة، وقد نقل منها الكثير، ومنها كذلك: ما وقع في الباب العشرين من كتاب أشعيا أن الله أمره أن يكون عريانًا حافيًا إلى ثلاث سنين، ويمشي على هذه الحالة وأبناء صنفهم يستهزئون بهذا الحكم.

وما وقع في الباب الأول من كتاب هوشع أن الله أمره أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا، ثم وقع في الباب الثالث من الكتاب المذكور أن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبة لزوجها، وقد وقع في الآية الثالثة عشرة من الباب الحادي والعشرين من سفر الأحبار: «ولا يتزوج الكاهن إلا امرأة عذراء ولا يتزوج أرملة ولا مطلقة ولا منجسة بالزنا فلا يتزوج من هؤلاء البتة بل يتزوج عذراء من قومه». وفي الباب الخامس من إنجيل متى: «كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه»، فكيف أمر الله نبيه بما ذكر؟!.

الشبهة الرابعة: الأحاديث الكثيرة مخالفة للقرآن؛ لأنه وقع في القرآن أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ما ظهر منه معجزة، وفي الأحاديث أنه صدر منه معجزات كثيرة، وأنه وقع في القرآن أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان مذنبًا، وفي أكثر الأحاديث أنه كان معصومًا، وأنه وقع في القرآن أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان في الابتداء في الجهل والضلالة كقوله في سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]. وكقوله في سورة الشورى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وفي الأحاديث أنه تولد في الإيمان، ولذلك ظهرت منه معجزات كثيرة. هذا غاية جهدهم في إثبات المخالفة بين القرآن والأحاديث.

والجواب: أن الأمرين الأولين لما كانا من أعظم مطاعن النبي صلى الله عليه وسلم فسيرد ردهما في المطاعن.

أما الضال في الآية الأولى فليس المراد به الضَّال عن الإيمان، ليكون بمعنى الكافر، فيرد اعتراضهم، بل في تفسير هذه الآية وجوه:

١- ما روي مرفوعًا أنه عليه الصلاة والسلام قال: ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع، وكاد الجوع يقتلني، فهداني الله.

٢- أن معناها وجدك ضالًّا عن شريعتك أي لا تعرفها إلا بإلهام أو وحي فهداك إليها تارة بالوحي الجلي وأخرى بالخفي، وهو مختار البيضاوي والكشاف والجلالين. في البيضاوي ووجدك ضالاً عن علم الحكم والأحكام

فهدى، فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر، وجاء بهذا المعنى نفسه في حق موسى عليه السلام أيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

٣- أنه يقال ضل الماء في اللبن إذا صار مغمورًا، فمعنى الآية كنت مغمورًا بين الكفار بمكة، فقواك الله تعالى، حتى أظهرت دينه. وجاء بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠].

٤- أن معناها كنت ضالًّا عن النبوة ما كنت تطمع، ولا خطر شيء في قلبك منها، فإن اليهود والنصارى كانوا يزعمون أن النبوة في بني إسرائيل، فهديتك إلى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة.

٥- أن معناها وجدك ضالًّا عن الهجرة، لعدم نزول الإذن، فهداك بالإذن.

٦- أن العرب تسمي الشجرة في الفلاة ضالة، كأنه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان إلا أنت، فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل، فوجدتك ضالًّا، فهديت بك الخلق، ونظيره قوله عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن».

٧- أن معناها وجدك ضالًّا عن القبلة، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له وما كان يعرف أن ذلك يحصل له أم لا فهدى الله بقوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال.

٨- الضلال بمعنى المحبة كما في قوله تعالى على لسان أولاد يعقوب لأبيهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]. أي محبتك، ومعناه

أنك محب، فهديتك إلى الشرائع التي بها تتقرب إلى خدمة محبوبك.

٩- أن معناها وجدك ضالًّا أي ضائعًا في قومك كانوا يؤذونك ولا يرضون بك رعية، فقوى أمرك، وهداك إلى أن صرت واليًا عليهم.

١٠- أن معناها ما كنت تهتدي على طريق السماوات، فهديتك إذ عرجت بك إليها ليلة المعراج.

١١- أن معناها وجدك ضالًّا أي ناسيًا، فهدى أي ذكَّرك، وذلك أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة، فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال: لا أحصي ثناء عليك، وجاء الضلال بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

١٢- قال الجنيد قدس سره: وجدك متحيرًا في بيان ما أنزل عليك، فهداك لبيانه لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ويؤيده قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ [القيامة: ١٦-١٩]. وقوله عز وجل: ﴿ووَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وعلى كل تقدير لا تمسُّك لهم بهذه الآية، ويجب تفسير الآية بالوجوه التي ذكرت وبأمثالها التي ذكرها المفسرون لقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢]، إذ المراد به نفي الضلالة والغواية في أمور الدين بلا شبهة ومعناه ما كفر ولا أقل من ذلك فما فسق.

والمراد في الآية الثانية بالكتاب القرآن وبالإيمان تفاصيل شرائع الإسلام. ومعنى الآية ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن، ولا الفرائض والأحكام، وهذا حق لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل الوحي مؤمنًا بتوحيد الرب إجمالًا، وما كان عارفًا بتفاصيل الإسلام، بل صار عارفًا بعد الوحي، أو أنَّ المراد بلفظ الإيمان الصلاة تحديدًا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي صلاتكم، فمعنى الآية ما كنت تدري ما الكتاب أي القرآن ولا الإيمان أي الصلاة وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عالمًا بكيفية هذه الصلاة المشروعة في ملته قبل النبوة أو المراد بالإيمان أهل الإيمان على حذف المضاف أي ما كنت تدري ما الكتاب ومن أهل الإيمان، يعني من الذي يؤمن بك.

وحذف المضاف كثير في كتبهم المقدسة أيضًا.

...

الشبهة الخامسة: الأحاديث مختلفة.

والجواب: أن الاعتبار للأحاديث الصحيحة المروية في كتب الصحاح والأحاديث التي هي مروية في كتب غير معتبرة لا اعتبار لها، ولا تعارض الصحيحة كما أن الأناجيل الكثيرة الزائدة على السبعين في القرون الأولى لا تعارض عند المسيحيين هذه الأناجيل الأربعة.

والاختلاف الذي يوجد في الأحاديث الصحيحة يرتفع غالبًا بأدنى تأويل، وليس ذلك الاختلاف مثل الاختلاف الذي يوجد في روايات كتبهم المقدسة

إلى الآن، ولو نقلت عن كتبهم المقبولة الاختلافات التي تكون مثل اختلاف يثبتونه في بعض الأحاديث الصحيحة قلما يخرج باب يكون خاليًا عن مثل هذا الاختلاف.

والذين تسميهم علماء بروتستانت ملاحدة نقلوا كثيرًا من هذه الاختلافات في كتبهم، واستهزؤوا بها.

...

ثم نقل الشيخ رحمت الله خمسين اختلافًا نقلوها في ذات الله وصفاته عن كتب العهدين عن كتاب جان كلارك المطبوع سنة (١٨٣٩م) وغيره، لتحصل البصيرة للناظر أن اعتراضات علماء بروتستانت على الأحاديث النبوية أضعف من اعتراضات أبناء صنفهم على مضامين كتبهم المقدسة، منها:

- الآية الثامنة من الزبور المئة والخامس والأربعين: «**الرب حنان رحوم بطيء عن الغضب وعظيم النعمة**» والآية التاسعة عشر من الباب السادس من سفر صموئيل الأول: «**وضرب الرب من أهل بيت شمس لأنهم رأوا تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين**» فانظروا إلى شدة رحمته وبطء غضبه أنه قتل خمسين ألف رجل وسبعين من قومه الخاص على خطأ خفيف.

- الآية السادسة عشر من الباب الرابع والعشرين من سفر الاستثناء: «**لا تقتل الآباء عوض الأبناء ولا الأبناء بدل الآباء ولكن كل واحد يموت بذنبه**». وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن داود عليه السلام سلم

سبعة أشخاص من أولاد شاول بأمر الرب بأيدي أهل جيعون ليقتلوهم بخطأ شاول، فصلبوهم، وقد كان داود عليه السلام عاهد شاول، وحلف ألا يهلك ذريته بعد موته كما هو مصرح به في الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الأول، فوجد نقض العهد أيضاً بأمر الله.

- في الآية الخامسة من الزبور الثلاثين: «**أن غضبه لحظة**»، وفي الآية الثالثة عشر من الباب الثاني والثلاثين من سفر العدد: «**فاشتد غضب الرب على بني إسرائيل فأتاهم في القفار أربعين سنة حتى باد ذلك الخلف كله وهلك أولئك الذين أساؤوا قدامه**» فانظروا إلى غضبه اللحظي أنه كيف عامل بني إسرائيل.

- في الآية الأولى من الباب السابع عشر من سفر التكوين: «**أنا الله القادر**»، وفي الآية التاسعة عشر من الباب الأول من كتاب القضاة: «**وكان الرب مع يهوذا وورث الجبال ولم يستطع يستأصل أهل الوادي لأن كانت لهم مراكب كثيرة من حديد**» فانظروا إلى قدرته، لم يقدر على استئصال أهل الوادي لكونهم ذوي مراكب كثيرة من حديد.

- الآية الثالثة من الباب الخامس عشر من سفر الأمثال: «**عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين**»، وفي الآية التاسعة من الباب الثالث من سفر التكوين: «**فدعا الرب الإله آدم وقال له أين أنت**»، فانظروا إلى ترقب عينه في كل مكان، واحتاج إلى الاستفهام من آدم حين اختفى في وسط شجرة الفردوس.

- في الباب الأول من سفر التكوين وقع في حق السماء والكواكب والحيوانات

أنها حسنة وفي الآية الخامسة عشر من الباب الخامس عشر من كتاب أيوب: «**والسماء ليست بظاهرة قدامه**»، وفي الآية الخامسة من الباب الخامس والعشرين: «والكواكب لا تزكو بين يديه»، ووقع في الباب الحادي عشر من سفر الأحبار في حق كثير من البهائم والطيور وحشرات الأرض أنها قبيحة محرمة.

- الآية التاسعة والعشرون من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الأول: «**فإن عزيز إسرائيل لا يكذب ولا يندم**»، لأنه ليس بإنسان فيندم. وفي الباب المذكور: «وكان قول الرب على صموئيل قائلًا ندمت على أني صيرت شاول ملكًا»، فالرب أسف على أنه ملك شاول.

- الآية السادسة والعشرون من الباب العشرين من سفر الخروج: «**لا تصعد على مذبحي بدرج لئلا تنكشف عليه عورتك**»، فعلم منه أنه لا يجب انكشاف عورة الرجل فضلًا عن عورة الامرأة. وفي الآية السابعة عشر من الباب الثالث من كتاب أشعيا: «**الرب يقلع عورات بنات صهيون**». فانظروا إلى نفرته من كشف عورة الرجال ورغبته إلى قلع عورات النساء وأعرائهن!

- الآية الرابعة في الزبور التسعين: «**فإن ألف سنة لديك كالأمس الغابر وكهجيع من الليل**». والآية الثامنة من الباب الثالث من الرسالة الثانية لبطرس: «**أن يومًا واحدًا عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد**».

- في الآية العشرين من الباب الثالث والثلاثين من سفر الخروج قول الله في خطاب موسى عليه السلام: «**إنك لا تقدر على النظر إلى وجهي لأنه لا يراني**

بشر **فيحيا**»، وفي الآية الثلاثين من الباب الثاني والثلاثين من سفر التكوين قول يعقوب عليه السلام: «**رأيت الله وجهًا لوجه وتخلصت نفسي**».

والأعجب ذكر المصارعة بين الله وبين يعقوب، وكونها ممتدة إلى طلوع الفجر، وأنه لم يقو أحدهما بالآخر، وأن الله لم يقدر أن ينطلق بذاته، فقال أطلقني، وأن يعقوب لم يطلقه إلا بعوض، وهو أن يباركه، وأن الله سأله عن اسمه، فعلم أنه ما كان يعلم اسمه.

ومثل ذلك كثير، يرد على ما يعترضون به.

* * *

هل محمد نبي؟ 15

لا يمكن لعظَمَةٍ بلغت من العمر ألفًا
وأربعمئة وخمسين اختبارًا أن تكون زائفةً،
ولا لعظيم بلغت حكمته مطلع الشمس
ومغربها أن يكونَ على صلة بوادي عبقر.
فمن بحث عن خاتمةٍ لرسالة السماء إلى
الأرض لم يجدها إلا في غار حرائه.

أجاب الشيخ رحمت الله عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بنقطتين:

١- معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

معلوم أنه لا شناعة عقلًا ونقلًا في اعتبار الروايات اللسانية المشتملة على شروط الرواية المعتبرة عند علمائنا. ومنها:

- إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن المغيبات الماضية والمستقبلة، كقصص الأنبياء عليهم السلام وقصص الأمم البالية من غير سماع من أحد.

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: «قام فينا مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه وأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه» رواه البخاري ومسلم.

وقد أخبر الصحابة بفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وأن الأمن يظهر حتى ترحل المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وأن خيبر تفتح على يد علي رضي الله عنه في غد يومه، وأنهم يقسمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وأن بنات فارس تخدمهم. وهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة رضي الله عنهم كما أخبر.، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر رضي الله عنه حيًّا وكان كما أخبر، وكان عمر رضي الله عنه سد باب الفتنة، وأن عثمان يقتل وهو يقرأ في المصحف، وأن الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً بعد ذلك، فكانت الخلافة الحقة كذلك بمضي مدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، لأن خلافة أبي بكر رضي الله عنه كانت سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان رضي الله عنه إحدى عشرة سنة وإحدى عشر شهراً وثمانية عشر يوماً، وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنين وعشرة أشهر وتسعة أيام، وبتمامها خلافة الحسن رضي الله عنه.

وقال لسراقة: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ فلما أتى بهما عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه وقال: الحمد للّه الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

وغير ذلك كثير...

- الأفعال التي ظهرت منه عليه السلام على خلاف العادة، وهي تزيد على ألف، منها: إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عروجه إلى السماء، والكفار استبعدوا هذا المعراج وأنكروه وارتد بسماعه ضعفاء المسلمين وافتتنوا به.

بينما قال آدم كلارك المفسر «لا شك أن إيليا رفع إلى السماء حيًّا».

فلا مجال للقسيسين أن يعترضوا على معراج النبي صلى الله عليه وسلم، إذ كيف يصدق عندهم أن أخنوخ وإيليا والمسيح عليهم السلام رفعوا إلى السماء وجلس المسيح على يمين الله واختطف مقدسهم إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس؟

ومنها ما وصف به صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]. فالله أوصلها إلى أعينهم جميعًا حتى انهزموا.

ومنها نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة، وهذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام، فإن ذلك من عادة الحجر في الجملة، وأما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله عليه وسلم. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى

الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، فتوضأ الناس حتى توضؤوا عن آخرهم». وشبيهات هذه الحادثة كثيرات.

ومنها ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أطعم ثمانين رجلًا من أقراص من شعير، جاء بها أنس تحت يده.

ومنها ما رواه جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير. وشبيهات هذه كثيرات. فمعجزة تكثير الطعام ببركة دعائه مروية عن بضعة عشر صحابيًا، ورواه عنهم أضعافهم من التابعين، وهكذا فعله الأنبياء كما يظهر من معجزة إيلياء عليه السلام في تكثير الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة على ما صرح به في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، ومن معجزة اليسع عليه السلام في تكثير عشرين خبزًا من شعير وسنبل مفروك في منديل حتى أكل مئة رجل وفضل، كما هو مصرح به في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، ومن معجزة عيسى عليه السلام في تكثير خمسة أرغفة وسمكتين على ما صرح به في الباب الرابع عشر من إنجيل متى.

ومنها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي، فقال: يا أعرابي أين تريد؟ قال: أهلي، قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السمرة، وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه

فاستشهدها ثلاثـاً. فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها.

ومنها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حول البيت ستون وثلاثمئة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح، جعل يشير بقضيب في يده إليها، ولا يمسها، ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقـاً، فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم.

ومنها دعاؤه على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه، فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في سائر أقطار الدنيا.

* * *

٢- أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم:

لقد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة، والأوصاف الجزيلة، والكمالات العلمية والعملية، والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن، ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي، فإن كل واحد منها وإن كان يوجد في غير النبي أيضـاً، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء، فاجتماعها في ذاته من دلائل النبوة، وقد أقر المخالفون أيضاً بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته.

فما اشتملت شريعته الغراء عليه مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم، ليست إلا من الوضع الإلهي،

والوحي السماوي، وأن المبعوث بها ليس إلا نبيًّا.

فهو عليه السلام ادعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم، وانتصب مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره، مخالفًا لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم، فضلل آراءهم وسفه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقًا وغربًا، وزاد على مر الأزمان، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عَددهم وعُددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم، وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه. فهل يكون ذلك إلا بعون إلهي وتأييد سماوي؟

كما ظهر في وقت كان الناس محتاجين إلى من يهديهم إلى الطريق المستقيم، ويدعوهم إلى الدين القويم؛ لأن العرب كانوا على عبادة الأوثان، ووأد البنات. والفرس على اعتقاد الإلهين ووطء الأمهات والبنات، والهند على عبادة البقر، والسجود للشجر والحجر، واليهود على الجحود ودين التشبيه، وترويج الأكاذيب المفتريات، والنصارى على القول بالتثليث، وعبادة الصليب وصور القديسين والقديسات. وهكذا سائر الفرق في أودية الضلال والانحراف عن الحق والاشتغال بالمحال، ولا يليق بحكمة الله الملك المبين ألا يرسل في هذا الوقت أحدًا يكون رحمة للعالمين، وما ظهر أحد يصلح لهذا الشأن العظيم ويؤسس هذا البنيان القويم غير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، فأزال الرسوم الزائغة والمقالات الفاسدة، وأشرقت شموس التوحيد وأقمار التنزيه، وزالت ظلمة الشرك والوثنية والتثليث والتشبيه، عليه من

الصلاة أفضلها ومن التحيات أكملها.

وإليه أشار الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

وقد أخبر الأنبياء المتقدمين عليه، عن نبوته عليه السلام، والقسيسون يغلطون العوام؛ لأن النصوص الواردة في التوراة والإنجيل في أمر محمد عليه السلام نصوص خفية تحتاج في معرفتها إلى الاستدلال، ثم إنهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين فيها بسبب إلقاء الشبهات.

ومحمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء الصادقين، ولا اعتبار لمطاعن المنكرين، لأن اليهود ينكرون عيسى بن مريم عليهما السلام، ويكذبونه وليس عندهم رجل أشر منه، من ابتداء العالم إلى زمان خروجه، وكذا ألوف من الحكماء والعلماء الذين هم من أبناء صنف القسيسين وكانوا مسيحيين ثم خرجوا عن هذه الملة لاستقباحهم إياها، ينكرونه ويستهزؤون به وبملته وألفوا رسائل كثيرة لإثبات آرائهم واشتهرت هذه الرسائل في أكناف العالم، ويزيد متبعوهم كل يوم في ديار أوربا، فكما أن إنكار اليهود وهؤلاء الحكماء والعلماء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول، فكذا إنكار أهل التثليث في حق محمد صلى الله عليه وسلم غير مقبول.

والإخبارات الواقعة في حق محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة إلى الآن مع وقوع التحريفات في كتبهم، ومن هذه البشارات:

- في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء: «**وسوف أقيم لهم نبيًّا مثلك من بين إخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء آمره به**»[١].

- الآية الحادية والعشرون من الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء «**هم أغاروني بغير إله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغضبهم**»، والمراد بشعب جاهل العرب لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، وما كان عندهم علم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عبادة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليهود لكونهم من أولاد هاجر الجارية. فمقصود الآية أن بني إسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطلة فأغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون، فأوفى بما وعد فبعث من العرب النبي صلى الله عليه وسلم فهداهم إلى الصراط المستقيم كما قال الله تعالى في سورة الجمعة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢]. وليس المرد بالشعب الجاهل اليونانيين كما يفهم من ظاهر كلام مقدسهم بولس في الباب العاشر من الرسالة الرومية؛ لأن اليونانيين قبل ظهور عيسى عليه السلام بأزيد من ثلاثمئة سنة كانوا فائقين على أهل العالم كلهم في العلوم والفنون، وكان جميع الحكماء

---

(١)- انظر كتاب المؤلف: أحمد ديدات سفير العهد الأخير، الصادر عن دار سما، ٢٠١٦م، ص٤٦ وما بعدها.

المشهورين مثل سقراط وبقراط وفيثاغورس وأفلاطون وأرسطاطاليس وأرخميدس وأقليدس وجالينوس وغيرهم الذين كانوا أئمة الإلهيات والرياضيات والطبيعيات وفروعها قبل عيسى عليه السلام، وكان اليونانيين في عهده على غاية درجة الكمال في فنونهم، وكانوا واقفين على أحكام التوراة وقصصها وسائر كتب العهد العتيق، فلا يجوز أن يكون المراد بالشعب الجاهل اليونانيين.

- في الآية العشرين من الباب السابع عشر من سفر التكوين، وعد الله في حق إسماعيل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام في الترجمة العربية المطبوعة سنة (١٨٤٤م): «**وعلى إسماعيل أستجيب لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدًّا فسيلد اثني عشر رئيسًا وأجعله لشعب كبير**». ولم يكن في ولد إسماعيل من كان لشعب كبير غير محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن المسلم عند أهل الكتاب أن داود عليه السلام يبشر في هذا الزبور بنبي يكون ظهوره بعد زمانه، ولم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبي يكون موصوفًا بالصفات المذكورة في الزبور، ويدعى علماء بروتستانت أن هذا النبي عيسى عليه السلام، ويدعي أهل الإسلام سلفًا وخلفًا أن هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أما الصفات المذكورة في الزبور لهذا النبي المبشر فهي:

[١] كونه حسنًا. [٢] كونه أفضل البشر. [٣] كون النعمة منسكبة على شفتيه. [٤] كونه مباركًا إلى الدهر. [٥] كونه متقلدًا بالسيف. [٦] كونه قويًا. [٧]

كونه ذا حق ودعة وصدق. [٨] كونه هداية يمينه بالعجب. [٩] كون نبله مسنونة. [١٠] سقوط الشعب تحته. [١١] كونه محبًّا للبر ومبغضًا للإثم. [١٢] خدمة بنات الملوك إياه. [١٣] إتيان الهدايا إليه. [١٤] انقياد كل أغنياء الشعب له. [١٥] كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم. [١٦] كون اسمه مذكورًا جيلًا بعد جيل. [١٧] مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين.

وهذه الأوصاف كلها توجد في محمد صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه دلت عليها أحاديث وآيات.

وقد روي أنه عليه السلام لما أراد الدلائل على نصارى نجران، ثم إنهم أصروا على جهلهم، فقال عليه السلام: إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم، فقالوا: يا أبا القاسم! بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأي: ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوته، وقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيًّا إلا هلكوا، وإن أبيتم إلا ألف دينكم. فوادعوا الرجل وانصرفوا، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد غدا محتضنًا الحسين، وآخذًا بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا. فقال أسقفهم: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهًا، لو سألوا الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا. فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعًا من حديد. فقال عليه الصلاة والسلام: لو باهلوا لمسخوا قردة، وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله

نجران وأهله، حتى الطير على الشجر.

وهذه الواقعة دلت على نبوته بوجهين:

الأول: أنه عليه الصلاة والسلام خوَّفهما بنزول العذاب عليهم، ولو لم يكن واثقًا بذلك لكان ذلك منه سعيًا في إظهار كذب نفسه؛ لأنه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه، ومعلوم أنه كان من أعقل الناس، فلا يليق به أن يعمل عملًا يفضي إلى ظهور كذبه، فلما أصر على ذلك علم أنه إنما أصر عليه لكونه واثقًا بوعد الله.

والثاني: أن القوم كانوا يبذلون النفوس، والأموال، في المنازعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو لم يعرفوا أنه نبي لما تركوا مباهلته.

* * *

16 مطاعن تتبرأً من كاتبها

النفسُ السُّفلى تصدِّقُ الكذبةَ التي تُرضيها، وتكذبُ الحقيقةَ التي تُغضبها؛ لأنها أطلقتْ لسانها أمامَها يسير بها ألفَي جسرٍ بكِسرة خبرٍ كاذبٍ.

إن المسيحيين يدعون عصمة الأنبياء في تبليغ الوحي فقط، وأما في غير التبليغ، فليسوا معصومين. فيذنبون عن قصد، أو عن خطأ ونسيان، فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلًا عن الأجنبيات، ويصدر عنهم عبادة الأوثان، وبناء المعابد لها، ولا يخرج عندهم نبي من إبراهيم إلى يحيى عليهما السلام لا يكون زانيًا أو من أولاد الزنا. فمطاعنهم على محمد صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور التي يفهمونها ذنوبًا في زعمهم الفاسد، لا تقدح في نبوته على أصولهم، وعلماء بروتستانت أطالوا ألسنتهم إطالة فاحشة في حق محمد صلى الله عليه وسلم في الأمور الخفيفة، لتغليط العوام غير الواقفين على كتبهم، لوقوع السذج في الاشتباه بتمويهاتهم الباطلة، وقد كتب القسيس «وليم اسمت» من علماء بروتستانت كتابًا بالأوردو سماه «طريق الأولياء» وطبعه سنة

(١٨٤٨م)، وكتب فيه حال الأنبياء من آدم إلى يعقوب عليهم السلام ناقلًا عن سفر التكوين وتفاسيره المعتبرة عند علماء بروتستانت، منها:

[١] قصة آدم عليه السلام عندهم مشهورة، وفي الباب الثالث من سفر التكوين مسطورة، وهم يعترفون أنه أذنب عمدًا، ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله، ولم تثبت توبته عندهم إلى آخر حياته.

[٢] في الباب التاسع من سفر التكوين تصريح بأن نوحًا شرب الخمر وسكر وصار عريانًا.

[٣] المظنون عند المسيحيين أن إبراهيم إلى سبعين سنة من عمره كان يعبد الأصنام، وهو قريب اليقين، نظرًا إلى أصولهم؛ لأنَّ أهل العالم في هذا الوقت عندهم كانوا وثنيين، وهو تربى فيهم، وأبواه أيضًا كانا منهم. ولم يظهر عليه الرب إلى ذلك الوقت، والعصمة عن عبادة الأوثان ليست بشرط بعد النبوة، فضلًا عن أن تكون شرطًا قبل النبوة. وعندهم غيرها في إبراهيم عليه السلام.

[٤] في الباب التاسع عشر من سفر التكوين «وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ ٣١. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ ٣٢. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلًا» ٣٣. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا ٣٤. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ

أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلًا» ٣٥. فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا ٣٦ فحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. ٣٧ فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ ٣٨. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ».

أعوذ بالله من هذه الخرافات، والله يشهد أنه كان بريًّا ممَّا نسبوه إليه.

[٥] في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين، أن يعقوب عليه السلام كذب ثلاث مرات وخادع أباه، وخداعه كما أثر عند إسحاق عليه السلام، أثر عند الله أيضـًا، لأن إسحاق عليه السلام كان بصميم قلبه واعتقاده داعيـًا لعيسو لا ليعقوب عليه السلام، فكما لم يميز إسحاق بين الأخوين في الدعاء، فكذا لم يميز الله بينهما عند إجابة الدعاء، فالعجب أن ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال.

وفي هذه المناسبة يحكى أن فاجرًا من فرقة «بانو» طلب حشيشـًا من الحمَّار لأجل حصانه، وما أعطاه الحمَّار، فقال إن لم تعطني أدع على حمارك، فيموت الليلة، وراح فمات حصانه في تلك الليلة، فلما استيقظ ووجد حصانه ميتـًا، حرك رأسه متعجبـًا، فقال: يا عجبـًا يا عجبـًا أنه مضى ملايين من السنين على ألوهية إلهنا، ولا يميز الحصان من الحمار إلى هذا الحين، دعوت على الحمار وأهلك حصاني!

[٦] في الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين «روبيل» الولد الأكبر

ليعقوب عليه السلام، أنه زنى بزوجة أبيه، وإلى يعقوب أنه ما أجرى الحد أو التعزيز، لا على ابنه، ولا على هذه الزوجة، والظاهر أن حد الزنا في هذا الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار، كما يفهم من الآية الرابعة والعشرين من الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين، ودعا على هذا الابن في آخر حياته كما هو مصرح به في الباب التاسع والأربعين من هذا السفر.

[٧] الآية الثانية عشر من الباب العشرين من سفر العدد «**وقال الرب لموسى وهارون من أجل إنكما لم تصدقاني وتقدساني قدام بني إسرائيل، من أجل ذلك لا تدخلان أنتما بهذه الجماعة إلى الأرض التي وهبت لهم**». تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهارون عليهما السلام بحيث صارا محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة، وقد قال الله زاجرًا: إنكما لم تصدقاني وتقدساني، وإنكما عصيتماني.

[٨] زنى شمسون الرسول بامرأة زانية، كانت في غزة، ثم تعشق امرأة اسمها دليلي التي كانت من أهل وادي شوارق، وكان يدخل إليها، فأمرها كفار فلسطين أن تسأله، كيف يقدر الفلسطينيون عليه ويوثقونه، ولا يقدر هو على كثر الوثاق؟ ووعدوا العطية الجزيلة. فسألته فكذب ثلاث مرات، فقالت له هذه الفاجرة كيف تقول إنك تحبني وقلبك ليس معي وقد كذبتني ثلاث دفعات، وضيقت عليه بكلامها أيامًا كثيرة؟ فأطلعها على كل شيء، وقال: إن حلقوا شعر رأسي زالت عني قوتي وصرت كواحد من الناس. فلما رأت أنه قد أظهر ما في قلبه فدعت رؤساء أهل فلسطين، وأنامته على ركبتها، ودعت

الحلاق فحلق سبع خصال شعر رأسه. فزالت عنه قوته، فأسروه وقلعوا عينيه وحبسوه في السجن، ثم استشهد هناك. وهذه القصة مصرح بها في الباب السادس عشر من سفر القضاة وشمسون نبي وتدل على نبوته الآية (٥) و(٢٥) من الباب الثالث عشر. والآية (٦) و(١٩) من الباب الرابع عشر، والآية (١٤) و(١٨) و(١٩) من الباب الخامس عشر من السفر المذكور، والآية الثانية والثلاثون من الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية.

[٩] في الباب الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني، أن حمنون الولد الأكبر لداود زنى بثامار قهرًا، ثم قال لها: اخرجي، ولما امتنعت عن الخروج أمر خادمه فأخرجها، وأغلق الباب خلفها فخرجت صارخة، وسمع داود عليه السلام هذه الأمور، وشقت عليه، لكنه لم يقل لحمنون شيئًا لمحبته له، ولا لثامار، وكانت ثامار هذه أختًا لأبي شالوم بن داود عليه السلام يقينًا، ولذلك بغض أبيشالوم حمنون، وعزم على قتله، ولما قدر عليه قتله.

[١٠] في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول صدر عن سليمان عليه السلام خمس خطيئات: أنه ارتد في آخر عمره، وأنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم، وهذه المعابد كانت باقية مئتين سنة حتى نجسها، وكسر الأصنام يوسنا بن آمون ملك يهوذا في عهده، بعد موت سليمان عليه السلام بأزيد من ثلاثمئة وثلاثين سنة، كما هو مصرح به في الباب الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني. وأنه تزوج نساء من سفر الشعوب، التي كان الله منع من الالتصاق بهم، وأنه تزوج ألف امرأة، وقد كانت كثرة الأزواج

محرمة على من يكون سلطان بني إسرائيل في الآية السابعة عشر من الباب السابع عشر من سفر الاستثناء، وأن نساءه كن يبخرن ويذبحن للأوثان، وقد صرح في الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج: «من يذبح للأوثان فليقتل». فكان قتلهن واجبًا.

فالعجب أن داود وسليمان عليهما السلام ما أجريا حدود التوراة على أنفسهما، ولا على أهل بيتهما فأية مداهنة أزيد من هذا؟ أهذه الحدود التي فرضها الله للإجراء على المساكين فقط. ولم تثبت توبة سليمان عليه السلام من موضع من مواضع العهد العتيق، بل الظاهر عدم توبته؛ لأنه لو تاب لهدم المعابد التي بناها، وكسر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد، ورجم تلك النساء المغويات. على أن توبته ما كانت نافعة؛ لأن حكم المرتد في التوراة ليس إلا الرجم.

[١١] يهوذا الأسخريوطي كان أحد الحواريين، وكان مستفيضًا بروح القدس، صاحب الكرامات، كما هو مصرح به في الباب العاشر من إنجيل متى، وهذا النبي باع دينه بدنياه، وسلم عيسى عليه السلام بأيدي اليهود بطمع ثلاثين درهمًا، ثم خنق نفسه ومات، كما هو مصرح به في الباب السابع والعشرين من إنجيل متى، وشهد يوحنا في حقه في الباب الثاني عشر من إنجيله أنه كان سارقًا، وكان الكيس عنده، وكان يحمل ما يلقى فيه. أيكون النبي مثل هذا السارق البائع دينه بدنياه؟!

[١٢] فر الحواريون الذين هم في زعمهم أفضل من موسى وسائر الأنبياء

الإسرائيلية عليهم السلام، في الليلة التي أخذ اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه في أيدي الأعداء، وهذا ذنب عظيم، وإن قيل إن هذا الأمر إن صدر عنهم لجبنهم، والجبن أمر طبعي فلا عذر لهم في شيء آخر كان أسهل الأشياء، وهو أن عيسى عليه السلام كان في غاية الاضطراب في هذه الليلة، وقال لهم إن نفسي حزينة جداً، امكثوا ههنا واسهروا معي، ثم تقدم قليلاً للصلاة، ثم جاء إليهم فوجدهم نياماً، فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة، اسهروا وصلوا. فمضى مرة ثانية للصلاة ثم جاء فوجدهم نياماً فتركهم ومضى ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا واستريحوا. كما هو مصرح به في الباب السادس والعشرين من إنجيل متى. ولو كان لهم محبة ما لما فعلوا هذا الأمر، فالعصاة من أهل الدنيا إذا كان مقتداهم أو قريب من أقاربهم في غاية الاضطراب، أو المرض الشديد في ليلة، لا ينامون في تلك الليلة ولو كانوا أفسق الناس.

فإذا كانت هذه الذنوب المذكورة وأمثالها، مصرح بها في كتب العهدين، ولم تقدح هذه الذنوب في نبوة أنبيائهم، أفلا يستحيون أن يعترضوا على محمد صلى الله عليه وسلم في أمور خفيفة، مشتبهة في بصائرهم؟!.

***

كيف تُداوَى الطعون؟ 17

إذا كنتَ كذوبًا فكن ذَكورًا، كيلا تطعن نفسك بخنجرك الذي قلت إنه: وردة.

قدم الشيخ رحمت الله أجوبة مسكتة عن الطعون التي لا دليل عليها إلا العناد الصرف، على النحو الآتي:

- المطعن الأول: مطعن الجهاد.

مهد الشيخ قبل الجواب بخمسة أمور:

١ - أن الله يبغض الكفر ويجازي عليه في الآخرة يقينـًا، وكذا يبغض العصيان وقد يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا أيضـًا، فيعاقب الكفار تارة بالإغراق عمومـًا في عهد نوح عليه السلام، وبالإغراق خصوصـًا، كما في عهد موسى عليه السلام حيث أغرق فرعون وجنوده، وتارة بالإهلاك مفاجأة، وتارة بإمطار الكبريت والنار من السماء، وقلب المدن، وتارة بإرسال الملك لإهلاكهم، وتارة بجهاد الأنبياء ومتبعيهم، وتارة بالخسف والنار، وتارة بالحيات المؤذية. وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا، وهذه العقوبات منصوص عليها في

الأسفار.

٢- أن الأنبياء السابقين أيضاً قتلوا الكفار، وسبوا نساءهم وذراريهم، ونهبوا أموالهم، ولا تختص هذه الأمور بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما لا يخفى على من طالع كتب العهدين، ففي الباب العشرين من كتاب الاستثناء أن الله أمر في حق القبائل الست: الحيثانيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوايين واليابوسيين، أن يقتل بحد السيف كل ذي حياة منهم ذكورهم وإناثهم وأطفالهم، وأمر فيما عداهم، أن يدعوا أولًا إلى الصلح، فإن رضوا به وقبلوا الإطاعة وأداء الجزية فيها، وإن لم يرضوا يحاربوا، فإذا حصل الظفر عليهم، يقتل كل ذكر منهم بالسيف وتسبى نساؤهم وأطفالهم، وينهب دوابهم وأموالهم، وتقسم على المجاهدين، وهكذا يفعل بكل القرى التي هي بعيدة من قرى الأمم الست.

وفي الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد، أنه طلب منه أن يأمر بني إسرائيل إذا عبروا الأردن إلى أرض كنعان أن يبيدوا كل سكان تلك الأرض ويسحقوا مساجدهم ويكسروا أصنامهم المنحوتة جميعها ويعقروا مذابحها كلها.

وفي الباب السابع من سفر الاستثناء أن الله أمر بإهلاك كل ذي حياة من الأمم السبع وعدم الرحمة عليهم، وعدم المعاهدة معهم وتخريب مذابحهم، وكسر أصنامهم، وإحراق أوثانهم، وقطع مناسكهم، وشدد في إهلاكهم تشديداً بليغاً، وقال: إن لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت عزمت أن أفعله بهم.

وفي الآية العشرين من الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج «من يذبح

للأوثان فليقتل».

وغير هذه الأمثلة والشواهد كثير.

٣- لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة في الشريعة السابقة، باقية في الشريعة اللاحقة بعينيها، بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العملية في شريعة واحدة من أولها إلى آخرها، بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين، فقد كان الجهاد مشروعًا في الشريعة الموسوية على طريقٍ هو أشنع أنواع الظلم عند منكري النبوة، ولم تبق مشروعيته في الشريعة العيسوية، وما كان بنو إسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم عن مصر، وصاروا مأمورين به بعد خروجهم، وعيسى عليه السلام يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله. كما هو مصرح به في الباب الثاني من الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيقي، والباب التاسع عشر من المشاهدات. وكذا لا يشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والعصاة على طريقة واحدة، فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحي أن يعترض في مثل هذه الأمور على شريعته، فلا يجوز له أن يقول إن إهلاك كل ذي حياة غير أهل السفينة في طوفان نوح عليه السلام، وإهلاك أهل سادوم وعامورة ونواحيهما في عهد لوط عليه السلام، وإهلاك كل ولد أكبر من أولاد الإنسان والبهيمة من أهل مصر، ليلة خروج بني إسرائيل عنها في عهد موسى عليه السلام، كان ظلمًا، ولا سيما إهلاك ألوف في حادثة الطوفان، وإهلاك ألوف في الحادثتين الأخيرتين من أولاد الإنسان الصغار، وأولاد البهيمة التي هي ما كانت مدنسة بذنب من الذنوب. وكذا لا

يجوز أن يقول إن قتل الأمم السبعة كلها بحيث لا تبقى منهم بقية ما، ولا سيما قتل أولادهم الصغار الذين ما كانوا اقترفوا ذنبـًا ظلم، أو أن يقول إن قتل الرجال وسبي الذراري ونهب الأموال من غير الأمم السبعة، أو إن قتل ذكور المديانيين كلهم حتى الطفل الرضيع، وكذا قتل نسائهم الثيبات كلها وإبقاء الأبكار لأجل أنفسهم، ونهب الأموال والدواب ظلم، أو أن يقول إن جهادات داود عليه السلام، وجهادات سائر الأنبياء الإسرائيلية عليهم السلام، أو إن ذبح إيليا عليه السلام أربعمئة وخمسين رجلًا من أنبياء بعل، أو إن قتل عيسى عليه السلام بعد نزوله الدجالَ وعسكره ظلم، لا يجوز العقل أن يفعل الله أو يأمر أحدًا بأمثال هذا الظلم، وكذا لا يجوز أن يقول إن قتل الذابح للأوثان، وكذا قتل من يرغب إلى عبادة غير الله، وكذا قتل أهل القرية كلها إذا ثبت منهم الترغيب، وكذا قتل موسى عليه السلام ثلاثة وعشرين ألفـًا من عبدة العجل، وكذا قتل موسى عليه السلام أربعة وعشرين ألفـًا من الذين زنوا ببنات مواب وسجدوا لآلهتهن ظلم شنيع، وفي هذه الأحكام إجبار بأن يثبت الإنسان على الشريعة الموسوية، لأجل خوف القتل والرجم، وظاهر أن الإيمان القلبي لا يمكن أن يحصل بالإجبار، بل يستحيل أن يحصل للإنسان محبة الله أيضـًا بالإجبار.

فأمثال هذه الأحكام لا تكون من جانب الله، نعم من لا يكون معتقداً بالنبوة والشرائع، ويكون ملحداً وزنديقـًا، وينكر أمثال هذه الأمور لم تستبعد منه.

٤ - أن علماء بروتستانت يدعون كذبـًا أن دين الإسلام شاع بالسيف، وهذا

الادعاء غير صحيح، وأفعالهم غير أقوالهم، فإنهم وكذا أسلافهم من أهل التثليث إذا تسلطوا تسلطًا تامًّا، اجتهدوا في إمحاء المخالفين، فقد جاء في كتبهم ورسائلهم ككتاب «كشف الآثار في قصص أنبياء بني إسرائيل» حالات منها:

- أن القسطنطين الأعظم الذي كان قبل الهجرة بثلاثمئة سنة تقريبًا أمر بقطع آذان اليهود وإجلائهم إلى أقاليم مختلفة، ثم أمر ملك الملوك الرومي في القرن الخامس من القرون المسيحية، بإخراجهم من البلدة التي كانت مأمنهم من مدة، وكانوا يجيئون إليها من كل جانب، فيستريحون فيها، وأمر بهدم كنائسهم ومنع عبادتهم، وعدم قبول شهادتهم وعدم نفاذ الوصية أن أوصى أحد منهم لأحد في ماله، ولما ظهر منهم بغاوة ما لأجل هذه الأحكام نهب جميع أموالهم وقتل كثيراً منهم، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هذا الإقليم.

- دبر سلاطين فرانس في حق اليهود أمرًا، وهو أنهم كانوا يتركون اليهود إلى أن يصيروا متمولين بالكسب والتجارة، ثم يسلبون أموالهم، وبلغ هذا الظلم لأجل الطمع غايته، ثم لما صار فلب أوك سطس سلطانًا في فرانس، أخذ أولًا الخمس من ديون اليهود التي كانت على المسيحيين، وأبرأ من الباقي ذمة المسيحيين، وما أعطى اليهود حبة، ثم أجلى اليهود كلهم من مملكته، ثم جلس على سرير السلطنة سنط لوئيس وهو يطلب اليهود مرتين في مملكته وأجلاهم مرتين، ثم أجلى جرلس السادس اليهود من مملكة فرانس، وقد ثبت من التواريخ، أن اليهود أجلوا من مملكة فرانس سبع مرات، وعدد اليهود

الذين أخرجوا من مملكة إسبنيول لو فرض في جانب القلة، لا يكون أقل من ألف وسبعين ألف بيت، وفي مملكة نمسا قتل كثير منهم ونهب كثير منهم ونجا منهم قليل وهم الذين تنصروا، ومات كثير منهم بأن سدوا أولًا أبوابهم، ثم أهلكوا أنفسهم وأولادهم وأزواجهم وأموالهم، إما بالإغراق في البحر أو بالإحراق بالنار، وقتل غير المحصورين منهم في الجهاد المقدس، وكان الإنجليز اتفقوا على أن يظلموا اليهود، فلما حصل اليأس العظيم ليهود البلدة قتل بعضهم بعضًا، فقتل ألف وخمسمئة من الرجال والنساء والأطفال، وصاروا أذلاء في هذه المملكة بحيث إذا بغى الأمراء على السلطان قتلوا سبعمئة يهودي ونهبوا أموالهم، لأجل أن يظهروا شوكتهم على الناس.

وغيرها كثير في كتاب «الثلاث عشرة رسالة»، قوانين وأحكام ظالمة قاسية.

٥ - أن حكم الجهاد في الشريعة المحمدية هكذا: يُدعى الكفار أولًا بالموعظة الحسنة إلى الإسلام، فإن قبلوه فبها، ويكونون كأمثالنا، وإن لم يقبلوا فإن كانوا من مشركي العرب فحكمهم القتل، كما كان هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبعة والمرتد والذابح للأوثان والداعي إلى عبادتها، وإن كانوا من غيرهم يدعون إلى الصلح بقبول الجزية والإطاعة، فإن قبلوا صارت دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا، وإن لم يقبلوا فيحاربون، مع مراعاة الشروط التي هي مصرح بها في كتب الفقه. كما كان مثله في الشريعة الموسوية في حق غير الأمم السبعة، والخرافات النى نقلها علماء بروتستانت في بيان هذه المسألة بعضها مفتريات وبعضها هذيانات.

فقد جاء كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رئيس عسكر فارس: «بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران في ملأ فارس. سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنا ندعوكم إلى الإسلام فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتل في سبيل الله، كما يحب فارس الخمر. والسلام على من اتبع الهدى».

وكتاب الأمان من عمر رضي الله عنه لنصارى الشام: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أماناً لأنفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرها وسائر ملتها، أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من صلبانهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء رجع إلى أرضه، وأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك من

الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه».

وكل الناس يعترفون أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كان شديداً في الإسلام في غاية الشدة، وكان جهاد الشام من أعظم جهاداته وكان جاء بنفسه الشريف عند محاصرة إيلياء، ولما تسلط على إيلياء وقبل المسيحيون الجزية ما قتل أحدًا ولا أكره على الإيمان وأعطاهم شروطًا حسنة، وقد اعترف به مؤرخوهم ومفسروهم أيضًا، كما في كلام طامس نيوتن في الفصل الثالث من الباب الأول.

أما الفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسألة الجهاد:

أولاً: أن الشريعة المحمدية يدعى الكافر فيها بالموعظة الحسنة إلى الإسلام بخلاف الشريعة الموسوية وظاهر أنه لا قبح في هذه الدعوة، والامتناع بعد الإيمان عن القتل عين الإنصاف.

ثانيًا: أنه كان حكم قتل النساء والصبيان إذا كانوا من الأمم السبعة في الشريعة الموسوية، بخلاف الشريعة المحمدية، فإن هؤلاء لا يقتلون وإن كانوا من مشركي العرب، كما كانوا لا يقتلون في الشريعة الموسوية أيضًا إذا كانوا من غير الأقوام السبعة.

وبعد بيان هذه الأمور الخمسة يخلص إلى أنه لا شناعة في مسألة الجهاد الإسلامي نقلًا كما مر، وعقلًا لأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن إصلاح القوة

النظرية مقدم على إصلاح القوة العملية، فإصلاح العقائد مقدم على إصلاح الأعمال، وهذه مقدمة مسلمة، ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الإيمان عندهم، ولا يعاند المسيحيون أيضاً في هذا الباب؛ لأن الأعمال الصالحة بدون الإيمان بالمسيح لا تنجي عندهم أيضاً، وأن الجواد الحليم المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام، وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الإنسان قد تنبه على خطئه وقبحه بتنبيه الغير، وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الإنسان لا يطيع الحق غالباً لأجل وجاهة قومه وشوكتهم، ولا يصغي إلى قول رجل من صنف آخر، بل يأنف من سماع كلامه، ولا سيما إذا كان هذا القول مخالفاً لطبائع صنفه وأصولهم، ويكون في قبوله لزوم المشقة في أداء العبادات البدنية والمالية بخلاف ما إذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم، فلا يأنف من الإصغاء، وكذا قد ثبت بالتجربة أن العدو إذا رأى أن مخالفه مائل إلى الدعة والسكون يطمع في التسلط على مملكته، وهذا هو السبب الأغلب في زوال الدول القديمة، وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين والديانة؛ ولذلك اضطر المسيحيون كافة إلى ما يخالف إنجيلهم المتداول:

فقال أهل ملة «كاتلك»: إن الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقي على كل مسيحي بواسطة العماد، لكون كل معتمد خاضعاً للكنيسة الرومانية ومرؤوساً منها، وهي ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية، وبأن تسلم المصرِّين على ضلالهم والمضرين للجمهور، إلى ذوي الولاية

ليعاقبوهم بالموت، ومن ثم يمكنها إلزامهم بحفظ الإيمان الكاتلكي والشرائع الكنائسية تحت أي قصاص كان.

وقال علماء بروتستانت من أهل إنكلترا: سعادة الملك له الحكم الأعلى في مملكة إنكلترا هذه، وفي ولاياته الأُخر، وله السلطنة الأولى على جميع متعلقات هذه المملكة سواء كانت كنائسية أو مدنية في كل حال، وما هي خاضعة، بل لا يصح أن تخضع لحاكم أجنبي، ويجوز للمسيحيين أن يتقلدوا السلاح بأمر الحكام، ويباشروا الحروب. كما هو مصرح به في العقيدة السابعة والثلاثين من عقائد دينهم، فترك كلا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام «**لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا، ومن سخرك ميلًا واحدًا فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه**». فإن هذه الأقوال تخالف ما مهدوه، ولو عملوا على هذه الأقوال فإن سلطنة الإنجليز تزول من الهند في أيام معدودة ويخرجهم أهل الهند بلا كلفة.

وإذا ثبت ما ذكر فلا شك في استحسان الجهاد عقلًا إذا كان جامعًا للشروط المذكورة في الشريعة المحمدية.

جاء بعض القسيسين في محكمة المفتي من محكمات الدولة الإنجليزية في الهند فقال: يا جناب المفتي لي سؤال على المسلمين أمهل المجيب إلى سنة لأداء جوابه. فأشار المفتي إلى ناظر المحكمة، وكان رجلًا ظريفًا، فقال: أي سؤال هذا؟ قال القسيس: إن نبيكم ادعى أنه مأمور بالجهاد، وما كان موسى

مأمورًا به ولا عيسى. فقال الناظر: أهذا هو السؤال الذي تمهلنا إلى سنة لنتفكر في جوابه؟. قال القسيس: نعم. قال الناظر: لا نستمهلك، وأجيبك الآن لسببين: أولًا لأنا متعلقون بالدولة الإنجليزية ولا فرصة لنا إلا في أيام التعطيل فمن يمهلنا إلى سنة؟. ثانيًا لأن هذا السؤال لا يحتاج في جوابه إلى تأمل.. ماذا تقول في حق لجج (يعني الحاكم الإنجليزي الذي يكون بمنزلة القاضي في الشرع)، أيجوز له بحسب القوانين الإنجليزية أن يقتل القاتل قصاصًا إذا ثبت القتل عليه عنده؟ قال القسيس: لا، لأنه ليس بمأمور بهذا، بل منصبه أن يرسل هذا القاتل إلى شيشن جج (يعني الحاكم الكبير منه). قال: أيجوز لهذا الحاكم الكبير بحسب القوانين أن يقتله إذا ثبت القتل عنده؟ قال القسيس: لا، لأنه ليس بمأمور أيضًا، بل منصبه أن يحقق الأمر ثانيًا ويخبر الحاكم الذي هو أعلى منه حتى يصدر حكم القتل عن هذا الأعلى، ثم يحكم هذا الكبير بقتله. فقال الناظر: أهؤلاء الحكام الثلاثة ليسوا بمتعلقين بالدولة الواحدة الإنجليزية؟. قال القسيس: بلى، لكن اختلاف الاقتدار لأجل مناصبهم. فقال الناظر: الآن ظهر الجواب من كلامك، فلا بد أن تعلم أن موسى وعيسى عليهما السلام بمنزلة الحاكمين الأولين، ونبينا بمنزلة الحاكم الثالث الأعلى، فكما لا يلزم من عدم اقتدار الحاكمين الأولين عدم اقتدار الثالث، فكذا لا يلزم من عدم اقتدار موسى وعيسى عليه السلام عدم اقتدار محمد صلى الله عليه وسلم، فسكت القسيس وخرج خائبًا.

فمن نظر إلى ما ذكر بنظر الإنصاف، وتجنب عن العناد والاعتساف، علم يقينًا

أن التشدد في مسألة الجهاد، وقتل المرتد والمرغب إلى عبادة الأوثان في الشريعة الموسوية، أشد وأكثر من التشدد الذي فيها في الشريعة المحمدية، وأن طعن المسيحيين خلاف الإنصاف جدًّا، وأتعجب من حالهم أنهم لا ينظرون إلى أن أسلافهم كيف أشاعوا ملتهم بالظلم وكيف قرروا القوانين الجورية لمخالفيهم؟

...

المطعن الثاني: من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها وما ظهرت معجزة على يد محمد صلى الله عليه وسلم.

كما يدل عليه ما وقع في سورة الأنعام: ﴿**مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٧]. وكذا ما وقع في تلك السورة: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ١٠٩]. وفي سورة الإسراء: ﴿**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)**﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]. وكذا بعض الآيات الأخر.

والجواب أن صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الإنجيل

المتعارف، فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة. في الآية الحادية والأربعين من الباب العاشر من إنجيل يوحنا «**فأتى إليه كثيرون، وقالوا إن يوحنا لم يفعل آية واحدة**»، وفي الآية السابعة والعشرين من الباب الحادي والعشرين من إنجيل متى: «يوحنا عند الجميع نبي».. ولم تصدر عنه معجزة من المعجزات على شهادة كثيرين مع أن نبوته مسلمة عند المسيحيين.

ثم المراد بالآية (٥٧) من سورة الأنعام أن العذاب ينزل عليكم في الوقت الذي أراد الله إنزاله، ولا قدرة لي على تقدمه، أو تأخيره. وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده فلا تدل هذه الآية على أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم تصدر عنه معجزة.

وأما الآية الثانية فمعناها: لا تدرون أنهم لا يؤمنون بها، وهذا القول يدل على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون.

وأما الآية الثالثة فمقصودهم بهذه الاقتراحات العناد، واللجاج، ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر.

وكذا حال بعض آيات أخر، يفهم منه في الظاهر نفي إظهار الآية، لكن المقصود به نفي المعجزة المقترحة، ولا يلزم من هذا النفي، نفي المعجزات مطلقًا، ولا يلزم على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون، بل هم لا يظهرون إذا طلب المنكرون عنادًا أو امتحانًا أو استهزاء، ومثل ذلك ما ورد في الباب الثامن من إنجيل مرقس أن الفريسيين طلبوا معجزة من عيسى عليه السلام على سبيل الامتحان، فما أظهر معجزة، ولا أحال في ذلك الوقت إلى

معجزة صدرت عنه فيما قبل، ولا وعد بإظهارها فيما بعد أيضاً. ومثل ذلك كثير في الأناجيل.

والمعجزات المحمدية مصرح بها في القرآن والأحاديث الصحيحة، وقد سجل القرآن مواقف الناس من هذه المعجزات: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥)﴾ [الصافات: ١٤-١٥]. ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]. وغيرهما.

...

المطعن الثالث: باعتبار النساء.

ذكروا فيه خمسة أمور:

١ - أن المسلمين لا يجوز لهم أزيد من أربع زوجات، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكتف بها، بل أخذ تسعاً لنفسه، وأظهر حكم الله في حقه أن الله أجازني لأن أتزوج بأزيد من أربع.

٢ - أن المسلمين يجب العدل عليهم بين نسائهم، وأظهر حكم الله في حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه.

٣ - أنه دخل بيت زيد بن حارثة رضي الله عنه، فلما رفع الستر، وقع نظره على زينب بنت جحش زوجة زيد رضي الله عنهما، فوقعت في نفسه، وقال سبحان الله. فلما اطلع زيد على هذا الأمر طلقها، فتزوج بها، وأظهر أن الله أجازني للتزويج.

٤ - أنه خلا بمارية القبطية رضي الله عنها، في بيت حفصة رضي الله عنها. في

يوم نوبتها، فغضبت حفصة رضي الله عنها، فقال محمد صلى الله عليه وسلم: حرمت مارية على نفسي، ثم لم يقدر أن يبقى على التحريم. فأظهر أن الله أجازه لإبطال اليمين بأداء الكفارة.

٥- أنه يجوز في حق متبعيه، إن مات أحد منهم أن يتزوج الآخر زوجته، بعد انقضاء عدتها، وأظهر حكم الله في حقه أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج زوجة من زوجاته بعد مماته.

والجواب عنها:

- أن تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزًا في الشرائع السابقة؛ لأن إبراهيم عليه السلام تزوج بسارة، ثم بهاجر في حياة سارة، وكان خليل الله، وكان الله يوحي إليه، ويرشده إلى أمور الخير، فلو لم يكن النكاح الثاني جائزًا لما أبقاه عليه، بل أمره بفسخه وحرمته. ولأن يعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة، ليا وراحيل وبلها وزلفا، فالأوليان منهما أختان ابتنا لابان خاله، والأخريان جاريتان، والجمع بين الأختين حرام قطعي في شريعة موسى عليه السلام، فلو كان التزوج بأكثر من امرأة واحدة حرامًا، لزم أن يكون أولاده من تلك الأزواج، أولاد حرام والعياذ بالله، وكان الله يوحي إليه ويرشده إلى أمور الخير، فكيف يتصور أن يرشده في أمور خسيسة، ولا يرشده في هذا الأمر العظيم. فإبقاء الله يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربعة، ولا سيما الأختين دليل بيِّن على جواز مثل هذا التزوج في شريعته.

ولأن جدعون بن يواش تزوج نساء كثيرة في الباب الثامن من سفر القضاة،

ونبوته ظاهرة من الباب السادس والسابع من السفر المذكور، ومن الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية.

ولأن داود عليه السلام تزوج نساء كثيرة. تزوج أولًا ميخال بنت شاوول، وكان بدل المهر مئة غلفة من غلف الفلسطينيين، وأعطاه داود عليه السلام مئتي غلفة من غلفهم، فأعطى شاوول داود عليه السلام ابنته ميخال، كما في الآية السابعة والعشرون من الباب الثامن عشر من سفر صموئيل الأول.

والملاحدة يستهزؤون بهذا البدل من المهر، ويقولون: أكان شاوول يريد أن يسوي من هذه الغلف حميلًا ويعيطه بنته في الجهاز، أم كان غرضه شيئًا آخر؟

فثبت أن كثرة الأزواج ما كانت محرمة في شريعة موسى، فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحي الأمة الموسوية نساء.

- الصحيح في قصة زينب رضي الله عنها، أنها بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، ثم طلقها زيد، ولما انقضت عدتها تزوج بها رسول الله .

أما الآيات فهي: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)﴾ [الأحزاب: ٣٧-٣٨].

والقصة أن زينب رضي الله عنها، كانت تتكبر على زيد بسبب النسب وعدم الكفاءة، وهذا الأمر كان سبب عدم المحبة بينهما، فأراد زيد رضي الله عنه أن يطلقها، فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه طلقها آخر الأمر. فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لبيان الشريعة، لا لأجل قضاء الشهوة. وكان قبل نزول الحكم مخفيًا لهذا الأمر لأجل عادة العرب، ولا بأس فيه.

- أن الأمور الشرعية، لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع، أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم. فيعقوب عليه السلام جمع بين الأختين، وعمران أبو موسى عليه السلام تزوج بعمته، وهذه زواجات محرمة في الشريعة الموسوية والعيسوية والمحمدية، وبمنزلة الزنا، ولا سيما نكاح العمة، وهذه الزواجات أقبح القبائح عند علماء مشركي الهند، فهم يشنعون تشنيعًا بليغًا ويستهزؤون بهؤلاء المتزوجين غاية الاستهزاء، وينسبون أولادهم إلى أشد أنواع الزنا.

ونكاح زوجة المتبنى بعد الطلاق، كان قبيحًا عند مشركي العرب. ولما كان زيد بن حارثة رضي الله عنه متبنى محمد صلى الله عليه وسلم، كان محمد صلى الله عليه وسلم أيضًا يخاف أولًا من طعن عوام المشركين في نكاح زينب رضي الله عنها، فلما أمره الله تزوج بها لبيان الشريعة، ولم يبال بعادة المشركين.

- أن الطاعنين من علماء بروتستانت، لا يستحيون، ولا ينظرون إلى بضاعات كتبهم المقدسة من الاختلافات، والأغلاط، والأحكام. ومن ذنوب الأنبياء

وعشائرهم وأصحابهم، مر منها الكثير في العهدين.

- في الجلالين في سورة التحريم: «من الإيمان تحريم الأمة». فقول النبي صلى الله عليه وسلم: حرمت مارية على نفسي، يمين بهذا المعنى.

- إذا قال النبي: لا أفعل هذا الأمر، ثم فعل، لأجل أنه كان جائزاً من الأصل، أو جاء إليه حكم الله، لا يقال إنه أذنب، بل في الصورة الثانية لو لم يفعل يكون عاصياً. وعندهم يوجد مثله في حق الله في كتب العهد العتيق، فضلًا عن الأنبياء، ويوجد في العهد الجديد، في حق عيسى عليه السلام، في الباب الخامس عشر من إنجيل متى، أن امرأة كنعانية استغاثت لأجل شفاء بنتها، فأبى عيسى عليه السلام فأجابت جواباً حسناً استحسنه عيسى عليه السلام، ودعا لابنتها فشفيت. وفي الباب الثاني من إنجيل يوحنا أن أم عيسى عليه السلام استدعت منه في عرس قانا الجليلي، أن يحول الماء خمرًا، وقال: ما لي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي، ثم حوله.

- لا بأس أن يخصص أولياء الله بخصائص، فهارون وأولاده كانوا مخصصين بأمور كثيرة، من خدمة قبة الشهادة، وما يتعلق بها، وما كانت هذه الأمور جائزة لبني لاوى الآخرين، فضلًا عن غيرهم من بني إسرائيل.

فكيف أمر الله في كتبهم أشعيا عليه السلام، أن يمشي مكشوف العورة الغليظة، وعرياناً بين النساء والرجال إلى ثلاث سنين. وكذا أمر هوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية وأولاد الزنا، وأن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبة لزوجها، ويكون هذا من جانب الله، ولائقاً بمناصب هؤلاء الأنبياء المقدسين، وإجازة نكاح زينب

بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها لا يمكن أن يكون من جانب الله، ولا يكون لائقًا بمنصب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟!

وكذا لا يسقط عن درجة النبوة، يعقوب عليه السلام الذي هو ابن الله البكر بنص التوراة، بسبب أن تعشَّق راحيل، وخدم أباها أربع عشرة سنة، وأخذ أربع زوجات، وجمع بين الأختين، وكذا لا يسقط عنها داود ابن الله البكر الآخر، بنص الزبور، بسبب أن أخذ نساء كثيرة، وجواري كثيرة، قبل أن يزني بامرأة أوريا، بل تكون هذه النساء كلها بهبة الله ورضاه، ولا يصدر العتاب عليه على تكثير النساء، بل على أنه زنى بامرأة الغير، وقتل ذلك الغير بالحيلة، وأخذ تلك المرأة، وكذا لا يسقط عنها سليمان عليه السلام، الذي هو ابن الله بشهادة كتبهم المقدسة بسبب أن أخذ ألف امرأة من الزوجات والجواري، وارتد في آخر عمره وعبد الأصنام، بل يبقى مسلم النبوة، وتكون كتبه الثلاثة: الأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد كتبًا إلهية، وكذا لا يسقط لوط عنها، بسبب الزنا بابنتيه، ويسقط محمد صلى الله عليه وسلم عن درجة النبوة بكثرة الأزواج، ونكاح زينب، وتحليل جاريته بعد تحريمها؟!

...

المطعن الرابع: أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان مذنبًا.

وكل مذنب لا يصح أن يكون شافعًا للمذنبين الآخرين.

في سورة غافر: **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾** [غافر: ٥٨]. وفي سورة محمد: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**

وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩]. وفي سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)﴾ [الفتح: ١-٢].

وفي الحديث: «فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». ونحوه مما وقع في الأحاديث الأخرى.

والجواب عن هذا أن الذنوب الصغرى والكبرى كلتيهما غير صحيحتين، فالنتيجة كاذبة يقيناً:

- لأن الله رب وخالق، والخلق كله مربوب ومخلوق، فكل ما صدر عن حضرة الرب الخالق في حق العبد المربوب المخلوق، من الخطاب والعتاب والاستعلاء فهو في محله ومقتضى المالكية والخالقية. وكذا كل ما يصدر عن العباد، من الأدعية والتضرعات إليه، فهو في موقعه أيضاً، ومقتضى المخلوقية والعبودية، والأنبياء عباد الله المخلصون، فهم أحق من غيرهم، والحمل على المعنى الحقيقي في كل موضع، من أمثال هذه المواضع، في كلام الله وفي أدعية الأنبياء وتضرعاتهم خطأ وضلال وشواهده كثيرة في كتب العهدين، منها:

[١] في الباب العاشر من إنجيل مرقس، والثامن عشر من إنجيل لوقا، إذ أقر عيسى عليه السلام بأنه ليس صالحاً، ولا صالح إلا الله وحده.

[٢] الآية السادسة والأربعون من الباب السابع والعشرين من إنجيل متى هكذا: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلًا إيلي إيلي لما

شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني».

[٣] في الباب السادس من إنجيل متى في الصلاة التي علمها عيسى عليه السلام تلاميذه: «اغفر لنا ذنوبنا كما نحن نغفر أيضـًا للمذنبين إلينا». وغيرها كثير.

- لأن أفعال الأنبياء كثيرًا ما تكون لتعليم الأمة، لتستنَّ بهم. ولا يكونون محتاجين إلى هذه الأفعال لأجل أنفسهم.

ففي الباب الرابع من إنجيل متى، أن عيسى عليه السلام صام أربعين نهارًا، أو أربعين ليلة. والآية الخامسة والثلاثون من الباب الأول من إنجيل مرقص أنه خرج في الصبح باكراً جدًّا إلى موضع خلاء يصلي. والآية السادسة عشر من الباب الخامس من إنجيل لوقا أنه قضى الليل كله في الصلاة لله.

- لأنَّ الألفاظ المستعملة في الكتب الشرعية، مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق وغيرها، يجب أن تحمل على معانيها الشرعية ما لم يمنع عنها مانع، ولفظ الذنب في هذا الاصطلاح الشرعي، إذا استعمل في حق الأنبياء، يكون بمعنى الزَّلة، وهي عبارة عن أن يقصد معصوم عبادة أو أمرًا مباحًا، ويقع بلا قصد وشعور في ذنب، لمجاورة العبادة أو الأمر المباح بهذا الذنب، كما أن السالك يكون قصده قطع الطريق، لكنه قد يزل قدمه أو يعثر بسبب طين أو حجر واقع في ذلك الطريق، أو يكون بمعنى ترك الأولى.

- لأنَّ وقوع المجاز في كلام الله وكلام الأنبياء كثير.

- لأنَّ الدعاء قد يكون المقصود به محض التعبد كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. فإن إيتاء ذلك الشيء

واجب، ومع ذلك أمرنا بطلبه. كقوله : ﴿رَبِّ احْكُم بالحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].
مع أنا نعلم أنه لا يحكم إلا بالحق.

والاستغفار طلب الغفران، والغفران الستر على القبيح، وهذا الستر يتصور على وجهين:

الأول: بالعصمة منه؛ لأنَّ من عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى.

والثاني: بالستر بعد الوجود.

فالغفران في الآيتين الأوليين بالوجه الأول، في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي الثانية بالوجه الثاني في حق المؤمنين والمؤمنات.

أو أن المقصود من الأمر بالاستغفار في الآيتين محض التعبد كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. وقوله تعالى: ﴿رَبِّ احْكُم بالحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

أو أن المقصود من هذا الأمر أن يكون الاستغفار مسنونـًا في أمته، فاستغفاره صلى الله عليه وسلم كان لتعليم الأمة.

أو أن المضاف في الآيتين محذوف. والتقدير في الآية الأولى: فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنب أمتك. وفي الثانية: فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنب أهل بيتك ولذنب المؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من أهل بيتك، فلا بعد في ذكر المؤمنين والمؤمنات. وقد عرف حذف المضاف في كتبهم كثيرًا، أو أن المراد بالذنب في الآيتين الزلة أو ترك الأفضل.

وأما الآية الثالثة فالمضاف محذوف، أو المراد بالذنب ترك الأفضل، أو المراد

بالغفران العصمة.

وقال الإمام السبكي وابن عطية: إن المقصود من هذه الآية، ليس إثبات صدور ذنب وغفرانه، بل المقصود منها تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإكرامه فقط. لأن الله أظهر تعظيمه وإحسانه في أول هذه السورة، فبشر أولًا بالفتح المبين، ثم جعل غاية هذا الفتح الغفران وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم وإعطاء النصر العزيز. فلو فرض صدور ذنب ما يكون مخلًّا لبلاغة الكلام، فمقتضاها التكريم والتعظيم. كما أن السيد إذا رضي عن خادمه يقول تارة لإكرامه وإظهار رضاه: عفوت عنك خطيئاتك المتقدمة والمتأخرة، ولا أؤاخذك عليها، وإن لم يصدر عن هذا الخادم خطيئات.

وأما الدعاء المذكور في الحديث، فتوجيهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما كان أرفع الخلق عند الله درجة وأتمهم به معرفة، وكان حاله عند خلوص قلبه عن ملاحظة غير ربه، إقباله بكليته عليه أرفع حاليه، بالنسبة إلى غير ذلك كان يرى شغله بما سواه، وإن كان ضروريًّا نقصًا وانحطاطًا من رفيع كماله، فكان يستغفر الله من ذلك طلبًا للمقام الأعلى، فكان هذا الشغل الضروري أيضًا عنده، بمنزلة الذنب الذي لا بد أن يستغفر عنه بالنسبة إلى أعلى حاله، أو كان صدور مثل هذا الدعاء بمقتضى العبودية. كما أن عيسى عليه السلام أيضًا بمقتضى العبودية، نفى الصلاح عن نفسه، واعترف بالخطايا عند الاعتماد، ودعا مرارًا: اغفر لنا ذنوبنا، أو كان هذا الدعاء لأجل التعبد المحض، أو كان لأجل تعليم الأمة، أو أن الذنب المذكور فيها بمعنى الزلة، وترك الأولى،

وعلى كل تقدير لا يرد شيء، وهذه التوجيهات تجري كلها أو بعضها في الأحاديث، التي تكون مثل الحديث المذكور. وإذا لم يثبت من الآيات والأحاديث المذكورة التي استدل بها المعترض، كون محمد صلى الله عليه وسلم مذنبًا، ثبت كذب الصغرى.

وأما كذب الكبرى، فلأن كليتها ممنوعة، لأنها إما أن يثبتها المعترض بعندية أهل التثليث، أو بالبرهان النقلي.

فإذا كان الأول فعنديتهم هذه لا تتم، كما لا تتم أكثر عندياتهم.

وإن كان الثاني فعليهم بيان ذلك البرهان، وعلينا النظر في مقدماته، وأنى لهم ذلك ولا استبعاد في أن يغفر الله ذنوب واحد بلا واسطة، ثم يقبل شفاعته في حق الآخرين، على أن قبح الذنب عقلًا ما لم يغفر، فإذا غفر لا يبقى قبحه لوجه ما، وقد يوجد التصريح في الآية الثالثة التي نقلوها بزعمهم، لإثبات الذنب بأن قال: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. فإن صارت ذنوب محمد صلى الله عليه وسلم متقدمة كانت أو متأخرة مغفورة، في هذه الدار الدنيا، فما بقي شيء مانع في أن يكون شفيعًا للآخرين في الآخرة.

وإن كان الثالث فغلط يقينًا، لأن بني إسرائيل لما عبدوا العجل، أراد الله أن يهلك الكل، فشفع موسى عليه السلام لهم، فقبل الله شفاعته، وما أهلك. كما هو مصرح به في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج، فلا استحالة عقلًا ولا نقلًا في كون محمد صلى الله عليه وسلم شفيع المذنبين.

***

من للعلم لو تعلَّق بأكناف السماء؟ 18

لا يرضى من الغنيمةِ بالإيابِ إلّا من قعدتْ همتُـهُ في حفـرةِ يأسِـهِ، حتـى تجمَّـدَ مـاءُ روحه.

وإن لسانَ الحقِّ واحدٌ، مهما اختلفتْ ألـوانُ أهله، يقيِّضُ الله له في كل مصرٍ وعصرٍ، وفي كل فنٍّ وصناعةٍ مَن يؤسِّسُ لمملكته، ومـن يخدمُ على أبوابها، فلا يتميَّز فيها مـن يتربـع على عرشها ممن يسقي بأوانيها عطاشَ النورِ والهدى.

عقد ابن خلـدون في تاريخـه المسـمى بـ «العبر وديـوان المبتـدأ والخـبر في أيـام العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي السـلطان الأكـبر»، الفصـلَ الثالث والأربعين في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم. فقال:

من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجـم، ولـيس في العـرب حملـة علـم لا في العلـوم الشـرعية ولا في العلـوم العقليـة إلا في القليـل

النادر.

وإن كان منهم العربي في نسبه فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي. والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم، ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه. والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتآليف والتدوين، ولا دفعوا إليه، ولا دعتهم إليه الحاجة. وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين، وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك. ونقله القراء أي الذين يقرؤون الكتاب، وليسوا أميين؛ لأن الأمية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربًا، فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء إشارة إلى هذا. فهم قراء لكتاب الله والسنة المأثورة عن الله؛ لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه، ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح. قال صلى الله عليه وسلم: «تَرَكْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ لنْ تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما : كتابَ الله ، وسنّة رسولِهِ».

فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه، ثم احتيج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه، ثم كثر استخراج أحكام الوقائع من الكتاب والسنة، وفسد مع ذلك اللسان، فاحتيج إلى وضع القوانين النحوية، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج

والتنظير والقياس، واحتاجت إلى علوم أخرى، هي وسائل لها: من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكثرة البدع والإلحاد، فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات محتاجة إلى التعليم، فاندرجت في جملة الصنائع.

والصنائع من منتحل الحضر، والعرب أبعد الناس عنها، فصارت العلوم لذلك حضرية، وبعد العرب عنها وعن سوقها، والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف؛ لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس، فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربُّوا في اللسان العربي، فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفنًّا لمن بعدهم. وكذا حملة الحديث الذين حفظوه على أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى لاتساع الفن بالعراق. وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام، وكذا أكثر المفسرين.

ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من أهل فارس».

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية، وما دفعوا إليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم، والنظر فيه، فإنهم كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولي سياستها، مع ما

يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع. والرؤساء أبدًا يستنكفون عن الصنائع والمهن، وما يجرُّ إليها، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين، وما زالوا يرون لهم حق القيام به فإنه دينهم وعلومهم ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار، حتى إذا خرج الأمر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها، وامتهن حملتها بما يرون أنهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يغني ولا يجدي عليهم في الملك والسياسة. فهذا هو السبب في أن حملة الشريعة أو عامتهم من العجم.

وأما العلوم العقلية أيضًا فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومؤلفوه.، واستقر العلم كله صناعة، فاختصت بالعجم، وتركها العرب، وانصرفوا عن انتحالها، فلم يحملها إلا المعربون من العجم شأن الصنائع، فلم يزل ذلك في الأمصار الإسلامية ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر. فلما خربت تلك الأمصار، وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع، ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة، واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة.

...

وكان نصيب الهند وافرًا في نيل علوم الشريعة واللغة، وخدمتها، وكان لعلمائها الفضل في بناء الحضارة الإسلامية والعربية، فسر بعضهم القرآن الكريم باللغة العربية، مثل: نظام الدين حسن بن محمد بن حسين الشافعي، في كتابه المسمى

«غرائب القرآن ورغائب الفرقان»، وهو أول من فسر القرآن باللغة العربية في الهند، وأبو بكر إسحاق بن تاج الدين الحنفي، ومحمد بن أحمد الكجراتي، وعلاء الدين أحمد المهائمي الشافعي، والقاضي شهاب الدين بن شمس الدين الدولت آبادي، وغيرهم كثير.

أما في علم الحديث فقد كان الشيخ رضي الدين حسن بن محمد الصاغاني، صاحب كتاب «مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية»، وهو من أشهر المحدثين الفقهاء في زمانه، والشيخ المحدث عبد الأول بن العلاء الحسيني الجونبوري صاحب كتاب «فيض الباري شرح صحيح البخاري»، والمحدث علاء الدين بن حسام الدين المعروف بالمتقي الهندي، وغيرهم كثير.

وأما في الفقه فقد كان لهم حظ وافر ولا سيما في الفقه الحنفي، منهم: سراج الدين عمر بن إسحاق، الذي لقب بـ «سراج الهند»، صاحب كتاب «زبدة الحكام في اختلاف الأئمة الأعلام»، والفقيه المفتي أبو الفتح ركن الدين بن حسام الناكوري، صاحب كتاب «الفتاوى الحمادية»، وهو من أهم ما كتب في شبه القارة الهندية عن الفقه الحنفي.

وأما التاريخ فقد انشغل به فريق من علمائهم، منهم: الشيخ زين الدين بن عبد العزيز الشافعي المليباري صاحب كتاب «تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين».

كما نالت العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة والحكمة الحظوة كغيرها من

العلوم، وممن اهتم بها: الشيخ عبد الله بن الهداد العثماني التلبني، صاحب كتاب «ميزان المنطق»، والملا محمود بن محمد الجونبوري، والسيخ محمد أعلم بن محمد شاكر الحنفي السنديلوي.

لكن أكثر ما يوجب الاحترام أن يرى من علماء الهند الذين لم ينشؤوا على لسان العرب من اهتم بالآداب وبخاصة الشعر العربي، حتى ظهر منهم شعراء كتبوا الشعر العربي بمهارة، مثل: أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي الذي كان أشهر مشاهير الشعراء في الهند، ولم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى، والسيد عبد الجليل الحسيني الواسطي (ت ١١٣٨ هـ)، وكان شاعرًا راسخًا في آداب اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية، وقد نظم لكل منها شعرًا.

وقد اشتمل الشعر الهندي المكتوب باللغة العربية على موضوعات الشعر العربي المعروفة كالمديح والغزل الإباحي والعذري والتقليدي، وكذلك الوصف وتأمل الطبيعة والرثاء والزهد والفخر والهجاء، يضيق هذا المكان عن سردها.

كما كان لكثيرين منهم نصيب من النثر وأصنافه من المراسلة والمقامات والخطابة والمقال والطرائف وغير ذلك. كما عرف بعضهم بالترجمة إلى العربية. حتى كان الشيخ رحمت الله الهندي حلقة ذهبية في هذه السلسلة الفريدة في خدمة الإسلام والعربية.

* * *

الشيطانُ يسلك غيرَ فجِّك 19

مـن كـان بريًّـا اقتـرب، ومـن كـان مريبًـا
اغترب، وكـلٌّ يشبه صَنيعَه، حتى يكونـان
وجهين لشرٍّ واحدٍ أو خيرٍ واحدٍ.
لو صمت المتشبِّعُ بما لا يملكُ عـن فكرتـه
الفارغةِ حتى يخـرجَ عـن سـهوه، لأدركَ أنَّ
أكثرَ مصارع العقول تحتَ بروق المطامع،
ورضيَ من الغنيمةِ بالفرار.

سنة (١٢٨٠هـ) ...

استقر كـارل فانـدر في تركيـا، وعلـى خلفيـة هزيمتـه أمـام الشيـخ رحمـت الله في مناظرة الهند الكبرى، اتصل بالسلطان عبد العزيز خان، وراودته عقدة نقصه أن يحرف نتيجة المناظرة إذ ظن أنه خلا بمن لا خبر لهم بها، فأشاع أنه تغلب على الشيخ رحمت الله، وراح ينشر الأكاذيب عـن المنـاظرة ليـروج لنفسـه ولكتابـه، ولبس ثوب الواعظ الحريص على مصلحة الناس أن يستمروا على ضـلالهم، وحدا بمسلمي تركيا أن يحذو حذو إخوانهم مسلمي الهند، الذين صـاروا وفـق

حلمه الأعمى نصارى بفضله، بعد جلاء الحق أمامهم، فحولوا مساجدهم إلى كنائس، حتى وصلت هذه الشائعات مسمع السلطان عبد العزيز خان سلطان العثمانيين الثاني، فأصيب بغمٍّ شديدٍ، وانشغال بال لا يكاد يفرغ، بحثًا عما يهدئ من اضطرابه بسبب هزيمة عدها طعنة في خاصرة الدين، فكتب رسالة عاجلة إلى شريف مكة عبد الله بن عون طلب منه فيها أن يتحرى خبر الشيخ رحمت الله وخبر مناظرته، وأحوال الثورة الهندية ضد الاحتلال الإنجليزي، وإعلام الباب العالي بالنتائج، ولم يستدع فاندر على الرغم من وجوده تحت سلطانه، فكان جواب الشريف عبد الله سعادةً وتيسيرًا وعلامة قبول لغيرة السلطان على محارم الله، إذ أخبره بوجود الشيخ رحمت الله عنده في مكةَ، فطلبه السلطان كضيف خاص ليناظر فاندر في تركيا، وودعه والي مكة كضيف ملكي. وعند وصوله إلى الآستانة في رجب سنة (١٢٨٠هـ) الموافق ديسمبر لعام (١٨٦٣م) استقبله السلطان عبد العزيز خان في موكب رسمي، وأنزله بالقصر الهمايوني، وأقام له حفلة كبيرة حضرها الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة، ثم طلب من الشيخ أن يحدثهم عن المناظرة والثورة ودور العلماء فيها والمذابح الوحشية على يد الإنجليز.

ولما سمع فاندر بوصول الشيخ رحمت الله إلى الآستانة، وما كان من إكرام السلطان له فرَّ من تركيا خوفًا من أن ينكشف ستره، وتنجح تنسيقات مناظرة جديدة بينه وبين الشيخ رحمت الله، فيسجل هزيمة جديدة في سجل الكنيسة التي أرسلته للتبشير لا للتنفير.

ولما اطلع السلطان على الحقيقة، أمر بالقبض على المنصرين ومصادرة كتبهم وإغلاق مراكزهم سدًّا لباب الفتنة، وحتى يحفظ المنصرون ماء وجوههم لجؤوا إلى التزوير من جديد، فروج القس «بركت الله» صاحب كتاب «لواء الصليب» أن السلطان عبد العزيز خان طلب الشيخ رحمت الله ليناظر فاندر في تركيا لكن فاندر توفي قبل وصول الشيخ إلى تركيا، وبهذا الزعم يكون يبرأ فاندر من الهروب، إلا أن الشيخ إمداد صابري بين في رده على هذا القس أن الشيخ رحمت الله وصل إلى تركيا في رجب سنة (١٢٨٠هـ) الموافق لآخر كانون الأول سنة (١٨٦٣هـ)، وفي هذا التاريخ كان فاندر على قيد الحياة، فإن كان غادر تركيا فقبل وفاته؛ لأن الثابت أنه توفي في أوائل كانون الأول سنة (١٨٦٥م)، أي بعد سنتين من وصول الشيخ إلى تركيا.

ثم طلب السلطان من الشيخ في هذه الزيارة تأليف كتاب في الرد على النصارى، على إثر هذه الواقعة تنبئ عن فطنة وتعقل واستشراف، وكان الشيخ أحمد بن زيني دحلان قد طلب الطلب ذاته، فألف الشيخ رحمت الله كتابه «إظهار الحق».

إن هذين الطلبين يعكسان التناغم الشعوري الحاصل بين سلطان المسلمين وعلمائهم، حيث الحرص على منفعة الناس والذب عن الدين وخدمته، والوقوف عند الحق والحقيقة، وعدم السكوت عن الظلم والخديعة.

قال الدكتور ملكاوي: لو كان فاندر يعلم أن مجيئه إلى تركيا سيكون سببًا في تأليف هذا الكتاب لفضل البقاء في بلاده.

وكان الشيخ رحمت الله يلتقي بالسلطان بعد صلاة العشاء يتبادلان الحديث، وكان يحضر اجتماعات المجلس الأعلى لشؤون الدولة مع رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي وشيخ الإسلام أحمد أسعد المدني وكبار رجال الدولة، وقد عين له السلطان راتبًا شهريًّا قدره خمسمئة مجيدي، وعينه عضوًا بمجلس الوالي بمكة، وأنعم عليه بالخلعة السلطانية والوسام المجيدي من الدرجة الثانية، تقديرًا لجهوده في مقاومة التنصير والاستعمار، يكفي لمعرفة قدر الشيخ وعظم مهمته كما أدركها السلطان.

ثم استأذن السلطان في العودة إلى مكة المكرمة لمواصلة تدريسه في الحرم الشريف، فأذن له، وودعه بنفسه.

* * *

20 المدرسة الصَّوْلَتِيَّة.. أزهرُ مكَّة

حِلْم الأعاجمِ مصدرُ بلوغِهم سماواتِ
العلومِ الضَّرُورات.
والرجل الرباني يخبر عن مجهوله مرآته، فلا
تنخدش نيته برمال تحملها ريح الأهواء من
صحراء النقص الشاسعة.
وصاحب الهمة لا يبرقلُ على الأمة، بل يملأ
سماواتها غيومًا من بحار غيرته على
مستقبلها... حتى تزهر أنوارها شرفًا يزين
مداخل الحياة ومخارجها.

إنَّ الملاحظةَ الفاحصةَ مع ثبات النِّيَّة في تحقيقِ معنى الاستخلاف الحقيقيِّ في الأرضِ كفيلةٌ أن تجعلَ الإنسانَ كالماء أنَّى حلَّ سقَى، وأروى، وأنبت، ونشر الحياةَ في كل شيءٍ تلمسه حواسُّه، وهذا معنى يجدرُ تقعيدُهُ، ونقلُهُ إلى مظاهره السُّلوكيَّة في الأمَّة، حتَّى تكونَ مستحقَّةً لحمل أمانة السَّماء.

لقد تربَّى الشيخ رحمت الله على هذه الأسس الرَّبانيَّة، وتغذَّى من لبانها،

فاستوتْ أركانُ إنسانيَّتِهِ قصرًا من العطاءِ والتَّفاني في سبيل مطاولة النُّجوم في كلِّ العلوم.

لم يكن الشيخ رحمت الله من سقَطِ المتاعِ حين حلَّ ضيفًا على أمِّ القُرى كعادة الكثيرين بداعي أنها المصدرُ والموردُ، بل راحتْ مجسَّات عقلِهِ وروحِهِ تعملُ في كلِّ ما تلتقطُهُ من محسوساتها، وهو الَّذي أخذ نفسَه بالدُّربة والمراس على التَّنظيم والتَّقعيد والمنهجيَّة والثَّبات.. فالتَّدريسُ المقتصر على الكتاتيب والمحصور في المسجد الحرام لا يؤدِّي الدَّور المرجوَّ منه، وعدمُ وجودِ منهجٍ ثابتٍ ينظمُهُ، ومدرسةٍ نظاميَّةٍ ترعاهُ، وترتِّبُ شؤونه، وتضعُ خططه لا يناسب السَّعي إلى المراقي، لقد رأى المدرِّسينَ يتحلَّقُ حولهم طلابهم متفاوتي الأعمار والتَّحصيل، كلُّ حلقة تأخذ محطَّتها من أروقة المسجد، ثمَّ يشرع كلُّ أستاذٍ بدرسه حسب ما يخطر، لا وفقَ خطَّةٍ وطريقةٍ، رأى علوم الدِّين واللغة متفرقةً بين الجلسات، تمضي على غيرِ وشائج، ولا وِكاءٍ يشدُّ بعضَها إلى بعضٍ، وإن كانت المادَّة مأخوذةً من كتبٍ بعينها في كلِّ حقلٍ، ثمَّ إذا أنهى المدرِّسون الكتبَ الَّتي اختاروها عرضوا تلامذتهم على هيئة العلماء للاختبار، وإعطاء إجازة التَّدريس لمن يتجاوزُهُ بنجاحٍ.

أثار هذا الواقعُ حماسَ الشيخ رحمت الله إلى تعديل الطَّريقة والهيئة، ليقينه أنَّ الأوضاع التَّعليميَّة بهذه الطَّريقة القديمة لا تعلو نتائجُها إلى ما يميِّز التَّعليم، ويجعل طلابه في مصافِّ طلاب الدُّول المنظَّمة المتقدِّمة، فهداه تفكيره إلى إحداثِ أوَّل مدرسةٍ في مكَّة المكرَّمة، بعد أن كانَ يدرِّس هو في بيته، بترتيب

ونظامٍ جديدين على نفقته الخاصَّة، كأنه أراد أن يعيد بناء حلمه الذي بدأه في الهند وتوقف عنه بعد تفرغه للرد على المنصرين بالتأليف.

وقد قام بهذه الخطوة الميمونة في شهر رجب سنة (١٢٨٥هـ)، خدمةً لطلاب العلم ليس في مكة وحدها بل في أرجاء العالم الإسلامي، وجعلها في محيط الحرم بباب (الزِّيادة)، لكنه بعد مدة من إنشائها رأى أنها لم تبلغ ما كان يبغيه، من تنظيم الدِّراسة المنهجيَّة، وإتمام سائر الترتيبات المدرسيَّة، فعمل على نقلها إلى مكان خارج الحرم، وهو دار أحد أثرياء الهند المهاجرين، المعروفة بدار السَّقيفة عند مطلع جبل هندي بمحلة الشَّاميَّة، ثم عرفت هذه الدار بمدرسة الشيخ رحمت الله أو المدرسة الهنديَّة، ولم يمض على افتتاحها الجديد وقت قصير حتى غصَّتْ بطلابها، وضاقت بكثرتهم، وكان على الشيخ أن يجد حلًّا لهذا التضخم ولا سيما أنه حريص ألا يحرم أحدًا ممن يقبل على التعليم ويأمل بالتربية المنهجية ويبني عليها مستقبله، فأعاد قسم الحفاظ إلى المسجد الحرام، وأبقى قسم العلوم، لكنه مع هذا ظل يمني نفسه ببناء خاص بالمدرسة تكتمل فيه قاعات الدرس والمتابعة والإدارة، وكان لا ينفك يدعو الله أن يهيئ أسباب ذلك.

وما هي إلا دورات حتى فتح الله بابًا من سجوف الغيب على يد امرأة هنديَّة فاضلة قدمت عام (١٢٨٩هـ = ١٨٧٣م) من «كلكتا» لأداء فريضة الحج، اسمها «صَوْلَت النِّساء بيغم»، من المحسنات اللواتي اعتدن أن ينشئن في مكة المكرمة رباطًا لسكنى الحجاج وحفظ أمتعتهم، حرصًا على الأجر الدائم

والصدقة الجارية، وفي نيتها أن يكون هذا العمل عن طريق الشيخ رحمت الله، وقد كانت تسمع به وبمناظرته الشهيرة مع فاندر، لكنَّها لا تعرفُهُ، فسألت عنه حتى توصَّلتْ إليه عن طريق زوج ابنتها الَّذي كان يحضر دروسه، واستشارتْهُ في أمر الرِّباط، فأخبرها بكثرة الأربطة، وأنَّ أبناء مكَّة بحاجةٍ إلى مدرسةٍ، وبها يحصلُ الأجرُ والثَّوابُ العظيم، فاقتنعت بفكرته...

هنا يكشف الشيخ رحمت الله عن فقه الموازنات الذي رجَّح على أساسه بناء المدرسة على الرِّباط، فهذا عملٌ يتعلَّق بإصلاح المجتمع بصورةٍ كبيرة ومستمرَّة، ويعمل على رقيه وازدهاره والحفاظ على مكانته وهيبته، و«قاعدة الشرع والقدر تحصيل أعلى المصلحتين، وإن فات أدناهما»، ووفق هذه الرؤية المدرسةُ أكثرُ مصلحةً من الرباط، ولا سيَّما أنَّ المصلحة الأولى غير موجودة والثانية كثيرة الوجود.

ثم فوضَّت الشَّيخ بشراء الأرض والإشراف بنفسه على البناء، فاشترى أرضًا بمحلة الخندريسة، وبوشر في البناء، ووضع الشيخ بيده حجر الأساس لأول مدرسة دينيَّة نظاميَّة في الحجاز بجانب البيت العتيق صباح يوم الأربعاء (١٥) شعبان سنة (١٢٩٠هـ = ١٨٧٤م)، وتمَّ افتتاحها، وانتقال الطلاب والمدرسين إليها في الرَّابع عشر من محرم سنة (١٢٩١هـ = ١٨٧٥م) في احتفال كبير حضره علماء مكَّة وأعيانها، وانتظمت فيها الدِّراسة وسائر الترتيبات كما كان يريد الشيخ، ورفض أن يطلق اسمه على المدرسة وأطلق عليها اسم (الصَّوْلتيَّة) إكرامًا للمحسنة الفاضلة، وكان أوَّل درسين أُعطيا في هذه المدرسة

هما:

١ - درس القرآن الكريم على يد الشيخ إبراهيم سعد.

٢ - درس الحديث من صحيح البخاري على يد المؤسس.

هذا وقد حاولت القنصلية الإنجليزية في جدة إغلاق المدرسة بإيحائهم إلى الوالي العثماني أنها تشكل حركة أجنبية تعمل داخل البلاد، وبذلوا كل جهد لإيقافها، فلم يفلحوا، لأن الخطة التي رسمها الشيخ للمدرسة ضمنت استمرارها. وملخص هذه الخطة وجوبُ ابتعاد الطّلاب والمدرِّسين عن الأمور السِّياسيَّة والخلافات المذهبيَّة والعصبيَّات القوميَّة، وكانت لهذه الخطَّة الَّتي ما زالت المدرسة سائرةً عليها إلى اليوم الأثرُ الفعَّالُ في إبعاد الطَّلاب عن كلِّ ما يشغلُهُم عن العلم، ممَّا ساعد على دوامها على الرَّغم من انقراض غيرها من المدارس الَّتي أُنشئت بعدها.

كان يتبع للمدرسة الصولتية قسم داخلي للطلاب الفقراء والغرباء يوفر لهم المسكن والمأكل مجانا، كما يتبع لها مسجد بناه الشيخ رحمت الله من حجارة مكتبة الحرم سنة (١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥م)، عندما هدمتها الحكومة العثمانية لقربها من زمزم ومضايقتها للحجاج، وكان الشيخ قد طلب الحجارة من والي مكة عثمان نوري باشا، ولما وافق باع الشيخُ داره لإتمام بناء المسجد والقسم الداخلي، وللمدرسة مكتبة علمية كبيرة تضم آلاف الكتب العربية والفارسية والأوردية والإنجليزية.

بتخرج الفوج الأول من طلاب هذه المدرسة زادت حلقات العلم في المسجد

الحرام، كما زاد عدد القراء والعلماء الذين تخرجوا منها ورجعوا إلى بلادهم يؤسسون المدارس الدينية ودور القرآن الكريم في إندونيسيا والهند وماليزيا ومختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقد شغل المتخرجون منها من جميع الأفواج مناصب هامة في مختلف الوزارات والدوائر الحكومية.

جعل الشيخ رحمت الله خليفته ونائبه في إدارة المدرسة الشيخ محمد سعيد، ابن أخيه علي أكبر، وفي عهده زار الملك عبد العزيز آل سعود هذه المدرسة في (٢٨) جمادى الآخرة سنة (١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م)، وبرفقته الشيخ محمد نصيف، والشيخ يوسف ياسين، وتفقد فصولها وأقسامها وبناياتها، وأثنى على القائمين عليها، وقال: «إنَّ الصَّولتيَّة هي أزهر بلادي». ولمَّا توفي الشيخ محمد سعيد في (١٧/ ١١/ ١٣٥٧هـ = ١٩٣٩م) خلفه ابنه الشيخ محمد سليم وفي عهده تمت معادلة شهادة المتخرجين التي تمنحها هذه المدرسة واعترف بها الأزهر بتاريخ (١٧/ ٧/ ١٩٦٤م)، وهي تعادل الثانوية العامة وتؤهل المتخرجين للالتحاق بالجامعات السعودية والكليات الأزهرية، وقد توفي الشيخ محمد سليم في (٢/ ٨/ ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م) فخلفه ابنه الشيخ محمد مسعود المولود عام (١٣٥٢ هـ = ١٩٣٤م)، وفي عهده قال الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع وكيل وزارة المعارف السعودية عن المدرسة: «إذا أردنا أن نقرر واقع الحركة التعليمية على الرغم من سوئه، فإن بداية القرن التاسع عشر كانت بداية إرهاصات تعليمية ظهرت في الأفق على يد أبناء البلاد وبعض الجاليات الإسلامية وأهمها المدرسة الصَّولَتيَّة بمكَّة». وقد توفي

الشيخ محمد مسعود في (٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ)، فخلفه ابنه الشيخ ماجد سعيد، وما زال مديرًا للمدرسة حتى وقته، على سنن أسلافه في البذل والخدمة والعطاء والإخلاص.

* * *

وشايات دمها أزرق 21

حين يكون عدوك أيقظَ من ذئبٍ كنْ عينًا
لا تثبتُ على جارحةٍ، حتى تكونَ كلُّ
جوارحِك عيونًا.
فالحاذقُ يرقمُ على الماءِ، فيثبتُ رقمه،
فكيف لو رقمَ على الصَّخر؟!

في سنة (١٣٠١هـ) ...

استطاع الإنجليز الذين لم ينسوا دور الشيخ رحمت الله حين جابهم أيام الثورة، فحقنوا بدمهم الأزرق عروق عثمان نوري باشا، بعد أن عُيِّن واليًا على الحجاز سنة (١٢٩٩هـ)، مستغلين مكرهم ومعرفتهم بطبيعة الرَّجل العسكريَّة القاسية، متظاهرين بالحرص على هيبة الخلافة العثمانيَّة، مستخدمين عملاءهم الَّذين زرعوا في قلب الوالي الشُّكوك تجاه المدرسة الصَّولتيَّة، وتجاه مؤسِّسِها، وأقنعوه أنها قناعٌ لحركة سرِّيَّة تناهضُ الخلافة العثمانيَّة، وتجهِّزُ لإضعافها وإسقاطها، فنجحوا، إذ توتَّرت العلاقة بين الوالي والشَّيخ رحمت الله، حتَّى بلغت أشدَّها، وطارت أخبارُها إلى السُّلطان عبد الحميد الثَّاني،

فكان منه أن طلب حضور الشَّيخ إلى دار الخلافة في القسطنطينيَّة، دون التَّواصُل مع الوالي، فانفرجتْ أسارير الوالي عثمان نوري، وفرح بهذا الطَّلب، لأنه رأى فيه كسرًا لكرامة الشيخ ونيلًا من مكانته، وعقابًا لما يدبر له ضد الخلافة ورجالها، لكن خابت ظنونه وتبخرت آماله، بعد أن علم بالحفاوة التي استقبل بها السلطان الشيخ، والإكبار الذي لقيه من قبل رجال الدولة، وزاد عجبه لما علم بإنعام السلطان عبد الحميد عليه بالخلعة الملكية الذهبية وبالوسام المجيدي رسولَ ودادٍ وإشارةَ رضا قبل أن يقابله، ثم توالت المنح والعطايا، فمنحه شيخ الإسلام أحمد أسعد المدني (سند رؤوس) من المشيخة الإسلامية، وهي وثيقة الشرف والامتياز للعلماء المجاهدين.

ثم جهز السلطان لقاءه، وقابله بأحسن مما سلف من المنح باعتذاره له عن تأخره في لقائه، وبمنحه لقبًا يحسده عليه العلماء، وهو (فايا حرمين شريفين)، أي ركن الحرمين الشَّريفين، وألبسه عباءةَ هذا اللَّقب، كما منحه سيفًا من ذهب منقوشٍ عليه العبارات التَّمجيديَّة منها: «السِّلاحُ زينةٌ لمن يجاهدُ في سبيل الله»، وأهداهُ هدايا كثيرة، وقرَّر له راتبًا شهريًّا مقداره خمسة آلاف قرش. ما كان له الأثر الكبير في عودة الإنجليز وعملائهم إلى حضن أمانيهم بخفي خيبة، وتوطد العلاقة بين السلطان والعلماء العاملين المجاهدين الصادقين الذين بقربهم تتمكن هيئات الدولة وتعلو هيبتها وتطاول قاماتها المعالي.

إن هذه المعاني لم تظل قيد التنظير، فقد كرر السلطان جلساته مع الشيخ يشاوره فيها في كثير من القضايا الدينية والسياسية التي تخص الدولة، والشيخ

ينتقي خالص الرأي ونقي النصح وصريح القول حتى اقترح على السلطان أن يتخذ موقفًا صارمًا مع الإنجليز في شأن دخولهم إلى عدن، في قراءة منه لمخططات الإنجليز كونه خبرهم في الهند وقارعهم وعرف خرائطهم الفكرية وبوصلاتهم الهمجية، ونياتهم المضمرة في التغلغل في البلاد الإسلامية...

بقي الشيخ يدلي بعناقيد غيرته على قضايا الأمة، حتى تقررت عودته إلى مكة، فلم يشأ السلطان أن يغادر الشيخ صفر اليدين فيما يخص المدرسة الصولتية التي يجتهد أن تكون منارة علم ومصدر نور يشع إلى كل زاوية في الأرض، فعرض عليه السلطان هبة مالية سنوية للمدرسة الصَّولتيَّة، تعينها على أداء رسالتها، لكنه دفعًا لأي ظن اعتذر عن عدم قبولها، وتعلل بإعانات المحسنين الذين يغطون نفقاتها.

ودعه السلطان بمثل ما استقبله، وكان الوداع رسميًّا، يليق بهيبة الشيخ والسلطان، ما دفع الوالي عثمان نوري باشا أن يستقبله على رأس جموع من أهل مكة المكرمة، بعد أن عرف أنه وقع في شرك الإنجليز، وفي شرك طبيعته العسكرية، حين ظن بالشيخ الظنون، واحتدم قلبه تجاهه بالحيطة والعداء، فلما لقيه اعتذر منه اعتذار مخطئ... صورة في مرآة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وبقي الشيخ يراسل السلطان عبد الحميد بالعربية والفارسية، والسلطان يراسله كأنهما أصدقاء، لكن المفهوم أنها مراسلات ديوانية لا تخرج عن تبادل الوداد

من ناحية وتبادل المشورة في أمور الدولة والدين من جهة، ما يعني أن الشيخ ساهم بصورة كبيرة في رسم قانون الدولة وسياستها الداخلية والخارجية، وكان له الدور البارز في القرارات المتخذة في كثير من الشؤون؛ لأن السلطان كان يثق به ثقة بصيرة.



باب المحدَثين إلى مدينة الحق 22

يكون العلمُ نوافذَ في أولِ موسمٍ، حتى إذا
جاء من رُزقَ مفتاحًا كلونِهِ الذي اصطبغ به
صار له بابٌ يدخلُ منه أبناءُ بَوحه إلى
مدينته المفتوحةِ على كل جهات الوصول
إلا جهتِهِ... لأنَّها بابٌ ذو اتجاهٍ واحد.
لا يعرفُ موضعَ قدمه من لم يراقبْ أقدام
السابقين لخطاه، فإذا تمكَّن من خريطته
علمَ أنَّ الذليلَ من ذلَّ في سلطانه، وأن خير
وسيلة للدفاع الهجومُ، وأنَّ الحق ما شهد
به الباطلُ، وأنَّ تلاحي الخصوم مرهونٌ
بسفاهة الحلوم، وأنَّ التحدي مرحلة
تصنعها الوسائل، لا وسيلةٌ تحرقُ في نار
عجلتِها لذةَ المراحل.

نثر أهل النهى من الجيل الأول في صدر الإسلام بذور فن المناظرة، وهداهم

يقينهم وفطنتهم الفطرية إلى أجوبة مسكتة عن كل سؤال كان يتدرَّع به أهلُ الباطل من اليهود والنصارى، وأهلُ الشرك ممن عطلوا حواس فطرتهم، ومن قبلِ ذلك خاض الأنبياء عليهم السلام مع المعاندين من أقوامهم معارك جدلية، حول قضايا كبرى في الكون والحياة، وقد سجل القرآن الكريم بعضها، كحوارية إبراهيم عليه السلام ونمرود في الإحياء والإماتة وتصريف الكون، كما نقلت كتب التراث عبر العصور السالفة الكثير من أخبار المناظرات بين علماء الإسلام وأهل العقائد الأخرى، كانت تنتهي بظهور الحق وزُهوق الباطل.

ثم من الله على أمة الإسلام في وقت عصيب ومكان منتهك الحرمات برجل ذي مواصفات خاصة، قد صنع على عيون السماء وعناية الأقدار، ليفتح بابًا لمن بعده إلى مدينة الحق، ويضع أصول هذا الفن ومنهاجه وخططه، بصورة تنقله من دائرة العلم الخاص إلى العلم العام، ومن قناة النقاط المجتزأة إلى قنوات النقاط المرتبة وفق مواضيعها، حتى اكتمل مشروعه مدرسة لها قواعدها وتطبيقاتها، ولها مناهجها وأصولها، ولها قوانينها وأسسها.

فهو وإن سبق إلى الرد على اليهود والنصارى من قبل المحدَثين، لكن ما وفره لهذا الفن لم يكن يوفره من قبله، فما الخطة التي رسمها ونفذها بنفسه؟

حين أدرك خطر هذه المهمة وصعوبتها واحتياجها لمهارات خاصة، وجد في نفسه الأهلية، فكل امرئ بنفسه خبير، فشمر عن ساعد العزيمة، وأوقد مرجل حماسه، وعكف على دراسة كتب العهد القديم والجديد، التي بلغت (٣٢)

طبعة في أربع لغات: العربية والفارسية والهندية والإنجليزية، حتى أتى على كل جزئياتها، ووقف عند كل نقاطها، وقفات فاحصة لا تترك موضعًا إلا وقد عرفت صحيحه من معتله، واطلع على كتب علماء اليهود والنصارى المعتمدين حتى بلغ علمه فيها فوق مبالغ علمائها الأصليين، ثم عكف على دراسة كتب الأقدمين في هذا الباب، وملأ جعاب فكره بخلاصتها، وتضلع بأكثر من ثمانية وخمسين مصدرًا في التاريخ والتفسير، ثم اطلع على كتب المحدثين والمعاصرين ممن اتجه هذا الاتجاه، وصنف قضاياها في ملفات عقله، وقرأ أساليب النقد وطرائقه، حتى أجاد استعمالها، حق الاستعمال، ولما امتلك كل هذه الأدوات شرع يضع قاموسًا يضم بين دفتيه بغية الوعاة وخرائط الوصول، على النحو الآتي:

١- حصر اعترافات علماء اليهود والنصارى المحققين المعتمدين عندهم، وتصنيف مآخذهم في خاناتها؛ لأنها أقوى أدلة الدحض والإقناع، قبل الخوض في ذكر الأدلة الذاتية الأخرى.

٢- تحديد مواضع العلل في فكر الخصم، بعد فهمها فهمًا عميقًا لا يخضع للتأويل والشك ولا للرجحان والميل، قبل البدء بأي مناقشة أو دراسة مقارنة.

٣- سحب الخصم إلى مناطق ضعفه، وإيهامه بأنه يملك بعض الحقيقة؛ ليتمسك بها، ويقدم إلى تلك المناطق بيسر، قبل أن يتلقى الحجة الدامغة على بطلان رأيه.

٤- تحقيق العدالة في الحكم على الحجج، فلا تضعف حجة الخصم القوية،

ولا يتلاعب بألفاظها لتبدو ضعيفة، ولا يتجاوز عنها قصدًا لقوتها.

٥- التحلي بأدب الحوار اللفظي والحركي، فلا يسمح للغضب أن يسيطر على اللسان، فيقع في البذاءة والشتيمة، أو الغمز واللمز، والإساءة للخصم بما هو خارج نقاط الدرس؛ لأنَّ هذا الفعل هروب من المنطق السليم الهادف إلى نتيجة سليمة، وهو منافٍ للنزاهة والسماحة.

٦- عدم الوقوف في منطقة الدفاع، كما كان يفعل الكثيرون ممن غلبتهم الغيرة على دينهم، فانتفضوا يدافعون عنه كلما وجهت له إساءة من أصحاب عقيدة مخالفة؛ لأنَّ منطقة الدفاع قريبة من منطقة التسديد، فإذا تراجع المدافع إليها اقترب الخصم من تسجيل هدفه، والأصوب أن يكون في منطقة الهجوم، وهي منطقة دفاع الخصم ذاتها، حيث تملك الضعف والخوف والتوتر منه، وحيث انحسار فرص خروجه من الهجمات بدون خسائر، وحيث القلق الذي يشتت أفكاره، ويضعف ردوده، ويسلمه لباطله الذي لن يقوى على حمايته. وهذه آلية مستمدة من نهج الأوائل من علماء الإسلام، الذين كانوا يبتدرون الخصم، ولا ينال منهم مكانًا قريبًا من مرماهم.

وقد استفاد هذه الخطة منه الشيخ أحمد ديدات وأوصى بها في كثير من توجيهاته للدعاة[1].

---

(١)- انظر كتاب المؤلف: أحمد ديدات سفير العهد الأخير، الصادر عن دار سما، ٢٠١٦م، ص١٤٠ و٣٢٠.

٧- التزام الحدود في التصنيف، وعدم الرضا بالمساواة مع الباطل بحجة التقارب أو كسب الآخر، فلا يصنف القرآن مع الإنجيل والتوراة الحاليين على أنها كتب سماوية، وهي تشريع مقبول مرضي عنه لكل ديانة؛ لأنَّ هذا التصنيف يعني أمران: الأول صحة الإنجيل والتوراة الحاليين قياسًا على القرآن الذي صنف معهما. والثاني تنازل القرآن عن مكانته العليا من عرش الصدق المطلق ومشاركته لكتب نالها التحريف عبر العصور.

٨- التفريق بين كلام الله والتاريخ، بالاعتماد على وصف أهل الكتاب للإنجيل والتوراة أولًا، بأنهما ليسا كلام الله بألفاظه وحرفيته، وبالاعتماد على فقد السند في روايتهما ثانيًا، ونسبة الأقوال والأفعال لغير واضعيها ثالثًا، ونسبة بعض الأسفار لغير كاتبيها رابعًا، واختلاط الروايات التاريخية فيهما خامسًا، وكثرة الأخطاء والتناقضات والتحريف فيهما سادسًا.

٩- الوضوح في التدليل والاستنباط، والبعد عن التعقيد، لضمان سلامة النتائج، ووصولها إلى المتلقي بيسر وسهولة، دون التفكير بخطئها أو تخطئتها. بحيث يستطيع المتلقي أن يصل بنفسه إلى هذه النتائج السليمة القطعية إن سار على سنن الاستنتاج والتدليل نفسه.

١٠- الاكتفاء بالمسائل الأساسية التي يغني إثباتها عن المسائل الفرعية، كما يغني عن الخوض في جدليات قد لا تنتهي إلى حقيقة، فالمعلوم أنَّ دحض الأساس هو دحض لكل ما يتفرع عنه.

وقد حصر الشيخ رحمت الله المسائل الأساسية المتنازع عليها بين المسلمين

وأهل الكتاب بخمسِ مسائل، هي:

- إنكار أهل الكتاب للتحريف، وإيمان المسلمين به.
- إنكار أهل الكتاب للنسخ، وإيمان المسلمين به.
- إيمان أهل الكتاب بالتثليث وألوهية المسيح، وإنكار المسلمين لهما.
- إنكار أهل الكتاب لإعجاز القرآن الكريم، وإيمان المسلمين به.
- إنكار أهل الكتاب لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإيمان المسلمين بها.

ويكفي أن تثبت واحدة من هذه المسائل التي تعد أساسًا لا يصح بدونه الإيمان، حتى تنهدم كل الفروع، ومعها الأصول الثانية. شرط التدرج في منطقية المسائل حسب ترتيبها السابق؛ بما يكشف عن ذكاء وفطنة تأتت بكثرة المطالعة والمماحكة والمدارسة، فإذا ثبت التحريف ثبت أنه يصح نسخه بغيره، فيثبت بذلك النسخ، وإذا ثبت النسخ والتحريف بطلت الأدلة النقلية على ألوهية المسيح وعقيدة التثليث؛ لأنَّ النصارى يعتمدون على الأدلة المنقولة من كتب العهدين عليهما، فلا يصح الاحتجاج به على أي شيء، فضلًا عن القضايا العقدية الكبرى، فإذا ثبت بطلان ألوهية المسيح وعقيدة التثليث ثبتت إعجاز القرآن وحقيته؛ لأنَّ النصارى يجعلون إنكار القرآن الكريم لعقيدة التثليث وألوهية المسيح دليلًا على إبطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبإثبات النسخ والتحريف وإبطال عقيدة النسخ وألوهية المسيح وإعجاز القرآن لا تبقى لهم نص يعتمدون عليه في إبطال نبوة محمد صلى الله

عليه وسلم، وقد جاء إثبات إعجاز القرآن قبل إثبات النبوة؛ لأن المعجزة دليل من أدلة النبوة.

١١- التنبيه إلى المغالطات التي يوهم الخصمُ بها المبتدئين أو العوام، ويبني عليها نصره، ويلبس عليهم الحقائق الكامنة وراءها، وذلك في بداية أي حوار أو مدارسة لتكون مقدمات سليمة توصل إلى نتائج سليمة.

١٢- الاستدلال على القضية الواحدة بأكثر من دليل؛ لأن كثرة الأدلة تزيد القضية جلاء، وتثبت في العقول، وتدفع إلى الإيمان بها عن قناعة تامة، كما تمنح المتابعين فرصة الاستفادة من هذه الكثرة، فإذا نسي المرء واحدًا تذكر الآخر، كما تمنح الدارسين فرصة التنقيب عن مزيد من الأدلة على القضية الواحدة إمعانًا في صدقها.

١٣- الدقة في ترتيب الخطأ لدى الخصم، كتقسيم التحريف إلى أنواع واضحة: التحريف بالتبديل، والتحريف بالزيادة، والتحريف بالنقصان، والتمثيل لكل نوع بأمثلة بينة، من كل النسخ الموجودة لكتب العهدين، العبرانية واليونانية والسامرية والإنجليزية والعربية والفارسية والأوردية، القديمة منها والحديثة، وهذا من شأنه أن يوقع الخصم في حفرة حفرها بنفسه، ويضعه في حرج الرد، واللعب بالكلمات، واختلاق المعاذير لتبرير هذه التحريفات.

١٤- إظهار التمكن من كتب الخصم ومراجعه، بالتنبيه إلى مفارقات ومسائل لا يعلمها، ولم يسبق له أن اطلع عليها، بل إن أعلى درجات التمكن من مراجع

الخصم أن تملك الإجابة عن الاعتراضات الموجهة له، بصورة لا يمكنه هو أن يجيب بها، ثم تنقلب على الإجابة من زاوية لا تخطر له على بال. وبذلك يتأرجح بين يدي فكرك وأمام نواظر الحضور كالدمية التي خيوطها بين يديك.

١٥ - الحذر في قراءة ردود الخصم على نصوص نقلها هو؛ لأنَّ الخصم يلجأ كثيرًا إلى نقل نصوص خصمه بعد أن يجري عليها بعض التغيير المقصود لتصلح للنقد، وهكذا كان يفعل القس فاندر حين كان ينقل أقوال علماء المسلمين من كتبهم، يزيد عليها أو يحذف منها، أو يبدل، أو يعكس، حسب حاجته من جملهم، فيوهم بذلك غير المطلعين على النص الأصلي، أنه يستشهد بكلام علمائهم على صحة رأيه. كما كان يفعل الشيخ رحمت الله، لكن شتان بين الأخذين، في الصدق والنقد.

١٦ - التسلح بسلاح الخصم، في المحاجَّة، فإذا كان من مبادئه إلغاء العقل فلا يلجأ إلى الأدلة العقلية، إلا للاستئناس، واحتمال قناعة أحد السامعين بها؛ لأنَّ مواجهة الخصم بما لا يلزمه لا يفضي إلى نتيجة، وهذه الطريقة تعطي الخصم الذريعة في رفض الحقيقة.

١٧ - إدانة الخصم من فمه، فإذا سكت عن مسألة، أو اعترف بخطأ، أو تلكأ في رد، أو اعترف بما لم يكن يؤمن به، فلا يترك هذا بدون تثبيت وإلزام، ثم احتساب هذه المواقف نقاطًا، والبناء على هذه النقاط، نقطة إثر نقطة، حتى تبلغ النقاط حدًّا يعلن به استسلامه وضعفه، أو تظهر معها مكابرته أمام النظارة، ثم يسجل إعلانه أو مكابرته أمانًا من التزوير الذي قد يقع، وقد أفاد

من هذه الخطة الشيخ أحمد ديدات في مناظراته[١].

١٨- إدانة الخصم من كتبه ومراجعه، كإثبات النسخ والتحريف من التوراة والإنجيل نفسيهما، دون اللجوء إلى نصوص القرآن والسنة، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووحدانية الله، وبطلان عقيدة التثليث وألوهية المسيح من داخل التوراة والإنجيل؛ فلا تبقى للخصم حجة في إنكارها؛ لأنه إن أنكرها يكون قد أنكر كتبه، كما لا يجدي الاستشهاد والاستدلال من القرآن لأنه منكر له.

١٩- معرفة مواضع القوة والتمكن لدى الخصم، والحذر منها ومن حججها، وتقدير خطرها، ووضع الردود الكثيرة على كل موضع.

٢٠- معرفة نقاط اعتراض الخصم ودراسة أدلتهم عليها، والبحث عن ثغرات ينفذ منها إلى تضعيفها، ومن ثم تفنيدها.

٢١- تجنب الخلط بين مسألتين؛ لأنَّ الفصل يتيح الفرصة الكافية لمعالجتها والانتهاء منها، قبل الانتقال إلى الأخرى. كما أن التقاطعات تدخل المتلقين في أتون التعقيد وانخفاض نسبة التركيز.

٢٢- دراسة الحجة الذاتية لكل نقطة، دراسة تجنبها من الولوج إليها لإضعافها، وذلك عن طريق وضع احتمالات التضعيف ووضع احتمالات

---

(١)- انظر كتاب المؤلف: أحمد ديدات سفير العهد الأخير، الصادر عن دار سما، ٢٠١٦، ص٣٠ و٣١.

ردها.

٢٣- تلخيص الردود ونصوص الحجج تجنبًا للتطويل الذي يثير السأم والملالة لدى المتلقي فيحجبه عن القناعة بالحق.

٢٤- تحري الصدق والموضوعية في نقد نصوص الخصم وحججه، فلا يلجأ إلى تقويله ما لم يقل، ولا يغير فيها حذفًا أو زيادة أو تبديلًا ليجعلها صالحة للنقد.

٢٥- تجنب لغة المشاعر والأحاسيس، والأحكام المسبقة والمقولبة، والاعتماد على الأحكام المستنبطة أمام المتلقي.

٢٦- تجنب اللغة التي تثير النعرات الطائفية وتوغر صدور الخصوم وجماهيرهم؛ لأنَّ هذا يحول دون وصول الحق إلى النفوس.

٢٧- تأخير التحدي إلى آخر مشوار المحاجة؛ لأنَّ التحدي أول الأمر يشي بأنه أسلوب الضعفاء الذين ترتفع عقيرتهم في البداية أملًا أن يهزوا ثقة الخصم، وأن يبدؤوا النظارة بصوتهم المرتفع، فيتسرب إليهم أنهم على حقٍّ.

* * *

أبناء بَوْحِك 23

حقيقٌ بمن بلغَ من العلم أَطورَيه أن يؤم مستقبل العظمة، ويرسم السبل إليها، ويجد عابرو طريقه الأيمن قبسًا يميرون منه أهلَ وِدِّ عقولِهم.

إنَّ الزهد في الأوسمة والألقاب أنال الشيخ رحمت الله لقبَ التواضع الذي يرفع صاحبه حتى ليرى ما يرتفع به غيره دركاتٍ لا درجاتٍ، ولأنَّه آمن أنَّ ما يرفع المرء هو علمه وأثره في الناس، أذابَ كلَّ ما منحه من أوسمة وألقاب بنار اليقين، وشغل نفسه في رفد دروب الدعوة بالعلم النافع في الكتب والأشخاص، فكانت له مكتبة تفخر بها العقول، وكان له تلاميذ يصعب إحصاء عددهم وأدوارهم، منهم:

- الملك الشريف حسين بن علي الهاشمي مؤسس الدولة الهاشمية بالحجاز.
- حجة الأمة قاضي القضاة الشيخ عبد الله سراج مفتي الحنفية وشيخ العلماء بمكة، ورئيس مجلس الوزراء بالدولة الهاشمية.
- العلامة الشيخ أحمد الدين جكوالي مؤسس مدرسة مظهر العلوم بكراتشي.

- العلامة الشيخ أحمد أبو الخير مرداد المدرس بالمسجد الحرام وشيخ الخطباء والعلماء.

- أمين محمد علي مرداد المدرس والإمام والخطيب بالمسجد الحرام، ونائب رئيس محكمة مكة.

ويعدُّ الشيخ رحمت الله الأستاذ الروحي والفكري للداعية سفير العهد الأخير، وأستاذ المناظرات في وقته أحمد ديدات، ومن بعده تلميذه الدكتور ذاكر نايك، ومن لطيفِ الموافقات، أن تكون ولادة الشيخ أحمد ديدات عام «١٩١٨م»، بعد مئةِ عامٍ من ولادة الشيخ الأكبر رحمت الله الهندي عام (١٨١٨م) ، الذي يعد مؤسس هذه المدرسة الفكرية المنهجية، وفاتح أبواب مدينتها، وجامع نقاط بحثها، ومختصر أعمار المجتهدين من بعده بما قدمه لهم وبسطه أمامهم، حتى سهل عليهم المهمة. ولعلَّ هذه الموافقة تنالها بركة حديث الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا».



24 موتٌ بطعم الحياة

من عاشَ لله بلغَ به أكلأ العمر، وأرضاه عن نفسه برضاه عنها، وبلَّغه ركنه المنحوتَ له من جبال العزائم، وشجرِ الأمن من ثيابِ الزُّور.

من عاش لله كانَ وصيَّ نفسه، وورِثَ ما تركه أضعافًا مضاعفةً لا تجري عليها قوانينُ النفادِ، كأنَّه كلما انتهى بدأ.

في مطلع سنة (١٣٠٤هـ)...

ناهز الشيخ رحمت الله سبعين رحلة جهادٍ في سبيل الدعوة، حتى ضعف بصره، وصار لا يستطيع القراءة ولا الكتابة، وكان قد عاد منذ مدة من زيارة السلطان عبد الحميد، فعلم السلطان بحاله، وهو على ما يحمله له من تبجيل، فأرسل يدعوه إليه للعلاج، فلبى الشيخ دعوته، وتكبد وعثاء السفر المصحوب بمرض يقعد من يستسلم له، على أمل أن يزوي الله له الأرض، ويعينه على الوصول والشفاء المعين على إتمام الواجبات..

مضى إلى السلطان يرافقه تلميذه الأستاذ (عبد الله جي)، الذي قيَّد أحوال الرحلة.

ولما وصل أحسن السلطان وفادته، وأنزله مكانته من القلب والحي، وأكرمه غاية الإكرام، كما ينبغي لسلطان يعرف قدر العلماء، ولما كان شهر رمضان كان السلطان وتلميذه يفطران معه، ويصليان معه العشاء والتراويح.

حتى إذا استقر به المقام استدعى السلطان خمسة أطباء مع طبيبه الخاص، لإجراء الفحص اللازم لعيني الشيخ، فقرروا إجراء عملية جراحية بعد شهرين، ريثما يخف نزول الماء في عينيه، لكن الشيخ اعتذر عن عدم إجراء العمليَّة لصعوبتها في ذلك الزمان، فطلب السلطان منه أن يبقى في جواره مقيمًا، حتى يقضي الله أمرًا، طمعًا في قربه وعلمه ونصحه، فاعتذر الشيخ من جديد عن عدم تلبيته لطلب السلطان، وقدم عذره الشريف الرقيق بأنه يريد أن يموت في مكة المكرمة، إرادة شوق ورجاء، لا إرادة تقرير وإلزام:

قلوبُ العارفينَ لها عيونٌ   ترى ما لا يراهُ النَّاظرونا

فما كان من السلطان إلا النزول عند رغبته، فودعه بمثل ما استقبله به من الحفاوة والتكريم.

وصل الشيخ إلى مكة المكرمة في ذي القعدة سنة (١٣٠٥هـ)، وما زال المرض يبث في عينيه نشراته الموجعة على مدار الساعة، ما اضطره بعد شهور إلى إجراء عملية جراحية قام بها أحد أطباء مكة لكنها لم تكلل بالنجاح، فزاد الأمر

سوءًا، واستمر في إدارة المدرسة الصَّولتيَّة على الرغم من شدَّة مرضه، لا يفتُّ عزيمتَه ألمٌ، ولا يؤخِّرُهُ عن واجبه ضعفُ بصرٍ، ولا يقهرُ إرادتَه هَرمٌ، بل ظلَّ يديرُ شؤون المدرسة يعينُهُ على ذلك حفيدُهُ محمد سعيد الذي خلفَه في إدارتها، يقرأُ له الرسائلَ الواردةَ، ويكتبُ له الردودَ عليها بإملائِهِ. وظلَّ على هذه الحالِ حتى تُوفي ليلة الجمعة (٢٢) من شهر رمضان المبارك عام (١٣٠٨هـ - ١٨٩١م)، ودفنَ في المعلاة مقبرة مكة المكرمة بالقرب من أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها، عن عمر يقارب خمسًا وسبعين سنة.



ميراث قيد التحقيق 25

لا ينقطعُ عملُ من ترك خلفه ميراثًا قيد التحقيق، واقتطعَ من أجزائه ليطعمَ أفكاره المضيئة، وأشعلَ قناديل ليلِهِ بوقودٍ من ماء قلبه.

فإذا وُلدتِ الكلماتُ في غرفِ عنايةٍ مشدَّدة، على يد من يعرف مداراتِ حسِّها وإحساسها، بحضورِ أبيها الغائب، كانت حجةً على من بخل بقطرتين من عرقِ صبره على ورقها الجافِّ حبرًا لا حبورًا.

مر الشيخ رحمت الله الهندي في مرحلتين من التأليف: الأولى في بداية مشواره العلمي، وكانت هذه المرحلة مقتصرة على بعض الرسائل الصغيرة، والترجمة، ومواضيعها لا تخرج عن العبادات، مثل:

١- رسالة في صلاة العصر، ما تزال مخطوطة بالعربية.

٢- رسالة في رفع اليدين في الصلاة.

٣- ترجمة التحفة الإثني عشرية للعلامة شاه عبد العزيز بن أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، في الرد على الروافض، وما زالت مخطوطة الترجمة في محفوظات المدرسة الصولتية في مكة.

والمرحلة الثانية، كانت مع انتقاله من التدريس للعلوم الشرعية إلى الرد على النصارى، والدفاع عن الإسلام ضد مزاعمهم، وقد جاءت كل مؤلفات هذه المرحلة في هذا الباب، بلغة علمية مؤصلة، وأسلوب منهجي دقيق، وتفنيد أصولي وفق قواعد المنطق والمحاكمة. مثل:

١- إزالة الأوهام: وهو أول كتبِه في تفنيد حجج المنصرين، كتبه باللغة الفارسية، وطبعه الأستاذ قوام الدين بمطبعة سيد المطابع بحي بيغم في دهلي سنة (١٢٦٩هـ)، في (٥٦٤) صفحة، ثم ترجمه الشيخ نور محمد إلى الأوردية باسم دافع الأسقام.

٢- إزالة الشكوك: وهو الكتاب الذي أجاب فيه عن تسعة وعشرين سؤالًا طرحها المنصرون على علماء الإسلام، على لسان مرتد مزعوم من المسلمين في مدينة كراتشي، تسمى سؤالات الكرانجي، وهي من وضع المنصرين الطاعنين، وكان هذا الكتاب استجابة لطلب ولي العهد مرزا فخر الدين بهادر، الذي غضب جراء سماعه بقصة هذه الأسئلة، فكانت الإجابة في مجلدين كبيرين، سنة (١٢٦٨هـ - ١٨٥٢م)، في (١١١٦) صفحة، يتناول إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإثبات وقوع التحريف في كتب العهدين، بأدلة قاطعة لا محيص من التسليم بها.

وبعد أن انتهى الشيخ من تأليفه تبرع تلميذه البار الأستاذ عبد الوهاب الويلوري مؤسس جامعة الباقيات الصالحات في مدراس، بطباعة الجزء الأول منه على نفقته الخاصة، ثم تبرع تلميذه وابن تلميذه الشيخ أبو الفضل ضياء الدين بن الشيخ عبد الوهاب الويلوري بطباعة الجزء الثاني، حين كان مديرًا للجامعة التي أسسها أبوه، ثم قام الشيخ عبد الوهاب الويلوري بمراجعة الجزأين، وطبعهما بالأوردية اللغة التي ألفا فيها، في شعبان سنة (١٢٨٨هـ).

٣- الإعجاز العيسوي: كتبه الشيخ رحمت الله بالأوردية، في أكبر آباد، سنة (١٢٧٠هـ) وطبعه سنة (١٢٧١هـ - ١٨٥٤م)، ناقش فيه نسخ الأناجيل وتحريفها، وساق الأدلة القاطعة البينة على ذلك، ثم أعيدت طباعته بالأوردية سنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، في لاهور بباكستان بإشراف إدارة إسلاميات، بتحقيق القاضي محمد تقي العثماني ومحمد محترم فهيم عثماني وحسين أحمد نجيب، وهو في (٧٧٣) صفحة. وله اسمان آخران غير هذا الاسم الذي ذكره مؤلفه في كتابه إظهار الحق وهما: الإعجاز المسيحي، ومصقلة التحريف.

٤- أحسن الأحاديث في إبطال التثليث: ساق فيه الأدلة العقلية والنقلية على فساد عقيدة التثليث، وقد انتهى من تأليفه بالأوردية سنة (١٢٧١هـ)، وطبعه في المطبعة الرضوية بدهلي سنة (١٢٩٢هـ)، في سبعين صفحة.

٥- البروق اللامعة: اعتمد فيه على نصوص من كتب العهدين لإثبات أن محمدًا خاتم الأنبياء وأنه وفق بعض البشارات في هذه الكتب النبي المذكور

المنتظر. لكن هذا الكتاب لم يطبع وهو مفقود.

٦- معدل اعوجاج الميزان: وهو رد على النسخة الجديدة المعدلة من كتاب «ميزان الحق» للقس فاندر، وفيها أثبت أن لا فائدة من الحركة التي قام بها فاندر بعد أن انتقد الشيخ محمد آل حسن النسخة الأولى من كتاب ميزان الحق، في كتابه الاستفسار، فزاد وحذف وبدل، وطبع النسخة الجديدة باللغة الفارسية، سنة (١٨٤٩م) وبالأوردية سنة (١٨٥٠م).

كشف الشيخ رحمت الله الفوارق بين النسختين، وقصد أن يسميه بهذا الاسم ليثبت اعوجاج فاندر ولفه ودورانه، لكن هذا الكتاب لم يكتب له أن يرى النور، بل نالته يد النهب في الهند فضاع مع ما ضاع من تراث الشيخ حين صودرت ممتلكاته، وقد ذكره القسيس صفدر علي في مقالة له في مجلة نور أفشان (العدد ٣٠ المجلد ١٢ بتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٨٨٤م) وذكر أن بحوزته نسخة مخطوطة من هذا الكتاب، وهو بالأوردية.

٧- تقليب المطاعن: لتأليفه قصة مشابهة لقصة تأليف كتاب معدل اعوجاج الميزان، فقد ألفه باللغة العربية، ردًّا على كتاب القسيس إسمث تحقيق الدين الحق، الذي كان قد رد عليه قبله صاحب الاستفسار الشيخ محمد آل حسن، فقام إسمث بتغيير اسم الكتاب وطبعه من جديد سنة (١٨٤٦م)، ظنًّا منه أن نجى نفسه من الانتقاد وصرف ملاحقة علماء المسلمين لسقطاته ومزاعمه، فجاءه رد الشيخ رحمت الله على النسخة الجديدة، لكن الكتاب لم يطبع وفقد مع ما فقد.

٨- معيار التحقيق: ألفه في الرد على كتاب تحقيق الإيمان للقسيس صفدر علي ولم يطبع كذلك، وربما فقد كسابقيه.

٩- إظهار الحق: وقد مر الحديث عنه.

١٠- التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر: ألفه بالعربية في تركيا سنة (١٢٨١هـ) رد فيه على الدهريين الذين ينكرون الحشر والقيامة، وقد طبع على نفقة رئيس الوزراء خير الدين باشا التونسي، ثم أمر السلطان عبد العزيز خان بترجمته إلى اللغة التركية، وإلى عدة لغات أوروبية لأهميته، وطبع في تركيا ووزع فيها، ثم طبع في مصر في حاشية كتاب إظهار الحق، في الطبعات الثلاث، سنة (١٣٠٩هـ)، وسنة (١٣١٦هـ)، وسنة (١٣١٧هـ).

١١- البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف.

١٢- آداب المريدين، مطبوع بالأوردية.

١٣- المحبوب إلى القلوب، ما يزال مخطوطًا بالأوردية.

لقد ألف الشيخ كل كتبه في الهند، إلا كتابين ألفهما في تركيا باللغة العربية، هما إظهار الحق والتنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر.

***

فطوبى لمن اختزل عمره في قنديلٍ يؤنس عتمات السائرين في دروب البحث عن الحق، ومن جعل من الصبر على بنيات الزمان مسنًّا يشحذ به عزيمته وعزيمة من قرأه، ومن داوم فأتقن علمه وعمله، ووصل بينهما بحبل إخلاصه السري، حتى أنجز لأمة ما ينهض بروحها التي أثقلتها الاستسلامات، فاثاقلت

في الأرض، ومن رأى ما لا يكشفه النور، وسمع ما لا ينطقه الصوت، وأدرك ما لا يفهمه الحس، فقامت بمدركاته مدينة الحق التي أظهرها فلم يقدر على إخفائها خصم، ولم تنل من حروفها ممحاة ند، ولم تطمس وجوه شموسها ثقوب غربالٍ بائس.

وطوبى لمن رزقَ من بعده نعمة الصيانة لأعمار العظماء، فأضافها إلى عمره القصير فطاول فيها النجوم، ومن رزق حلاوة المذاكرة في أوجه الحقيقة التي لا تتعدد لتتأكد.

وطوبى لمن أغلى عقله بكنز الحقائق فصارت الدنيا أرخص عنده من ثوب بالٍ، ومن جمع الحكمة والجمال على وسادة واحدة، وراح يفسر تحاورهما بابتسامات رضا عن نفسه؛ لأنه تنبأ بأبناء عقله المولودين تحت سمعهما وبصرهما... حتى يلقى وجه الله وليس في الأحياء من هو أسعد منه.

* * *

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) الكتاب المقدس.

٣) إظهار الحق: محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

٤) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم.

٥) أكبر مجاهد في التاريخ الشيخ رحمت الله الهندي: محمد سليم بن محمد سعيد رحمت الله، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

٦) تاريخ الإسلام في الهند: الدكتور عبد المنعم النمر، دار العهد الجديد، القاهرة، ١٩٥٩م.

٧) اللغة العربية في الهند عبر العصور: خورشيد أشرف إقبال الندوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨) مقال مواجهة المسلمين للأنشطة التنصيرية في البنغال وشمال الهند في القرن التاسع عشر الميلادي: محمد مهر علي، مجلة مركز البحوث، جامعة

الإمام، الرياض، العدد الأول، المحرم ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٩) مناظرة الهند الكبرى في علم مقارنة الأديان بين الشيخ رحمت الله والقس بيفندر: توثيق عبد الله الهندي، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، طبعة مصر الأولى، ١٩٩٢م.

الفهرس

المؤلف في سطور

- محمد مصطفى خميس.
- إجازة في الآداب من جامعة دمشق قسم الأدب العربي – المركز الأول.
- دبلوم الدراسات العليا القسم الأدبي من جامعة دمشق.
- مؤسس جماعة شذرات الأدبية.
- من شعراء معجم البابطين للشعراء المعاصرين – الإصدار الثالث.
- من أعماله الشعرية:

١ – «تراتيل القيثارة». ٢ – «أفراح النرجس». ٣– «في الغار».

٤ – «شموع لا تذوب». ٥ – «البيلسان ومرافئ الياقوت».

٦ – «حروف ظلالها ملونة». ٧– «قصائد موقوتة». ٨– «بواكير القيامة».

٩ – «الأربعاء الحمراء». ١٠ – «عاصمة اليقين». ١١ – «حتى مطلع الفجر».

١٢ – «أكوان». ١٣ – «إليك إيميسا». ١٤ – «معراج يوم واحد». ١٥ – «لا أرى وجهي في المرآة». ١٦ – «بلاد ما بين السطرين».

- **الدواوين المشتركة مع شعراء جماعة شذرات الأدبية:**

دواوين سجال الخميس الشعري.. قصائد ارتجالية.

١ – ديوان أرصفة الذهول.

٢ – ديوان مفاتح الغيم.

٣- ديوان آناهيد الخزامى.

- **مؤلفات أخرى:**

١ - إجابات منقوصة: قراءة نقدية بين الحدر والترسيل.

٢- سيكولوجيا الحوار في القصة القرآنية.

٣- أحمد ديدات سفير العهد الأخير.

٤- رحمت الله الهندي ركن الحرمين الشريفين.

Twitter : @demashghy

Email : mjd-alkanakere@hotmail.com

www.facebook.com/mjd-alkanakere

محمد مصطفى خميس

Instagram : mohammadkamis